أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Wael AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
العدد (٥٦٦) شوال ١٤٣٣ هـ / أغسطس - سبتمبر ٢٠١٢ م

حوار مع عميد أول كلية تركية تدرس باللغة العربية
د.أحمد طوران

- أعلام دُفنوا في مصر وليسوا من أهلها
- بالعَوْربة نستقبل العَوْلمة
- حماية التنوع الثقافي والهوية من منظور إسلامي

معاهدة البقط.. نموذج لحوار الأديان

التعلم الذاتي.. واجب الوقت

مجانًا مع العدد «براعم الإيمان»

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية

الوعي الإسلامي

عيد سعيد

نهديكم جديد إصداراتنا

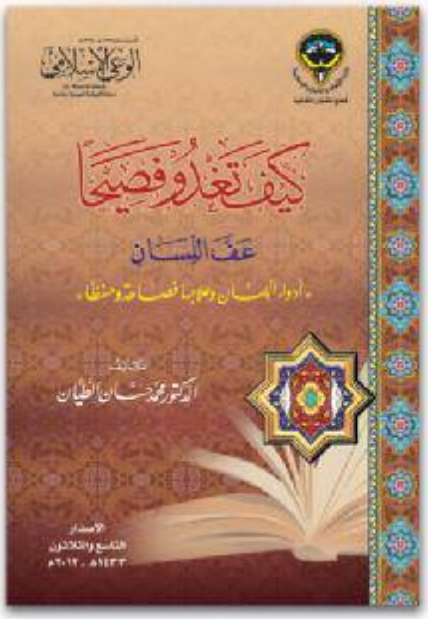

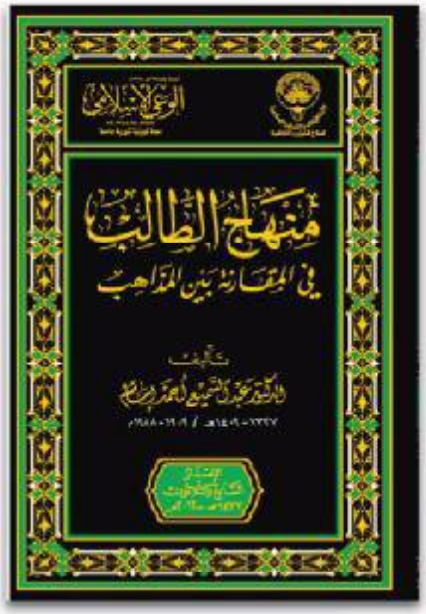

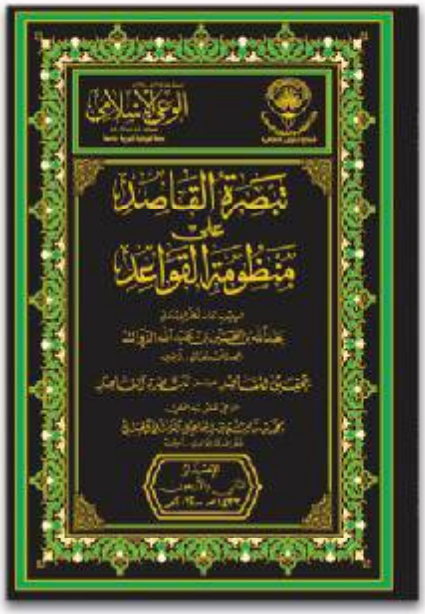

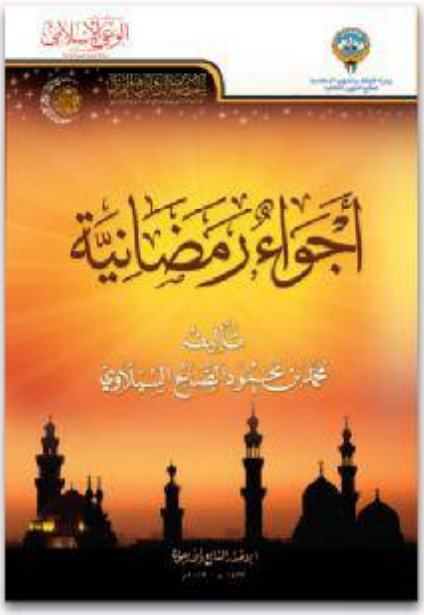

الافتتاحية

الشجرة قبل الثمرة

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

الكل يتطلع إلى الثمرة قبل الشجرة، فلم يعد للناس جَلَدٌ على درس، أو صبر على كدح، فقد استولت على النفوس الاستهانة بالمثل العليا، والمتعة اليسيرة العاجلة، وإذا تأملنا واقعنا وما نمر به من المحن والابتلاء، لاحظنا أن هناك مفاهيم غائبة عن فهم كثيرين، والتاريخ بين أيدينا حفظ لنا طرق النجاح ووسائله، وطرق الخراب ومعاوله، والواقع يعود لغياب هذه الحقائق، منها الاستعجال والتنازل، واليأس والقنوط، والخلط بين انتصار الأشخاص، وبين انتصار الأمة وظهور الحق والحقيقة، فعلينا الاعتدال في كل الأمور، فإن الزيادة عيب، والنقصان عجز، فإن خير الأمور أوسطها، وكما قال علي رضي الله عنه: «خير الأمور النمط الأوسط، إليه يرجع العالي وبه يلحق التالي».

وقال الشاعر:

لا تذهبن في الأمور فرطا
لا تسألن إن سألت شططا
وكن مع الناس جميعًا وسطا

وعلماؤنا قد قعَّدوا قاعدة: «من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه» وقضت حكمة الله في خلقه وأمره أنه «لكل أجل كتاب» وأن سنة الله تعالى لا تبديل لها، فمن أراد خرق هذه السنن، كانت نتائجها وخيمة، وآثارها أليمة، بل ربما أدت عجلته إلى هلكته وسوء خاتمته.

وقد وصف الله الإنسان بأنه عجول، لقصور علمه، وقلة حلمه، فأين العقول والطاقات في هذه الأمة، تساهم في كل ميدان، وتحبط محاولة كل شيطان؟ فالأمور بحاجة إلى دراسة متأنية، وتخطيط ورفق، وصبر وثبات، حتى تهدأ الثائرة وتسكن العجاجة.

ألم تر أن العقل زين لأهله
وأن تمام العقل طول التجارب

صدق رسول الله ﷺ «ولكنكم تستعجلون».

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٦٦

شوال ١٤٣٣ هـ

العام التاسع والأربعون

أغسطس – سبتمبر ٢٠١٢ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية

للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ

الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ – ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

مكتب مصر : دار الإعلام العربية– ٤ش الجلاء– مبنى دوحة ماسبيرو– الطابق ٦– مكتب ٦٠٦– تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣

alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد

موضوع الغلاف

التعلم الذاتي طريق لنهضة الأمة من خلال ملء الفراغ بالعلم النافع وتحسين المستوى العلمي المتحصل سلفا والمضي على طريق النور دون انتظار لقطار التعليم الرسمي أو نظيره الخاص ودون جلد للذات.

أعلام دفنوا بمصر وليسوا من أهلها

الغزوات الحمدية في الشعر العربي القديم

تربية الأولاد في الإسلام

الأزبكية.. بركة محاطة بالقصور والحدائق

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١– ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- اليمن – صنعاء – الدار العربية للنشر والتوزيع ت – ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان – شركة نعنوع الصحفية – ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا – دمشق – برامكة – ص.ب ١٢٠٣٥ – ت: ٢١٢٤٨٣١ (٠٠٩٦٣ ١١) ف: ٢١٢٨٦٦٤ – المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن – عمان – شركة وكالة التوزيع الأردنية – ص.ب ٣٧٥ ـ رمز بريدي ١١١١٨ – ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر – القاهرة – شارع الصحافة – جريدة أخبار اليوم ـ – ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤–(٠٠٢٠٢)
- المغرب – الدار البيضاء – ص.ب ١٣٦٨٣ – ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سبان ساتس – ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ – الشركة الشريفية
- مملكة البحرين – المنامة – ص.ب ٣٢٦٢ – ت: ٧٢٥١١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ – مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمـارات العـربيـة المتحـدة – ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ – شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية – الرياض – ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ – ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ – الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان – مسقط – ص.ب ٤٧٣ العذيبة ـ رمز بريدي ١٣٠ – ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ – مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر – الدوحة – ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا– شركة – المصطفى ميديا جروب سندرين برحد – ت– ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر – شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس – الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة – لندن – شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار ●الكويت : ٥٠٠ فلس ●السعودية: ٥ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٥ ريالات ● الإمارات : ٥ درهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن:دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ●اليمن : ١٠٠ ريال ●لبنان: ٢٠٠٠ ليرة ● سوريا: ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠دراهم ● الجزائر: ٤ دينار جزائري ●تونس: دينار واحد تونسي ● المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني ● باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية/ الشجرة قبل الثمرة	فيصل يوسف العلي
٦	حضارة/ معاهدة البقط.. نموذج لحوار الأديان	عبدالرحمن عوض
٨	فكر/ القيم السياسية في الإسلام	محمد فؤاد
١٠	حوار/ حوار مع د. أحمد طوران	وائل الحنبلي
١٢	تحقيق/ الإعلام المطبوع إلى أين (٢-٤)	هالة عبدالحافظ/ إشراق أحمد
١٤	خواطر/.. وضاقت الدائرة أدركني يارب	د. إيمان عزام
١٦	ثقافة/ حماية التنوع الثقافي والهوية من منظور إسلامي (١-٢)	د. حسن عزوزي
١٩	ملف العدد/التعلم الذاتي.. واجب الوقت	علاء الدين عبدالفتاح
٢٠	ملف العدد/ أهمية العلم والعمل لخدمة الإنسانية	هناء ثابت
٢٣	ملف العدد/ متعة حب المعرفة	إيمان القدوسي
٢٤	ملف العدد/ كيفية التعلم الذاتي	د. آندي حجازي
٢٨	ملف العدد/ التعلم الذاتي وأثره في المتعلم	سائر بصمة جي
٣٠	ملف العدد/ هوامش حول التعلم الذاتي	د. محمد المشطاوي
٣٢	ملف العدد/ تجارب قهرت الجهل	نهلة عبدالرحمن ومحمد عبدالعزيز
٣٦	دراسات/ أعلام دفنوا بمصر وليسوا من أهلها	محمد نبيل بهي
٣٩	دراسات/ حقوق الأسرة في الفقة الإسلامي	د. حميد مسرار
٤٢	دراسات/ بالعوربة نستقبل العولمة	د. فخر الدين قباوة
٤٨	دراسات/ تقريب تأصيلات ابن دقيق العيد	د. لخضر بوغفور
٥٣	لغة وأدب/ معلمتي ورقة الخريف!	د. محمد بابا عمي
٥٤	لغة وأدب/ القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٢)	عبدالله آيت الأعشير
٥٦	لغة وأدب/ شيء من التنوير	بريهان فارس
٥٨	لغة وأدب/ السبحة	فريد معوض
٦٠	لغة وأدب/ الغزوات المحمدية في الشعر العربي القديم	د. محمود سعيد
٦٢	حوار/ العلامة اللغوي د. محمد أبو موسى	زكريا الكندري
٦٤	لغة وأدب/ اللغة العربية ومواكبة التطور والحضارة	سالم بن عميران
٦٦	أسرة/ تربية الأولاد في الإسلام	بهيج بهجت
٧٠	أسرة/ أطفال الكولسترول.. ليسوا في مأمن منه	هدير جلال
٧٣	أسرة/ صدق الأبناء يبدأ بصدق آبائهم	نعيم السلاموني
٧٤	أسرة/ حيثما توجد الأسرة توجد التربية	جميل الأحمد
٧٦	أسرة/ ظاهرة العنف عند الأطفال	د. عبدالله رمضاني
٨٠	قضايا نفسية/ الاكتئاب التفاعلي	بشرى شاكر
٨٢	أعلام/ أسد بن الفرات	د. رفيق الحليمي
٨٤	تراث/ الأزبكية.. بركة محاطة بالقصور والحدائق	هالة عبدالحافظ وإشراق أحمد
٨٧	أخلاق/ بحثًا عن أم القيم.. البركة	المنشاوي الورداني
٨٨	قضايا/ جرائم البوذيين في حق مسلمي بورما ضد الإنسانية	التحرير
٩٠	الفتاوى	محمود الكبش
٩٢	بريد القراء	التحرير
٩٦	من غرر الحكم	بشار بكور
٩٨	مسك الختام/ مولد الأفراد والشعوب.. وجهان لخلق واحد	السنوسي محمد

كلمة العدد

المتلاعبون بالعقول

لايزال كثير ممن يسمون بـ«قادة الرأي» في مجتمعاتنا يتلاعبون بعقول الناس وعواطفهم، ويوجهونهم إلى طريق مجهول غير معلوم.. في ظل حراك اجتماعي كبير تشهده دول إسلامية عدة، ما قد يترتب عليه آثار سلبية واسعة ستأكل الأخضر واليابس، دون اعتبار لمصلحة الأمة العليا.

إن تضليل عقول البشر على حد قول أحد المفكرين «أداة للقهر»؛ فهو يمثل إحدى الأدوات التي يتم تطويع الرأي العام بها لأهداف ثلة ممن يدعون «النخبوية»، ويسيرونه لقهر كل ما يخالف مشاريعهم وأفكارهم، حتى وإن كان على حساب الحقيقة والرغبة العامة.

والملاحظ أن وسائل التلاعب متنوعة، خاصة أن التكتلات التي تسيطر عليها تستخدمها لتحقيق مآربها ومصالحها، في الوقت الذي يظهر أثر مثل هذه الوسائل بشكل فعال في أوساط الجماهير.

إن العاملين في وسائل التضليل ما هم إلا رجال بيع، يحرصون على جذب الجمهور والمشاهدين بمختلف الوسائل المشروعة وغير المشروعة، لأنهم في النهاية يبيعون الجمهور لشركات الدعاية والإعلان.

لقد أثبت علم نفس الجماهير أن من الممكن التأثير على الناس من خلال التكرار الملح، لإقناعهم بخرافات لا علاقة لها بالواقع، ولإخضاع الجانب الواعي والغريزي والعاطفي في الإنسان لأفكار ومشاعر معينة.

ولعل كلمة الفصل في كيفية مواجهة مثل هذه الألاعيب هي مقولة الرئيس البوسني الأسبق علي عزت بيجوفيتش: «ليس هناك دواء للصحافيين المستعدين للكذب في دولة ديموقراطية، باستثناء رفع سوية الشعب، والارتقاء بمستوى التعليم والثقافة العامة، بحيث يستطيع الناس أنفسهم تمييز الكذب من الحقيقة، والغث من السمين».

التحرير

الاشتراكات
- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

معاهدة البقط
نموذج لحوار الأديان

عبدالرحمن عوض- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

لم تكن معاهدة البقط ٣١ هـ/ ٦٥١م التي أبرمت بين عبدالله بن سعد بن أبي السرح والي مصر وكاليدوزو ملك المقرة (دنقلة) مجرد معاهدة لوقف الحرب، بل كانت أول معاهدة سلام وتعايش وحُسن جوار بين العرب والأفارقة، لقد أتاحت هذه المعاهدة دخول العرب المسلمين بلاد النوبة مجتازين غير مقيمين فرصة نشر الدعوة الإسلامية، وتحويل بلاد النوبة السفلى والعليا ومملكة علوة إلى الإسلام رويدًا رويدًا حتى انهارت كنيسة دنقلة في ١٣١٦م وتحولت البلاد رسميًا إلى الإسلام بعد أن تحولت فعليًا قبلها بعشرات السنين، وربما قبل قرنين (١).

وكانت من بنود المعاهدة ما يلي:

١- إرسال النوبة ٣٦٥ رأسًا من الرقيق إلى والي مصر، من الشباب الذي يصلح للجندية أو الخدمة المنزلية أو العامة.

٢- دخول بلاد المسلمين مجتازين غير مقيمين والمعاملة بالمثل لدخول بلاد النوبة.

٣- عدم قتل أي مسلم في بلاد النوبة، واللاجئين من أهل الذمة.

٤- عدم إيواء أي عبد آبق للمسلمين.

٥- يرسل العرب للنوبة كميات من القمح والشعير وغيره.

وقد أضيفت عدة بنود بعد ذلك على المعاهدة التي استمرت أكثر من ٦٧٠ سنة، وقد اختلف المؤرخون حول مكان تبادل البقط في أسوان، وقد اتضح لنا بعد دراسة المكان أن جزيرة «فيلة» التي تبعد ٥ كم جنوب أسوان- قبل بناء السد العالي في ١٩٦٤م، كانت هي التي يتم فيها تبادل البقط، وعند بناء السد العالي غمرت المياه الجزيرة تمامًا، فنقلت الآثار إلى منطقة أعلى قبل غمر المياه، ومساحة الجزيرة كانت ٤٥٠ X ١٤٤م، كانت تختفي في الشتاء والربيع، حيث تغمرها المياه بعد بناء خزان أسوان في ١٩٠٢م (٢).

وقد التزم معظم ملوك النوبة

المسيحية آنذاك ببنود المعاهدة، وإن كانت هناك سنوات شهدت تلكؤ بعض الملوك، وتباطؤ البعض الآخر! وقد حدثت عدة تعديلات على المعاهدة، حيث طلب ملك النوبة من الخليفة المهدي العباسي ١٥٨- ١٦٩هـ/ ٧٧٥- ٧٨٥م تخفيض مقدار البقط، وأضاف المهدي بندًا جديدًا في المعاهدة وهو إرسال بعض الحيوانات النادرة من النوبة العليا للمسلمين، وقد أرسل أحد ملوك النوبة لخليفة المسلمين قردًا حائكًا!

وقد أورد المقريزي نص المعاهدة كاملة بعد تعديلاتها حتى عهده، وقد تمنت المعاهدة بعض البنود المهمة منها:

١- عدم التعرض لأي مسلم أو معاهد أو ذمي.

٢- حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون في بلاد النوبة.

٣- عدم إيواء عبيد المسلمين.

وكان هناك بند دفع دية القتيل المسلم، وهي موجودة منذ العصر العباسي الأول تقريبًا كما في بردية والي مصر موسى بن كعب الشهيرة ١٤١هـ/ ٧٥٨م وكانت دية القتيل ١٠٠٠ دينار (ألف دينار) وهو مبلغ ضخم بمقاييس ذلك العصر العباسي المبكّر (٣).

وقد اختلف الفقهاء والمؤرخون القدامى والمحدثون هل كانت المعاهدة صلحًا أم هدنة أم يُعامل النوبيون معاملة خاصة؟

وقد كان من نتائج هذه المعاهدة تسرب الثقافة العربية إلى بلاد النوبة كلها، حتى دخلت هذه البلاد في الإسلام منذ تلك المعاهدة ٣١هـ/ ٦٥١م، وتعرّبت تمامًا الآن في اللغة والثقافة العربية بكل مكوناتها وليس بينها مسيحي واحد الآن من أبنائها.

وقد كانت في أسوان جالية عربية أرستقراطية في القرن الهجري الأول، عملت على تسرب الدماء العربية والثقافة العربية والدين الإسلامي في بلاد النوبة بفضل التجار الرحّل والصناع وغيرهم من أرباب الأعمال الزراعية والتجارية والصناعية.

وبفضل القبائل العربية المتسربة إلى أسوان والنوبة، استطاع النوبيون الخروج من ربقة ملوكها الإقطاعيين، الذين كانوا يحتكرون الأراضي الزراعية وغير الزراعية في ٢٠٠هـ/ ٨١٧م على الأقل.

وقد ظهرت أول إمارة عربية في بلاد النوبة السفلى (من أسوان حتى الشلال الثاني) هي إمارة كنز الدولة أبوالمكارم هبة الله من بني ربيعة فيما بين ٣٣٣- ٤١٢هـ/ ٩٣٣م في منطقة وادي العلاقي بين البحر الأحمر شرقًا وبلاد النوبة شمالاً، وقد استمرت هذه الإمارة ألف عام حتى ١٩٣٣م وتلاشت.

هكذا كانت هذه المعاهدة خيرًا على بلاد النوبة، ونقلة حضارية جعلت بلاد النوبة السفلى إحدى المراكز الحضارية في مصر طوال العصر الإسلامي منذ ٢٠هـ حتى يومنا هذا.

وقد رفدت بلاد النوبة السفلى والعليا الفقه الإسلامي بكوكبة من الفقهاء والمحدثين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١- يزيد بن أبي حبيب ٥٣- ١٢٨هـ، وهو أول مفت سوداني بمصر، ولاه الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز أمر الفتيا مع ثلاثة آخرين (٤).

٢- ذو النون المصري ١٧٥- ٢٤٥هـ الصوفي الرائد، له عدة روايات للحديث.

٣- محجز بن عبدالله الأسواني المتوفى ٢٧١هـ، من أجلّة أصحاب الإمام الشافعي الآخذين عنه، كان قبطيا، وعاش بأسوان مفتيًا على المذهب الشافعي، وغيرهم من الفقهاء والمحدثين وأئمة العربية والشعراء والأدباء.

فالحمد لله رب العالمين الذي جعلنا مسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الغر الميامين، ومن اتبعه إلى يوم الدين.

هذه في عجالة معاهدة البقط التي مرّ على صدورها منذ عامين ١٤ قرنًا، وهي واحدة من أهم المعاهدات العربية الإسلامية التي أبرمت مع أمة إفريقية في ٣١هـ، تعد نموذجًا للتعايش السلمي وحوار الأديان التي لم تعرفه أوروبا إلا مؤخرًا منذ نصف قرن!

طبقته الخلافة الإسلامية ثم الدول الإسلامية حتى العهد المملوكي، كانت فيها الطرف الأكثر مرونة والأكثر دبلوماسية، دون إفراط أو تفريط.

وبفضل هذه المعاهدة قامت ممالك نوبية وإمارات عربية وإسلامية في السودان منها: مملكة سنّار ١٥٠٥- ١٨٢٠م، وسلطنة دارفور١٦٣٧- ١٩١٦م، ومملكة تقلي ١٥٧٠- ١٨٨٢م، وإمارة كنز الدولة (الكنوز) ٩٣٣- ١٩٣٣م وغيرها من مشيخات وعشائر.

وهي تحتاج منّا إلى دراستها في مؤتمرات وندوات دولية متخصصة، للاستفادة منها في بؤر الصراع الممتدة في آسيا وإفريقيا.

الهوامش

١- تاريخ الثقافة العربية في السودان. د.عبدالمجيد عابدين- ص ٢٥- دار الثقافة- ط٢- بيروت- ١٩٦٧م.

٢- معاهدة البقط- عبدالرحمن عوض- ص ٩- القاهرة- ٢٠٠٩م.

٣- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- تقي الدين أبوالعباس أحمد بن علي المقريزي- ص ٢٠١- الذخائر ٥١- الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة ١٩٩٩م.

٤- لمحات من الحياة الفكرية المصرية قبل الفتح العربي وبعده- د.عبدالمجيد عابدين- ص ٥٨- ط١- القاهرة- ١٩٦٤م.

القيم السياسية في الإسلام

محمد فؤاد - كاتب مصري

ولد الإسلام في مكة، ومنها انتقل إلى المدينة، ومن هناك انتشر في جميع أنحاء العالم عن طريق الفتوحات بفضل قيمه السامية الثابتة التي ترتفع بشأن ومكانة الانسان والمجتمع، وقد قامت الدولة الاسلامية على مجموعة من القواعد والقيم أبرزها القيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية، ومن أهم وأبرز القيم السياسية في الاسلام قيم الحرية، العدالة، الانتماء، الانخراط، التسامح.

الحرية

تمثل الحرية أهم القيم التي يسعى الإنسان المسلم وغير المسلم إلى الحصول عليها، وتندرج لفظة الحرية في الكتابات السياسية المعاصرة تحت مفهومين، أولهما الحرية السلبية التي لا تتعدى غياب القيود وانتفاء الإكراه المادي والمعنوي، وثانيهما الحرية الإيجابية التي تعني حصول الفرد على حقوقه وامتيازاته، ويتضح من المفهوم الثاني تميز الحرية عن غيرها من القيم الأخرى بسمات عدة منها «القدرة على الاختيار أو المفاضلة بين الأشياء المادية والمعنوية، الخصوصية حيث لا توجد حرية فيما يستطيع كل الناس أن يتمتعوا به كالهواء مثلا، فضلاً عن القدرة الإنسانية على تحقيق الأهداف»، وهناك علاقة طردية بين قيمتي الحرية والكفاية، وفي ذلك يقول د.عمار علي حسن في كتابه القيم «التنشئة السياسية للطرق الصوفية في مصر»: تزداد حرية الفرد حين تزيد فرص إشباع حاجاته. وقد كان الإسلام واضحا في هذه النقطة تماما حين أقام مبدأ الحرية على دعامتين أساسيتين أولاهما تأمين الإنسان من الجوع، وثانيهما تأمينه من الخوف، وتعتبر الحرية السياسية رافدًا من روافد الحرية العامة، ويعرفها د.عمار علي حسن في كتابه سالف الذكر بأنها مجموعة من المبادئ التي نادت بها الأديان السماوية والمذاهب الوضعية ونصت عليها الدساتير المدنية، وتقوم الحرية السياسية في الإسلام على مجموعة من القواعد والأسس من بينها «حق الشعب في اختيار نوع الحكم الذي يريده ويناسبه، اختيار الحاكم بكامل إرادته ومحاسبته وردعه عن طريق الأجهزة النيابية والإعلامية، سحب الثقة منه وعزله حسب دستور محدد، جماعية القيادة أي عدم استئثار فرد واحد أو فئة معينة أو طبقة خاصة بالحكم، التزام الحكام برأي الجماعة أو الأغلبية، إزالة جميع أنواع التمييز بين أبناء الشعب، حق الفرد في الوصول إلى جميع المناصب في الدولة، أن يكون الفرد آمنا على حياته وماله وكرامته في ظل سيادة القانون، حرية الفرد في إبداء رأيه السياسي، وحرية التجمع والاجتماع وتشكيل الأحزاب والهيئات والجمعيات الأهلية وغيرها، بسط الدولة لسيادتها على أراضيها وعدم خضوعها لسيطرة دولة أو دول أخرى».

العدالة

العدالة هي القيمة الأساسية في الفكر السياسي الإسلامي وجوهره، وهي أيضا الفضيلة التي تنطوي تحتها كل الفضائل السياسية الأخرى، وحولها تدور كل تعاليمه وأحكامه الشرعية، وهي لديه فريضة واجبة وضرورة من الضرورات الاجتماعية والإنسانية، وليس حقًا من الحقوق، ويمثل فرضها معيارًا للعلاقة السليمة بين الرعية وأولي الأمر، وتعرف الشريعة الإسلامية العدل بأنه مضاد الظلم والجور، ويتضح مما سبق ذكره قيام العدالة في الشريعة الإسلامية على جوانب قانونية وسياسية واجتماعية وإدارية، وتتمثل هذه الجوانب في عدل الولاة في الرعية، وعدل القضاة في المتحاكمين، وعدل الإنسان في أهل بيته، وحق المواطن في المشاركة في اتخاذ القرارات المجتمعية، وبناء على هذه الجوانب أو القواعد يقسم المفكرون العدالة إلى نوعين، الأول: العدالة التبادلية التي تقوم على المساواة المطلقة بشكلها الرياضي البحت، والثاني: العدالة التوزيعية التي تقوم على مبدأ الاستحقاق- أي أن يحصل كل فرد على ما يستحقه وفق إمكاناته واستعداداته وظروفه.

المساواة

تمثل المساواة الضلع الثالث في مثلث القيم الإسلامية العظيمة، حيث تشكل مع الحرية والعدالة المثل العليا التي يصبو الإنسان إلى تحقيقها منذ أول الحقيقة، وتعني المساواة بمفهومها العام وجود حالة من التماثل بين أفراد المجتمع أمام القانون بغض النظر عن الميلاد أو الطبقة الاجتماعية أو العقيدة الدينية أو الثروة أو الجنس أو المهنة.

الانتماء

تعتبر قيمة الانتماء من القيم السامية التي يقوم عليها النظام السياسي في الإسلام أو في غيره من الرسالات السماوية والأديان الوضعية، ويعني

بها انتساب الإنسان إلى قيمة أو فكرة أو رمز أو مؤسسة اجتماعية بهدف الحصول على السعادة التي يشعر من خلالها بأهمية حياته وفائدتها وحماية نفسه من الصراع والضياع، وقد تجسدت قيمة الانتماء فيما يعرف في المؤلفات السياسية بالوطنية، أي الانتماء للوطن أرضًا وتاريخًا وحضارة، وانتماء الفرد إلى الوطن يدفعه إلى العمل الجاد والمشاركة البناءة في سبيل تقدم ورفعة بلاده، وبغير هذا الشعور قد ينزلق الإنسان في الاتجاه المضاد، ويصبح متطرف التفكير والسلوك، بل تثار علامة استفهام حول هدف حياته، وعلى وجه العموم فإن قيمة الانتماء تتجلى في عدة مظاهر من بينها تشجيع الصناعة المحلية، والاعتزاز باللغة الوطنية والزي الوطني، والالتفاف حول علم يمثل رمزا للدولة، والتمسك بالقيم العامة التي تتفق عليها الجماعة الوطنية، والاستعداد للتضحية من أجل الوطن حين يتعرض للأخطار، بل يذهب البعض إلى حد اعتبار التسامح في المجتمعات التي تتسم بفسيفسائية عرقية أو لغوية أو دينية أو غيرها هو دليل على الانتماء، إذ إن التعصب يشكل ثغرة واسعة ينفذ منها العدو الطامع إلى الصفوف المتراصة والمنتظمة فيمزق وحدتها ويبدد شملها ويفرض سلطاته عليها، لأنه يجد في التعصب تربة خصبة يبذر فيها بذور الشقاق.

الانخراط

تعني قيمة الانخراط المشاركة بصفة عامة من خلال المنظمات الحكومية أو الجمعيات الأهلية في المشروعات القومية التي تحقق رفاهية الإنسان والمجتمع، كما أنها تعني التعاون القائم على الشعور بالمسؤولية الاجتماعية من أفراد المجتمع ومنظماته وقياداته والتي تنبع من اتجاه اجتماعي ومبادئ ثقافية وأخلاقية، أما المشاركة السياسية فتكمن في الأنشطة التطوعية التي يشارك بها الفرد بقية الجماعة الوطنية في اختيار الحكام وصناعة القرار وصياغة السياسات العامة بصفة

هناك علاقة طردية بين مستوى التأثيرات السياسية للفرد والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها

مباشرة أو غير مباشرة، وتشمل هذه الأنشطة الانتماء إلى الأحزاب السياسية والترشح في الانتخابات والتصويت والإسهام في الحملات الانتخابية، والتبرع بالمال لتعزيز خيار سياسي معين، وحضور الاجتماعات السياسية، وإجراء اتصالات بشخصيات سياسية رسمية، وكتابة الخطب وإلقاءها، والقيام بالدعاية لصالح حزب سياسي معين، أو حركة اجتماعية، والمشاركة في النقاش والجدل العام، وجمع المعلومات حول السياسات المحلية والدولية. وهناك عوامل عدة تحدد الرغبة في المشاركة ومستواها ودرجتها وشكلها، يمكن عرضها على النحو الوارد بكتاب د.عمار علي حسن سالف الذكر على النحو التالي:

١- هناك علاقة طردية بين حجم مشاركة الفرد ومستوى المثيرات السياسية التي يتعرض لها في حياته.

٢- هناك علاقة طردية بين مستوى التأثيرات السياسية التي يتلقاها الفرد وبين الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، ففي المتوسط العام فإن أبناء الطبقة المتوسطة يتعرضون لشواغل سياسية أكبر من أبناء الطبقة العاملة.

٣- يختلف مستوى الاهتمام السياسي للفرد تبعا لاختلاف الثقافة السياسية السائدة في المجتمع والتي تسهم في صياغة معرفة الأفراد بشؤون السلطة والحكم وصناعة القيم التي تترسخ في نفوسهم، وتشكيل اتجاهاتهم السياسية.

٤- في الغالب الأعم يميل الأفراد الأقل تعليمًا إلى تجنب المعلومات السياسية ورفضها في إطار ما يدور في أذهانهم من أوهام عن التمسك بكل ما يحمي الذات ويصون الهوية، لاسيما إذا كانت هذه المعلومات من النوع الذي يناقش بعض ما يعتقده الفرد حيال نفسه أو معتقداته الدينية.

٥- يرتبط الاهتمام السياسي بالنوع لاسيما في الفئات الأقل تعليما حيث ينشغل الذكور بالسياسة بدرجة أكبر من الاناث.

٦- يقود ارتفاع المستوى الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي للشخص إلى تعزيز شعوره بالثقة بالنفس ومن ثم رسوخ الاقتدار السياسي لديه، وسعيه إلى تنمية معارفه بالمجال العام، وإحساسه بأن بوسعه أن يؤثر في مجريات الأمور ويقوم بما عليه من واجب حيال وطنه.

٧- يؤدي شعور الإنسان بالاغتراب إلى تدني رغبته في المشاركة السياسية لأنه لا يثق في السياسة والسياسيين، ويحس باللاجدوى من الانخراط في أي عمل إيجابي.

٨- يميل الأشخاص القريبون من التجمعات والتنظيمات السياسية مثل العاملين في مختلف أجهزة الاعلام والمحامين إلى المشاركة السياسية أكثر من هؤلاء الذين يعملون في مهن بعيدة نسبيا عن الساسة والسياسة.

٩- تتزايد المشاركة السياسية بتقدم العمر لتصل إلى ذروتها في منتصفه، ثم تبدأ في التراجع مع زحف الإنسان نحو الشيخوخة الهادئة حيث يتضاءل الوقت الذي يخصصه الإنسان لممارسة النشاط السياسي، وتضعف صحته فتخذله حين يحاول بذل أي مجهود تتطلبه الحياة السياسية بتعقيداتها وتشابكاتها.

١٠- يقبل سكان المدن على المشاركة السياسية أكثر من قاطني الريف لأن أهل المدن أكثر تعرضا للمعلومات السياسية، وترتبط طبيعة المهن التي يعملون بها بالمجال العام أكثر من ارتباط أعمال الفلاحة.

«الوعي الإسلامي» التقته أثناء زيارتها لجامعة الفاتح بإسطنبول

عميد «العلوم الإسلامية» د.أحمد طوران: نرسخ التعليم دينيًّا على أرفع مستوى علمي

حوار: وائل الحنبلي

في زيارة قامت بها مجلة «الوعي الإسلامي» لكلية العلوم الإسلامية بجامعة السلطان محمد الفاتح في إسطنبول، التقينا بالدكتور أحمد طوران أرسلان عميد الكلية التي أسست حديثا، وهي أول كلية تتم الدراسة في أقسامها باللغة العربية على مستوى تركيا بقرار جمهوري، باعتبار أن جامعة الفاتح تابعة للمديرية العامة للأوقاف، أي تندرج تحت هيكل رئاسة وزراء الجمهورية التركية، وللجامعة مجلس أمناء برئاسة: الأستاذ الدكتور حكمت أوزدمير الذي يعمل مع فريقه على تطورها يومًا بعد يوم وقد انصب الحديث حول وضع التعليم الديني في إسطنبول، خاصة مع الإشراقة الجديدة التي قدمتها الكلية في هذا المجال بمستوى علمي راق كما تفرع الحديث إلى تفاصيل الدراسة في الكلية وعدد طلابها وسنوات دراستها والهدف من إفراد اللغة العربية كلغة تعليم لأول مرة في تركيا منذ عشرات السنين.. وإلى تفاصيل اللقاء:

■ بداية، نود أن تشرح لنا الهدف الأساسي من إنشاء الكلية؟

– كلية العلوم الإسلامية التي تم افتتاحها تحت سقف جامعتنا حسب متطلبات العصر تهدف إلى ترسيخ التربية والتعليم في المجالات الدينية على أدق وأعلى مستوى علمي في بلادنا ولعلكم تعلمون أن الإنسان اهتم بالدين والعقيدة في كل زمان ومكان، وأحس بالحاجة الماسة إليهما منذ أن وجد في هذا العالم، ولذلك أنشأ عبر التاريخ مؤسسات تعليمية منهجية كثيرة رسيمة كانت أو شعبية حتى يلبي حاجاته العقلية والروحية.

إن كليتنا تهدف إلى تنشئة أجيال مخلصة في التمسك بالقيم الإسلامية الأساسية، وفي إطار شمولية ديننا وسماحة لا تستبعد أحدا وتقدر كل إنسان، وتعتبر كل موجود هو من أمانات الخالق، ولذلك تطور وتجدد معلوماتها بصورة مستمرة، وتضع نصب أعينها أن خدمة الناس هي الهدف السامي، وتستطيع اتخاذ قرار صائب في ضوء ما تعلمه وبمنطق قوي وبثقة في النفس عالية.

■ على أي أساس تم اختيار اللغة العربية للتدريس بالكلية؟

– أحب أن أؤكد أن كليتنا بميزتها هذه تكون هي أول كلية تتخذ من العربية وسيلة للتدريس بهذا المجال في تركيا، أما السبب فيكمن في أن من أهدافنا الأساسية تمكن طلابنا من الوصول إلى مستوى عالٍ في معرفة اللغة العربية تحدثًا وكتابةً إلى جانب المستوى الأكاديمي العلمي؛ ولذلك نهتم بنشاطات ثقافية وأكاديمية تساعد على تحقيق هذا الهدف، كما وضعنا بين أهدافنا تعليم إحدى اللغات الغربية التي أصبحت ضرورية في هذا العالم الذي تحول إلى قرية صغيرة.

■ نرى أن التطوير المستمر بات يشكل هاجسا في مجال التعليم بتركيا؟

– هذا حقيقي، فنحن نريد أن تتكامل البرامج الدراسية برؤية الإدارة المنفتحة على التجدد والتطور حسب الحاجات والإمكانات، وفي هذا الإطار نهدف لتجهيز طلابنا لحياتهم المستقبلية بتلبية طلباتهم وحاجاتهم.

■ كم يبلغ عدد الطلاب الدارسين وهل جميعهم من داخل تركيا؟

– عدد الطلاب ٨٠ دارسا (٦٠ من الداخل و٢٠ من خارج تركيا) يقوم بتعليمهم ١١ملعما بدرجة بروفيسور، وأستاذ مساعد.

■ وماذا عن مدة الدراسة في الكلية؟

– مدة الدراسة ٤ سنوات إضافة إلى سنة تحضيرية قبلها فيكون المجموع ٥ سنوات. وبعد أربع سنوات تتخرج أول دفعة تكون مؤهلة لتدريس اللغة العربية والعلوم الإنسانية.

■ ما هي الأوقاف المؤسسة للجامعة؟

– المديرية العامة للأوقاف قامت بتأسيس جامعة السلطان محمد الفاتح من أجل التعليم في مجالات العلوم الاجتماعية والهندسية والمعمارية والفنون الجميلة وتضم الأوقاف المؤسسة للجامعة كلا من وقف السلطان محمد الفاتح ووقف سنان آغا بن عبدالرحمن إضافة إلى وقف الوالدة نور بانو سلطان ووقف خديجة سلطان وأخيرا وقف الحاج عبدالعزيز آغا بن عبدالله.

■ وماذا عن الكليات الأخرى التي تضمها الجامعة ؟

– الجامعة تضم كلية الآداب وكلية الفنون الجميلة وكلية الهندسة إضافة إلى كلية العلوم الإسلامية التي نحن فيها الآن.

طلاب الكلية يزورون المجلة

زار وفد من كلية العلوم الإسلامية مجلة «الوعي الإسلامي» في مقرها بالكويت الشهر الماضي بهدف التعرف على دور المجلة التاريخي في التنمية الحضارية.

وقد استقبلهم رئيس التحرير، حيث قدم رئيس الوفد درعًا تذكاريًا للمجلة.

سيناريو الإعلام المطبوع في الألفية الثالثة (٢-٤)

الإعلام المطبوع.. إلى أين؟

هالة عبدالحافظ/ إشراق أحمد - دار الإعلام العربية

«إعلامنا المطبوع في الألفية الثالثة.. الواقع والتحديات» تحت هذا العنوان تحدثنا في الحلقة الأولى عن التطورات التي يشهدها العالم بفضل ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وانعكاساتها على الصحافة المطبوعة المعاصرة في الوطن العربي ومخاوف انقراضها بفعل التكنولوجيا الحديثة، وذكرنا تأكيدات الخبراء بأنها بمنأى عن الاندثار في المستقبل القريب.. لنواصل في هذه الحلقة الحديث عن الدور الذي تمارسه الصحافة العربية حاليًا ولاسيما أن توفير المعلومات كانت ومازالت المهمة الأساسية لوسائل الإعلام بجميع أشكالها، والإعلام المطبوع جزء من منظومة متشعبة أصبح الجديد يلاحقها يومًا بعد يوم؛ ليضعه في مواجهة الوسائل الجديدة، إلى التفاصيل..

في كتابه «الإعلام والاتصال في المجتمعات المعاصرة» يتحدث د.سليمان صالح، رئيس قسم الصحافة بكلية الإعلام- جامعة القاهرة، عن تأكيد كثير من علماء الاتصال أن الوظيفة الأساسية للصحافة ووسائل الإعلام هي تغطية الأحداث الداخلية والخارجية وتوفير المعلومات عن هذه الأحداث بشكل سريع ومتميز، وهذه المهمة أطلق عليها أستاذ علم النفس السياسي هارولد لازويل اسم «مراقبة البيئة»، والتي تعني العمل على نقل المعلومات؛ لأن الحصول على الأخبار أصبح ضرورة للإنسان لكي يستطيع أن يحيا في المجتمع المعاصر، وأن يصدر أحكامًا صحيحة تلبي احتياجاته؛ لذلك تم النظر إلى وسائل الإعلام على أنها الوسيلة التي تنقل الأخبار، وتعتبر قدرة الوسيلة الإعلامية على النقل السريع للمعلومات المقياس الأساسي للنجاح والتميز.

ويرى سليمان أنه لكي تستطيع وسائل الإعلام أن تقوم بوظيفتها الأساسية للمعرفة فلابد أن تغيّر نظرتها إلى الإنسان، فتتعامل معه كمواطن وعضو في المجتمع، ومن ثم يحتاج إلى المعلومات التي يستطيع أن يستخدمها في تطوير حياته الاجتماعية وفي الحياة داخل

مجتمع يرتبط به ويشارك في بنائه وتطويره.

التوعية والحشد

وعن الدور المفترض أن يقوم به الإعلام المطبوع، قال د.عبدالعزيز السيد، رئيس قسم الإعلام بجامعة جنوب الوادي المصرية: الإعلام المطبوع له دور رائد، ويمكن أن يلعب دورًا في التوعية والحشد الجماهيري، وتقديم القضايا المجتمعية ومناقشتها وطرح أفضل الحلول لها؛ بشرط أن تكون ظروف العمل مناسبةً لخلق مناخ يساعد على إنجاز وتحقيق الهدف والدور المنشود، ومواجهة المعوقات التي تحول دون ذلك.

ورأى السيد أن الدور المنشود من الإعلام على مستوى الواقع السياسي العربي يختلف من سياسة تحريرية إلى أخرى، ومن طبيعة الخطوط الحمراء الموضوعة أمام الصحفيين والعاملين في تلك الصحف، وأمام تلك الضغوط المهنية والوظيفية والاقتصادية، إضافة إلى تقاليد المؤسسة وسياستها وأخلاقيات المحررين، ونمط تفكيرهم وأيدولوجياتهم الثقافية، والتشريعات والقيود تحول دون تقديم الصحف الأدوار بالشكل المطلوب، فالقيود والضوابط كلها عوامل تؤثر في طبيعة الأدوار التي لابد أن يؤديها الصحافيون في المجتمع، كل ذلك من إفرازات البيئة الصحافية العربية.

وأكد أن الدور الذي يؤديه الإعلام المطبوع في المجتمع من معرفة الحقائق والمعلومات تأثر في الفترة الأخيرة بظهور الشبكات الاتصالية، وأدوات الإعلام البديل كالإنترنت، ومواقع الصحف العربية والمدونات، مشيرًا إلى أن دور الصحف سيظل متدنيًا مع ازدياد المستوى التعليمي وخاصة الإلكتروني، وازدياد المستوى الاقتصادي؛ لأن تلك الفئات ستنصرف عن متابعة الصحف المطبوعة، وتتجه إلى الإلكترونيات.

وعن تقييم أداء الإعلام المطبوع في المجتمع، قال د.السيد: إننا نفتقد إلى الموضوعية التي تؤثر بشكل كبير في أداء الوظائف المجتمعية للصحافة، فالموضوعية لا تتحقق بنسبة ١٠٠٪

د.عبدالعزيز السيد: يجب أن يعود إلى الجماهير وليس السلطة أو جماعات الضغط والمصالح

في أي صحيفة سواء حزبية أو قومية أو خاصة، والدليل على ذلك أن كل أخبار الصحف الأولى في مختلف الجرائد يتم معالجتها بشكل انتقائي وفقًا لسياستها، حيث تقدس كل صحيفة شيئًا وتخلص له، فالصحف الحزبية تقدّس الحزب المنتمية إليه، والخاصة تقدّس الممول، والقومية تقدّس السلطة الحاكمة.

وتابع: الصحف نجحت في دور التوعية الصحافية بالمجتمع على المستوى التاريخي، على عكس الواقع المهتز لها اليوم، مشيرًا إلى ضرورة أن يعود دورها مرة أخرى ليرتبط باهتمامات ومصالح الجماهير وليس السلطة الحاكمة، وجماعات الضغط، والمصالح الخاصة، ورأس المال، والسلطة السياسية.

أما الأدوار التي يجب أن يؤديها الإعلام المطبوع في المجتمع على المستوى الحرفي، فأكد على ضرورة أن تطور الصحف من نفسها وفقًا للتغيرات المحيطة بها، والعمل على تطبيق الإعلام الاستقصائي، والبعد عن الطريقة القديمة في معالجة القضايا والمشكلات المجتمعية، وأن يؤدي دور «الحارس» الذي يمنع الجريمة أو الكارثة قبل حدوثها، لا أن يكون هو مشعلها.

تقييم ذاتي

من جانبه، قال صلاح عبدالصبور، أمين عام الاتحاد العربي للصحافة الإلكترونية: إن الإعلام المطبوع في الوطن العربي يظل المصدر الرئيسي للمعلومات، ونسبة كبيرة من الجمهور حتى مستخدمي شبكة الإنترنت لا يستغنون عن الصحف المطبوعة؛ نظرًا إلى أنها تمثل درجة كبيرة من المصداقية؛ نتيجة ارتباط كثير من الصحافيين والكوادر الصحافية المعروفة بها، وكذلك كُتاب الرأي، مشيرًا إلى أن وجود إعلام جديد من خلال شبكات الاتصال أو الفضائيات الموجودة، أسهم في الحد من أدوار الإعلام المطبوع بسبب عدم مواكبته السرعة المطلوبة في الأحداث.. لذلك يواجه الإعلام المطبوع تحديات كبيرة لإرضاء الجمهور، في ظل وجود وسائل أخرى أكثر تأثيرًا وإرضاءً، سواء عن طريق الفضائيات التي تقدم تحليلات لمصادر متنوعة قادرة على التحليل والتفسير، وكذا استضافة كبار الصحافيين من مختلف الصحف والانتماءات لتحليل القضايا الملحة، إضافة إلى الأدوار الطبيعة التي يقوم بها الإعلام في المجتمع، وهي أدوار تثقيفية وتنويرية من خلال عرض الأحداث وتحليلها، وتحريك الرأي العام في اتجاه معين.. وجنبًا إلى جنب تسير الصحف الإلكترونية مع الفضائيات في استقطاب جمهور الصحافة المطبوعة، وهذا لا يعني أن دور هذه الأخيرة قد اختفى، لكنه تأثر نسبيًا، وباتت مطالَبة بإعادة تقييم ذاتها لخلق أدوار جديدة تعيد بها القارئ.

وأكد عبدالصبور أن الإعلام سواء كان مطبوعًا أو إلكترونيًا له أدوار متشابهة، وهي بحث الأوضاع وتحليلها وتفسيرها، وتقديم الرأي والرأي الآخر، وتزويد الرأي العام بمعلومات حول قضايا مختلفة، وإن كان المحك الرئيسي هو تقديم المعلومة بشكل أسرع، وتقديم أكثر من خدمة، وهذا موجود ومتوافر أكثر في التلفزيون، أما «الإنترنت» فأصبح يقدم كل شيء عن طريق النص الفائق، في حين أن الإعلام المطبوع معتمد على المحتوى والصورة فقط، والذي يميزه هو تقديم خدمة رخيصة تستقطب الجماهير إليه.

ورأى أن المسألة مرتبطة بقدرة المستخدم على استخدام الوسيلة من عدمه، قائلًا إنه في فترة انقطاع الإنترنت كانت الفضائيات رقم واحد في كل شيء، بينما كان يتم توزيع الصحف كتوزيع المنشورات قديمًا، ففي ظل اختفاء كل الوسائل نجد أن الإعلام المطبوع قادر على القيام بكل وظائفه وأدواره، وفي تواجدهم يتأثر دوره ويواجه تحديًا كبيرًا.

.. وضاقت الدائرة

أدركني يا رب!

د. إيمان عادل عزّام - أكاديمية سعودية

منذ ما يزيد عن عشر سنوات انتقل إلى رحمة الله تعالى أحد الأفاضل من منسوبي كلية التربية بالمدينة المنورة، وفي ساعة وفاء أراد زملاؤه تحرير عدد خاص لتأبينه في نشرة أسبوعية تصدرها العلاقات العامة بالكلية، وطلبوا من الجميع المشاركة.

كنتُ إحدى القائمات على تلك النشرة، لم أكن أعرف المتوفّى، ولكني قرّرت الكتابة لأني أعرف ما يكفي لكي أكتبه في مثل هذا الموقف، كتبت يومها مقالاً أخاطب به نفسي وغيري على السواء.

ومضت الأيام سراعًا، وضاقت الدائرة، فصرت أعرف أكثر ممن يرحلون، ثم ضاقت الدائرة أكثر، فصار بعض من يرحلون ممن أحبّهم، ثمّ ضاقت أكثر وأكثر، وكلما ضاقت الدائرة؛ كنت أتذكر ذلك المقال الذي كتبته من ذلك المكان البعيد، خاصة العبارة الأخيرة منه التي كتبتها يومها بقلمي، لكني أصبحت أرددها عبر الأيام تارة بدموعي وتارة بروحي، وفي كل حالٍ فقد صرت أخاطب بالمقال نفسي أوّلًا ثمّ أوّلًا ثم أوّلًا، وغيري ثانيًا..

قلت يومها: ركبت قطار الحياة، هو نفسه ذات القطار الذي ركبه الأستاذ الكريم

السؤال الذي مازال يؤرقني .. من تراهم أصحاب المحطة القادمة..؟

منذ سنوات، وركبه أبي الحبيب قبل أن يرحل منذ ثلاثة أعوام.. وركبه أستاذي الجليل الدكتور محمد العيد الخطراوي قبل أن يغادره منذ أيام، إنه قطار من نوع خاص، عرفت ذلك تمامًا منذ البدء حين أذيع قانونه، وأعلن نظامه بوضوح وبصوت عال يسمعه الجميع.. نظام محكم مثالي، فاز من اتبعه، وشقي من احتال عليه.

قالوا: إنه قطار سريع.. لا يتوقّف متى أراد ركّابه، إنما يتوقّف متى أريد له، فينزل أقوام بعينهم، ويبقى آخرون، ولا يجمع الراحلين جامع، فمن بينهم: شيوخ مسنّون.. وشباب في عمر الزهور.. وأطفال صغار.. قد أعذر من أنذر.

استمعت النداء، وجلست في مقعدي المحدّد لي، ومكثت ساعة أرقب من حولي.. بعضهم في سبات عميق.. وآخرون تشغلهم الحياة.. فتاة تقرأ كتابًا كريمًا.. طفل يلعب في دلال.. وآخر في عينيه ذهول، عرفت بعد حين أنه لا أمّ له. شاب يحتال ليأخذ مقعد جاره.. وآخر يسرق حافظة نقود..

على بُعد.. أرى كبارًا وصغارًا.. رجالًا ونساءً.. شبابًا وشيوخًا، كلهم في ازدحام.. يتدافعون بقوّة.. شيخ كاد أن يسقط.. لم يلحظه أحد. امرأة حبلى على كتفها طفل، ووراءها اثنان، أخاف عليهم شدّة الزحام! كلّهم أخذ شيئًا لا أدري ما هو؟ فبالكاد أراهم، ولكني رأيت وجوههم في طريق عودتهم إلى مقاعدهم، وعجبت لشأنهم! وجوه ضاحكة، لا يحمل أصحابها إلا القليل.. وأخرى عابسة، وأيديهم مثقلة بما تحمل.

فجأة.. يتوقّف القطار.. ينزل أقوام.. تسود لحظة صمت، وحالة وجوم، أسمع عويل امرأة، وبكاء طفل، وخفقات قلبي بين جنبيّ.. يسير القطار، تمرّ ثوان، ترتفع الأصوات، ويبدأ الصخب من جديد. ويظلّ القطار يسير، تزداد سرعته، تصير السنة شهرًا، والشهر يومًا، واليوم ساعة.. نعم، أذكر.. هكذا أذاعوا في قانون القطار يومها.

يمضي وقت.. يتوقّف القطار من جديد..

يخفق قلبي كما لم يخفق من قبل.. ويْلي أعرف من نزل!.. نعم أعرفه من بعيد.. قديمًا كنت لا أعرفهم.. واليوم أعرفهم من بعيد.. وغدًا.. ؟ وبعد غد..؟ أقطع تفكيري هربًا مما قد يصل إليه.. تسكن نفسي إليّ.. يسير القطار من جديد..

يسير ويتوقّف.. تعود الحياة وترحل.. تخلو مقاعد كثيرة.. ويأتي الغد الذي هربت منه.. ويرحل عني أبي وشيخي وقدوتي في ليلة رمضان المبارك منذ ثلاث سنوات، أبي محبّ المدينة المنورة.. يعرفه الكبير والصغير.. الغني والفقير.. امتلأ قلبه بحبّ رسول الله ﷺ وآله وأصحابه وجيرانه، حبًا لا يتصنّعه أو يتكلّفه، وإنما أوتيه بمحض فضل من الله تعالى، منحه الله تعالى قلبًا رحيمًا ويدًا مبسوطة في الخير، وافاه الأجل ليلة رمضان عام ١٤٣٠ هـ وتحقق حلمه في أن يدفن في جوار رسول الله ﷺ في المدينة المنورة التي أحبّها حبًا شديدًا.. سماءها وأرضها وأهلها وساكنيها، ودافع عن آثارها ومساجدها وجبالها دفاع العالم الغيور؛ فأحبته المدينة المنورة وأحبّه أهلها، واستجاب الله دعاءه، فأكرمه بأن دفن في تربها العطر ببقيع الغرقد..

رحل أبي- رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة- وفي فجر الأول من رمضان المبارك امتلأت جنازته بالمساكين يبكون أباهم ويغالبون أسرته وأبناء صلبه على حمله وإنزاله إلى مرقده في بقيع الغرقد..

ربي.. بركانٌ في الصدرِ
يشتعلُ الجوفُ كما الجمرِ
وزفرتِ الروحَ مع الزفرِ
لكني أُومنِ بالقدرِ
وأنك مالكُ كلِ الأمرِ
أدركني ربي بالصبرِ..

وتابع القطار المسير.. ومنذ أيام قليلة في منتصف شعبان المكرّم غادرنا أستاذي الجليل الدكتور محمد العيد الخطراوي- رحمه الله وأسكنه فسيح جناته- درّسني في مرحلة البكالوريوس عدّة مقررات في اللغة العربية، كان رجلًا موسوعة، درس ليسانس في الشريعة ثم في التاريخ ثم في اللغة العربية التي عشقها واستقرّ مقامه بين حروفها، كان الدكتور الخطراوي من القلائل في عالمنا العربي الذين يعشقون ما يدرّسون، فيورّثون تلاميذهم ذلك العشق، فيكون العلم حقيقة نافعة، لا كلامًا يسوّد به وجه القرطاس، أو منهجًا علينا إنهاؤه.. لا أعرف أحدًا درّسه الدكتور الخطراوي إلا وقد ترك بصمته عليه بتلك الروح المرحة القوية المعطاءة، الدكتور الخطراوي- رحمه الله- علم من أعلام الأدب والشعر في السعودية بلدنا الحبيب، وله موقع على النت يمكن لمن يريد معرفة المزيد من شعره ومؤلفاته أن يطالعه، أحبّ- رحمه الله- المدينة المنورة وخدمها بمؤلفات عديدة، وأحبّته المدينة المنورة، فآوته معزّزًا ومكرّمًا إلى تربها الطاهر بجنة البقيع في يوم فضيل فيه تغفر الذنوب بفضل الله تعالى وكرمه وإحسانه.

رحم الله الدكتور الخطراوي، ورحم الله أبي وأسكنهما الفردوس الأعلى من الجنة مع حضرة النبي ﷺ وصحابته والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

نزل أستاذنا في محطّته، وكان أبلى بلاء حسنًا في قطار الحياة..

وتابع القطار المسير.. ويبقى السؤال الذي مازال يؤرّقني جوابه كلما خلا مقعد في قطار الحياة.. السؤال الذي شغلني منذ مقالي الأوّل.. السؤال الذي لا يودّ أحد سماعه، كما لا يعرف أحد جوابه.. من تراهم أصحاب المحطّة القادمة..؟

نسأل الله حسن الخاتمة.

حماية التنوع الثقافي والهوية من منظور إسلامي (٢/١)

د.حسن عزوزي
أكاديمي مغربي

مما لاشك فيه أن الثقافة تتخذ أشكالاً متنوعة عبر الزمان والمكان، وهذا التنوع يتجلى في أصالة الهويات المميزة للمجموعات والمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية وكذا في تعددها وتفاعلها.

ويتزايد تنوع هذه المجتمعات يومًا بعد يوم، مما يستدعي التفاعل المنسجم والرغبة في العيش المشترك بين الأفراد والمجموعات ذات الهويات الثقافية المتعددة والمتنوعة.

وبالرجوع إلى إعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي نجده يشير إلى أن التعددية الثقافية هي الرد السياسي على واقع التنوع الثقافي، وحيث إن التعددية الثقافية لا يمكن فصلها عن وجود إطار ديموقراطي فإنها تيسر المبادلات الثقافية وازدهار القدرات الإبداعية التي تغذي الحياة العامة، وإذا كانت الحقوق الثقافية جزءًا لا يتجزأ من حقوق الإنسان التي هي حقوق عالمية ومتكافلة فإن من حق كل شخص أن يتمتع بالقدرة على التعبير عن نفسه والإبداع في كل المجالات، كما أن له الحق في تعليم وتدريب جيدين يحترمان هويته الثقافية احترامًا كاملا فضلا عن الحق في ممارسة تقاليده وأعرافه الثقافية الخاصة المميزة.

إن إعلان اليونسكو عن التنوع الثقافي يكفل حرية التعبير وتعددية وسائل الإعلام والتعددية اللغوية والمساواة في فرص الوصول إلى أشكال التعبير الفني والثقافي والحضور الكامل في وسائل التعبير والنشر وهي مفاهيم وقيم تعتبر في إطار القانون الدولي ضمانات للتنوع الثقافي.

ولذلك فإن كل إبداع ينهل من منابع التقاليد الثقافية لابد أن يزدهر بالاتصال مع الثقافات الأخرى، ويعتبر إحياء تراث الشعوب بمختلف أشكاله ونقله إلى الأجيال القادمة طريقًا لتغذية الإبداع الإنساني بكل تنوعه والتحفيز على تأسيس حوار حقيقي وفعال وهادف بين الثقافات يخدم الأهداف الإنسانية ويساهم في إقرار ثقافة العدل والسلام والحوار بين الحضارات والأديان.

إن المفهوم الدولي للتنوع الثقافي يؤكد على أن تهتم السياسات الثقافية لبلدان العالم بإتاحة الظروف المواتية لإنتاج ونشر صناعات وخدمات ثقافية متنوعة تكون لها القدرة على إثبات الذات على الصعيدين المحلي والدولي، ولذلك يعهد إلى كل دولة تحديد السياسة الثقافية التي ترجو من ورائها تنفيذ إسهامها الطبيعي في التنوع الثقافي.

الحفاظ على التنوع الثقافي

يوجد في الحضارة الإسلامية ضرب من الأدب يعرف بأدب الاختلاف الذي هو خلق إسلامي ومظهر إيجابي من مظاهر الحضارة الإسلامية، إنه يؤكد على قيم الحوار وأدب الخلاف في الإسلام، لما في ذلك من إنصاف للخصم واحترام للرأي الآخر وتفصيل لأسس التنوع الثقافي الذي حافظت الحضارة الإسلامية عليه عبر القرون، ولم يسبق أن حفظ حق التنوع الثقافي وكفلت حرية التدين كما حدث في ظل الحضارة الإسلامية، ومهما تم خرق هذا الحق في بعض الأحيان خلال عصور التراجع الحضاري فإن هذا الحق يعتبر من الثوابت التي لا تتغير.

وقد وردت في القرآن الكريم نصوص متعددة تؤكد التنوع وتدعو إلى قيمه وتؤصلها، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الروم: ٢٢)، وقوله عز وجل ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٨-١١٩)، وقوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

إن الإسلام ينكر نزعة المركزية المفرضة التي تريد العالم نمطًا واحدًا والإنسانية قالبًا واحدًا منكرة على الآخرين حق التمايز والاختلاف ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (المائدة: ٤٨)، فهو سبحانه قد خلق البشر للتنوع والاختلاف لكن لن يتحقق المراد من هذا التنوع إلا إذا كان هنالك حوار يرسخ قيم التوافق والتعاون والتعايش بين أتباع الحضارات والثقافات المختلفة، وهذه القيم تنبني على ثلاث

قواعد:
- قاعدة الاحترام المتبادل.
- قاعدة احترام الخصوصيات.
- قاعدة التسامح.

لقد تميزت الحضارة والثقافة الإسلاميتان بتركيزهما على اعتبار «طلب العلم فريضة على كل مسلم» وأن «الحكمة ضالة المؤمن»، مما ساهم في إغناء التراث الإنساني في شتى حقول العلوم والفنون والآداب، لقد حرصت الشعوب الإسلامية عبر التاريخ على إظهار رغبتها وتأكيد إرادتها في المشاركة في إغناء الرصيد الثقافي الإنساني على أساس من احترام حقوق الإنسان وصون المقومات المادية والمعنوية للكرامة الإنسانية واعتبار التنوع الثقافي والحق في الاختلاف مقومًا أساسيًّا من حقوق الإنسان كما شرع لها الإسلام وحددتها القوانين الدولية.

إن نظرة الإسلام إلى الحق في التنوع الثقافي نابعة من كون القيم الروحية النابعة من مصدر ديني هي وحدها الكفيلة بتوجيه أنماط السلوك الحضاري الهادفة إلى صيانة الحضارة الإنسانية من الانحلال، وهو ما يقتضي التعرف على الآخر والاعتراف به، إذ بدون احترام الآخر في اختلافه لن يكون لقيم كالسلام والعدل والكرامة الإنسانية ولا للتسامح والمحبة والتآخي أي معنى، فثقافة السلام - مثلا - التي هي أحوج ما يكون العالم إليها اليوم بعد المستجدات العالمية الأخيرة تستوجب مبدئيًّا الإقرار بمشروعية الاختلاف واعتباره أمرًا طبيعيًّا بين الناس، ودليلا على التنوع الثقافي والحضاري، كما تستوجب أيضًا الإقرار بالتعددية في المعتقدات الدينية والهويات الثقافية، ولاشك أن أول ما يترتب عن الإقرار بمشروعية الاختلاف والتعدد الثقافي الالتزام بالحوار سبيلا إلى التفاهم ومنهجًا في التواصل والتعاون.

إن المقارنة الدينية هي الوسيلة المثلى للحفاظ على التنوع الثقافي وصيانته، لأن كل ما تم بناؤه على أساس من التوجيهات الدينية والمقاصد التشريعية للديانات السماوية يكون ذا جدوى ما دام ينبع من ذات الإنسان نفسه ولا يفرض من الخارج، وهو ما يكفل رفع الحواجز النفسية التي تعوق العمل على احترام وحماية مبادئ التنوع الثقافي وحث الدول على مراعاتها وإدماجها في سياساتها الثقافية والتنموية وأخذها بعين الاعتبار في علاقاتها مع الشعوب والأمم الأخرى.

الحوار الحضاري

إنه لا يمكن تصور حوار حقيقي بين الثقافات والحضارات إذا لم يكن هناك إقرار بمبدأ التنوع الثقافي، ومهما كانت هناك بعض وقائع الصدام والصراع، فالأمر ليس قدرًا محتومًا لأن العنف والجهل بالحقائق والخوف من الآخر ليست أمورًا حتمية بل هي نتاج للتربية والثقافة التي ينشأ عليها الفرد وتطبع سلوكه وردود أفعاله، ولذلك كان لابد في إطار التفاعل الحضاري من التمسك بالهوية الحضارية وحماية الشخصية الثقافية، ولاشك أن في كفالة الحق في التنوع الثقافي تأكيدًا على الخصوصية الثقافية لكل شعب من شعوب العالم وإبرازًا للهويات الوطنية ذات السمات الحضارية التي تشكل في مجموعها الهوية الإنسانية العامة القائمة على أساس وحدة الجنس البشري ووحدة الصفات المشتركة.

من جهة أخرى تتأكد خصوصية كل ثقافة في إغناء التراث الإنساني من خلال الاقتناع بعدم وجود ثقافة راقية وأخرى منحطة، فلكل ثقافة غناها المتميز وثراؤها الخاص، جاء ضمن مبادئ وأهداف الإعلان الإسلامي للتنوع الثقافي:

إن لكل ثقافة قيمتها ومكانتها وإسهامها في إغناء التراث الثقافي الإنساني وأنها معنية بالعمل على تجسير هوة عدم الفهم بين الحضارات وعدم إخلاء الساحة للتوجهات المعادية وللهجمات المغرضة لتستمر في تشويه صورة الإسلام والمسلمين والتجني على العقيدة السمحة.

إن الإسلام ينكر نزعة المركزية المفرطة التي تريد العالم نمطًا واحدًا، والإنسانية قالبًا واحدًا منكرة على الآخرين حق التمايز والاختلاف، فالمركزية الدينية التي تريد العالم دينًا واحدًا يشجبها الإسلام ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا﴾(المائدة: ٤٨)، ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ (هود: ١١٨).

إن الإسلام يرمي إلى حماية التنوع الثقافي والحفاظ على التعددية الحضارية في إطار سياسة تعاون دولي مبنية على أسس الحوار والسلم ونبذ منطق الهيمنة والقوة ويتضمن في الوقت ذاته إدانة العنف والإرهاب بشتى أشكاله ومصادره.

إن المنظور الإسلامي في حماية التنوع الثقافي والحفاظ على الخصوصيات الثقافية ينطلق من رؤى ثابتة تقضي بتحقيق أسس التفاهم والتحاور بين الدول والشعوب، إذ لا حوار إذا لم يكن هناك احترام للخصوصيات الثقافية التي تسمح بإيجاد تنوع ثقافي خصب تتلاقح من خلاله التصورات الثقافية لكل حضارة من الحضارات، ويمكن تقديم بعض هذه الرؤى من خلال ما يلي:

أ- إن التنوع الثقافي ثروة ينبغي ألا تكون مصدرًا للنزاع ونبذ الآخر بل سبيلا إلى توسيع الأرضية المشتركة التي يشترط تحققها الاعتراف بالآخر وتفهم مشكلاته ومقاصده وإدراكه على قدم المساواة وعدم استهدافه بالتمييز أو التحقير أو الإلغاء.

ب- إن حماية التنوع الثقافي تقتضي من جميع الأطراف الاقتناع بكون القيم والقواعد المشتركة أساسًا للحوار وسبيلا للتلاقي والتعاون بدل المجابهة،

لا حوار حقيقيًّا إذا لم تحترم الخصوصيات الثقافية.. والتعارف الحضاري مبدأ قرآني

والانفتاح بدل الانغلاق، والتفاهم بدل التجاهل، وإذا كان لابد من الاعتراف بأنه لا تزال توجد غربة فكرية للمسلمين عن الحضارة الغربية وغربة فكرية أعمق للغربيين عن الإسلام، فإن هذه العوائق يمكن أن تتبدد كلما كثرت اللقاءات الحضارية والثقافية بين الجانبين.

ت- ينبغي الاستناد إلى القيم الأخلاقية في الثقافات المختلفة في إعداد وصياغة منظومة عالمية للأخلاق والاعتراف بالمصادر المتنوعة للمعرفة، وبالتنوع الثقافي بوصفها سمات رئيسة للمجتمع الإنساني كرصيد لا غنى عنه لتقدم الإنسانية.

ث- إن صيانة وحماية قيم التعدد الثقافي لا تشكل ذريعة لإقصاء الآخر واستبعاده، فالتعارف الحضاري الذي هو مبدأ سام ونبيل دعا إليه القرآن الكريم يرمي إلى التواصل والتعارف بين الأمم والشعوب انطلاقًا من الخصوصيات الثقافية والتعددية الثقافية.

ج- لابد من احترام الشعائر الدينية والكتب المقدسة عند أهل كل دين باعتبار كل ذلك أصولا ومرتكزات للديانات التي تؤمن بها مختلف الأمم والشعوب، ولاشك أن احترام التنوع الثقافي والإقرار به يقتضيان عدم تشويه صورة الآخر وتمييع حقائق دينه والمس برموزه ومقدساته.

ح- إن حماية التنوع الثقافي للشعوب غير المتقدمة وإعادة الاعتبار لتراثها الثقافي وخصوصياتها الحضارية مدخل لتعزيز ثقافة السلام وإرساء سبل التكافل الثقافي الكفيلة بإظهار روح التعاون والتضامن اللذين هما عنوان الإقرار والاعتراف بالتنوع الثقافي وحقوق الآخرين.

خ- إنه لا وجود من حيث المبدأ لثقافة التربص أو المؤامرة عكسًا لما قد تفضي إليه الأحكام المسبقة ضد الثقافات والحضارات والصور النمطية للشعوب والأمم مع مواصلة الدعوة إلى الإفادة من مزايا العولمة وتلافي سلبياتها ومفاجآتها المحتملة.

د- إن التنوع الثقافي ثروة ينبغي ألا تكون مصدرًا للنزاع والتوتر ونبذ الآخر بل سبيلا إلى توسيع الأرضية المشتركة ودعم فرص التوافق والتلاقي وتقليل الفوارق وحل النزاع بالطرق السلمية، وبالمنهج القائم على الحوار المؤدي إلى زيادة الوعي بالقيم المشتركة بين الشعوب جميعًا.

ذ- إن حصيلة التراث الثقافي المادي وغير المادي الذي يراعي التعدد الثقافي في جميع أبعاده هو الذي يشكل الإرث المشترك للإنسانية جمعاء والذي تستلهم منه ما يقوي أسباب التفاهم الدولي ويوفر فرص الحفاظ على الأمن العالمي.

إن مواجهة تحدي العولمة في سياق الحديث عن حق التنوع الثقافي تفرض حشد جميع الجهود لترسيخ الثوابت والمسلمات التي يؤمن بها المسلمون والإسهام في تعزيز قيم التعدد والحوار والتعارف الحضاري الذي دعا إليه القرآن الكريم من خلال الآية القرآنية ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، وهو مبدأ إنساني حضاري مهم له أكبر الدور في ردع النزاعات والصراعات من جهة وتقريب الأفكار والمسافات ونسج أواصر التعارف والتفاهم بين الأمم والشعوب من جهة أخرى.

إنه بالتعارف والتواصل والاعتراف المتبادل يمكن تقريب الشقة بين مختلف الثقافات والحضارات وجعلها ينفتح بعضها على بعض في سعي حثيث نحو تلاقح متميز وتفاهم مفيد يسمح بالإقرار بالتعددية والتنوع الثقافي والاعتراف بما لدى الآخر من مقومات الإنتاج الثقافي والإبداع الحضاري.

التعلم الذاتي..واجب الوقت

لم تعد لدينا حجة كي نهمل أنفسنا ونحرمها من العلم الذي هو نور.. جامعات عبر الألياف الضوئية والكيبلات البحرية.. تخصصات في كل مجال.. وكتب مبسطة ومحاضرات عامة وأساتذة يبحثون عن متعلمين يعلمونهم ولا يريدون منهم جزاء ولا شكورا..

قديما كان التواصل مع المعلمين وأصحاب الخبرات مكلفا والآن صار شبه مشاع- على الأقل عبر الإنترنت- وصار بوسعك كرب أسرة أن تلفت نظر أفراد أسرتك إلى تلك البوابات السحرية للمعرفة.. الطفل له بوابته حيث متعة المعرفة واللعب التعليمي المفيد والمرأة لها بوابتها ومنتدياتها الخاصة في أمور دينها ودنياها والبالغون لهم التثقيف المناسب الذي يحول- بإذن الله- بين المرء وقلبه في هذه السن الحرجة.. يمكنك أن تدرس اللغة وأن تتقنها عبر أكاديميات تعليم تفاعلي ظهرت حديثا مثل «ملتقى الدارين» ومجانا لوجه الله.. يمكنك بدء مشوار الدراسات العليا بمصروفات بسيطة تبعا لجامعة عريقة مثل جامعة القاهرة.. يمكنك ذلك إذا أخلصت النية لله وحده وضيعت الفرصة على الشيطان؛ فرشّدت مشاهدة فضائيات اللهو واللعب والزينة والتفاخر، إلى أقصى حد. مع إيجاد البديل الذي يشغل وقت فراغ الصغار بما هو مفيد من بوابات المعرفة والمتعة في آن واحد. أحد المعارف خاض هذه التجربة- قد تستحق لفت الانتباه- وقام بإيصال جهاز كمبيوتر بشاشة تليفزيون منزله بعد أن فصل مستقبل القنوات نهائيا وصار ينتقي هو ويعود أولاده على انتقاء ما يريدون مشاهدته عبر «اليوتيوب» وبقية الملتقيات والصفحات التفاعلية.. نجحت التجربة وإن قابل في البداية امتعاض الزوجة والأولاد، ثم صار كل شيء على ما يرام بعد أيام.. يقول هذا الأخ: كل شيء أصبح متاحا الآن وما علينا إلا حسن الاختيار، لا التلقي الأبله لكل ما يفرض علينا فرضا، لأننا إذا أردنا أن نتعلم ذاتيا فعلينا أولا أن نتخلص- ذاتيا أيضا- مما يملأ أوقاتنا بالباطل.

إن «الوعي الإسلامي» عندما خصصت ملف هذا العدد لمحور التعلم الذاتي لتؤكد حرصها على نهضة الأمة عن طريق ملء الفراغ بالعلم النافع وتحسين المستوى العلمي المتحصل سلفا والمضي على طريق النور دون انتظار لقطار التعليم الرسمي أو نظيره الخاص ودون جلد للذات لا يفيد قدر ما يبث اليأس، ودون استعجال لنتائج كبرى بعد بذل مجهودات صغرى، ومع مراعاة سنن الله في الكون. وتعرض «الوعي» في هذا الملف لتجارب واقعية لشباب علموا أنفسهم بأنفسهم في منازلهم حتى وصلوا إلى كليات مرموقة، ولا أحد ينكر أن كاتب العبقريات عباس محمود العقاد علم نفسه بنفسه حتى صار على ما هو عليه وهناك آخرون ساهموا بجهدهم في تعليم أبناء منطقة كبيرة في جنوب مصر اللغة الإنجليزية والحاسب الآلي. كما لم ننس الربط بين التعلم الذاتي والعمل الذي يستتبعه، فلا قيمة للعلم إن لم ينتفع به.

ولا يخفى على أحد موقف الإسلام من التعلم الذاتي، فكما تقول الدكتورة أندي حجازي: قد شجع الإسلام على العلم من خلال البحث في علوم الدين والدنيا، بل والسفر لاكتسابها أحيانا.

علاء الدين عبدالفتاح

أهميّة العِلم والعمل لخدمَة الإنسانية

هناء ثابت - باحثة في الدراسات الإسلامية

ها نحن نضع بين يديك أيها القارئ الكريم الملآلئ النفيسة ونقدّم لك من جواهر العلوم والمعارف ما يهيئ لك بناء التربية الصحيحة في نفوس أولادك وأهلك ومجتمعك على أحسن وجه، من خلال ما سطّره الإسلام من تعاليم لأجل توفير أحسن الرعاية الطيّبة لكلّ البشرية، وما يؤهّل لكلّ سالك الخروج من المآزق الحرجة والمسالك الضيّقة سالمًا مسلمًا.

فما أنت فاعل؟ بعد أن هديت إلى الرشاد، وعلمت ما لم تكن تعلَم، أنت مطالب بعد أن اقتنيت هذه المجموعة الضخمة من الجواهر الثمينة، ببناء المستقبل الأخلاقي الباسم، والإسلام يطالبك بدفع الثمن!!

أتدري ما ثمن هذه الحِكَم والمواعظ؟؟

الثمن هو التنفيذ والتطبيق.. الثمن هو العمل بعد العلم.

فيا بناة المستقبل: ثمن العلم هو العمل، وهو سلوك الطريق السوي بعد الاهتداء على ضوء مصابيح الهداية، هو السير في مضمار العناية بالأخلاق وفق المناهج المخططة للسير المستقيم:

العلم والعمل محورا السير وشريكان في قرن لا يصلح أحدهما بدون الآخر، ومَثَلُ العلم كالمصباح المنير ومَثَلُ العمل كالشّخص الفَذ البصير، فمتى استضاء البصير بالنور تركّزت لديه قواعد الحياة وفق مناهج السير السوي ونالت الإنسانية رغبتها في سبيل مجد المستقبل!!

روي عن عمّار بن ياسر رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى حي من قيس أعلّمهم شرائع الإسلام فإذا قوم كأنّهم الإبل الوحشية، طامحة أبصارهم، ليس لهم همّ إلاّ شاة أو بعير، فانصرفت إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا عمّار، ما عملت؟» فقصصت عليه قصّة القوم وأخبرته بما فيهم من السّهوة.

فقال: «يا عمّار، ألا أُخبِرك بأعجب منهم؟ قوم علموا ما جهل أولئك ثم سهوا كسهوهم».. فعمّار بن ياسر يعجب من إنسانية ضيّقة لا تعرف في الحياة من هم لها أكثر من الشاة والبعير وانغماس في حدود هذه المادّية الضيّقة.. الشاة أو البعير وتفتنها موارد هذه الثروة عن متابعة

الهدف الإنساني في العلم، ويأسف عمّار أسفه الشديد على هؤلاء، فإذا برسول الإنسانية يأخذ أسفه هذا ويتناوله بالصّياغة الحكيمة ويقول له: «ألا أخبرك بأعجب منهم؟ قومٌ علموا ما جهل أولئك ثم سهوا كسهوهم» أي: عرفوا ما جهل أولئك ثم مازالوا يدورون في فلك التخلّف عن التنفيذ والتطبيق فكانوا والجاهل سواء في طمس معالم الطّاقة الإنسانية عن انطلاقتها التحررية نحو النجاح الموفّق المرتقب!! وليسوا سواء في المسؤولية.. مضيع على علم، وضائع على جهل!! فالعلم من شأنه أن ينير شعلة الوجود الإنساني لابتكار أيسر السبل نحو حياة أفضل.

والعالم من شأنه أن يتّخذ الإجراءات العملية لخدمة الإنسانية وفتح الأبواب التي أغلقها الجهل فإذا تعلّم المتعلّم ثم تنكّر للعمل فيكون مضيعًا على علم وليست هذه الصفة شيمة الفكر الوضّاء والعقل المتحرر.

كان سيّدنا عيسى عليه الصلاة والسلام يقول: «مثل الذي يحمل العلم ولا يعمل به كمثل الأعمى يحمل سراجًا ليستضيء به غيره».

وقال رسول الله ﷺ: «مثل الذي يُعَلّم الناس الخير وينسى نفسه مَثل الفتيلة تضيء على الناس وتحرق نفسها أو كالسّراج يضيء للناس ويحرق نفسه»، وقال ﷺ: «إنّ أناسا من أهل الجنّة ينطلقون إلى أُناس من أهل النار فيقولون: بم دخلتم النار؟ فيقولون: إنّا كنّا نقول ولا نفعل!!»

لذا حَرص السلف الصّالح عند العلم أن يكون العمل قرينه ورفيقه وقالوا: غاية العلم العمل.. وإنّ العمل نتيجة لازمة للعلم وإلاّ كان العلم عبثًا من العبث، وليًّا للعلم عن قصده من الصلاح والإصلاح وخيانة ظاهرة للمجتمع يستحق عليها صاحبها المقت من الله ومن الناس، والأحاديث الشريفة صوّرت عظم المسؤولية غدًا لِمن هجروا العملَ ولبسوا زينة القول فقال ﷺ: «كل علم وبال على صاحبه إلاّ مَن عمل به»، وفيما رواه الإمام أحمد عن منصور قال: نبّئت أنّ بعض من يلقى في النار يتأذّى أهل النار بريحه، فيقال له: ويلك ما كنت تعمل؟ ما يكفينا ما نحن فيه من الشّر حتّى ابتلينا بك وبنتن ريحك، فيقول: كنت عالمًا فلم أنتفع بعلمي.

وقال ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس وعَدَّ النبي ﷺ من جملتها: علمه ماذا عمل فيه؟ أي ماذا عمل فيما علم».

وعن الحسن قال، قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يخطب خطبة إلاّ الله عزّ وجلّ سائله عنها أظنّه قال: ما أراد بها؟ وكان مالك بن دينار: إذا حدّث بهذا الحديث بكى طويلا ثم يقول: تحسبون أنّ عيني تقرّ بكلامي عليكم وأنا أعلم أنّ الله عزّ وجلّ سائلي عنه يوم القيامة، ما أردت به؟

وفي الحديث الشريف «أنّ الرجل لا يكون مؤمنًا حتّى يكون قلبه مع لسانه سواء ويكون لسانه مع قلبه سواء ولا يخالف قوله عمله و يأمن جاره بوائقه».

وكان أبوالدرداء يقول: إنما أخشى من ربّي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوس الخلائق فيقول لي: يا عويمر، فأقول: لبيك ربِّ، فيقول: «ما عملت فيما علمت؟».

ومتى أدركنا هذا الهدي النبوي علمنا كيف أنّ السلف الصالح تباطأوا في الاستظهار إذ كان قصدهم الأجلّ هو استظهار العمل لا لوك اللسان وتكرار الرواية.. روى الإمام مالك في الموطأ: أنّه بلغه أنّ عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلّمها.. وذكر عبدالله عن أبيه عمر قال تعلم أبي عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة فلمّا ختمها نحر جزورًا.

وكفى بالقرآن معلّمًا ومطالبًا المؤمنين بالعمل بما علموا إذ قال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ – (الصّف: ٢-٣).

وهزّ القرآن جانب العقل الإنساني لاستطلاع النتائج المترتّبة على ترك العمل بعد العلم فقال سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٤٤).

وذكر الله سبحانه من شأن الدّاعي أنّ خلايا وجوده وحقيقة نفسه تنطق بما يقوله لسانه فقال حكاية عن شعيب صلّى الله عليه وسلّم إذ نصح قومه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨)، فطبّق ونفّذ شعيب ما يقوله لهم من قبل أن يدعوهم إليه.

قال قاضي القُضاة (أبويوسف): كنت أمشي مع أبي حنيفة فقال رجل لآخر، هذا أبوحنيفة لا ينام الليل، فقال أبوحنيفة: والله لا يتحدّث الناس عنّي بما لم أفعل.. فكان يحيي الليل صلاةً ودعاءً وتضرّعًا، فأبوحنيفة العالم العظيم، منار الفقه الحنفي، كان الفضل في انتشار علمه وتفتّح روضه- عمله بما عَلِم وورعه أن يقول الناس عنه ما ليس فيه، ومن أثر هذا الإلزام لنفسه أن تراءت له الحقائق ونفذ نور بصيرته إليها فطبق شرق الأرض وغربها ذكره وسارت الركبان بأقواله، كان يرى أن من الفقه العمل قبل القول.. فهذا سبب النجاح الباهر الذي كسبه في حياته من الأصالة في الرأي والنباهة في الذّكر، فممّا جعله صاحب الرياسة في الفقه إلزام نفسه بالتنفيذ العملي لما كان تَعلّم أو يُعَلِّم، فالعالم الذي يغبط على علمه هو الذي يكون مخزونه الاحتياطي من العمل أكثر بكثير من أقواله حتى تكون له في آفاق مجتمعه الأرصدة الضخّمة من ثمرات علمه يجني هو أوّل ما يجني من بركتها كما يجني الناس من ثمراتها.

وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلًا للّذي تحلّى بآداب دين الله علمًا وعملًا فأفاد واستفاد وأينع زهره وترعرع روضه كما ضرب مثلا للّذي هوى وغوى ولم يقبل هدي الله ولم ينتفع بتعاليم السماء.. فقال ﷺ: «مَثَل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمَثَل غيث أصاب أرضًا فكانت منها طائفة طيّبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير فكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى منها إنّما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل مَنْ فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله به فَعَلِمَ وعَلَّمَ» (رواه البخاري ومسلم).

ففرق عظيم بين أرض فيها من كلّ فاكهة زوجان أي تحفظ الماء ليشرب منه الإنسان والحيوان وبين أرض انتزعت منها الفائدة ولم يُبارك الله فيها فلا تنبت إلاّ العذاب والخراب وحرمان الإنسان والحيوان من نفعها وفي جنباتها العذاب الأليم!

ومن هنا يتبيّن عظيم المسؤولية ومقدار الدّقة في وضع البرامج العلمية ويظهر على مسرح الحياة عظيم المسؤولية على من يلي الإشراف على هذه المناهج والبرامج فعليهم تلقى مهمّة إيقاظ العزائم لدى روّاد العلم أن يشتاقوا للعمل مع العلم وعليهم توجيه الأنظار واختيار الأساليب المبتكرة في حلقات الدراسة ليلبس الطالب لبوس النفع من العلم ويفهم كيفية الوصول إلى ثمراته وحل معضلات الحياة على ضوء ما تحصل لديه من معرفة وعلم مثمر، والأمانة العلمية ستطالب النشء الصّاعد بتقديم أحدث النتائج المترتّبة على علمهم حتى لا تتخلّف الأمّة عن مسايرة ركب الحضارة ولتكون في مصاف الأمم الحيّة المنتجة التي تركّز العلم لديها على قواعد العمل الراسخ المفضي إلى ازدهار مطرد.

فالعالم السطحي الذي يبقى وراء بريق الأقوال وحشو الدّماغ بالنظريات الفارغة يشقى وتشقى به أمّته، وقد استعاذ ﷺ بالله من علم لا ينفع وقال ﷺ: «إنّ أشدّ النّاس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه».

وصلّى الله عليه وسلّم مُعَلّم الناس الخير ورسول الهدى والإنسانية القائل: «ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدي صاحبه إلى هدى أو يردّه عنْ ردى وما استقام دينه حتى يستقيم عَمَله».

وقال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ بما عَلِم أورَثه الله ما لم يعْلَم».

المراجع

-إحياء علوم الدين: للغزالي.
-الهداية في الفقه الحنفي وشرحها، للمرغيناني.
-في سنن الله الكونية، محمد أحمد الغمراوي.
-العلم يدعو للإيمان، تأليف، أ.كريسي موريسون، وتعريب/ محمود صالح الفلكي.
-العلم والإيمان، محمد خشبة.
- مناهج الأدلّة في عقائد الملّة، لابن رشد.
-تراث الإسلام، لجمهرة من المستشرقين.
-الإبداع في مضار الابتداع، الشيخ علي محفوظ.

متعة حب المعرفة

إيمان القدوسي - كاتبة مصرية

سئل ابن المقفع: من أدبك قال: نفسي، كنت إذا رأيت حسنًا أتيته وإن رأيت قبيحًا اجتنبته.

وفي الحقيقة كل إنسان يظل في حال من التعلم الذاتي طيلة حياته، وما نتعلمه من الحياة وتجاربها أكثر عمقًا وأعمق أثرًا مما نتعلمه في المدارس.

قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

تمنحنا الدراسة الأكاديمية أسس المعرفة وأساليب تلقي العلم، وإذا اكتفينا بهذا القدر فإن ما تعلمناه يكون عرضة للتلاشي والزوال، أما إذا طورنا معارفنا بالقراءة واكتساب المهارات في مجال تخصصنا فإننا نصل لدرجات من المعرفة العميقة ونرتقي بمهاراتنا.

تحضرني قصة شاب كان شغوفًا بتعلم اللغة الإنجليزية، فعلمها لنفسه تعليمًا ذاتيًا عن طريق متابعة البرامج التعليمية في إذاعة الـ«بي بي سي»، حتى أتقنها وصار قادرًا على سماع ومتابعة الإذاعة وعمل مداخلات في برامجها، وبينما كان أهله يلومون عليه هذا الولع باللغة الذي أثر على مستواه الدراسي في كليته، ظل هو ماضيًا في طريقه ينتقل من نجاح إلى نجاح حتى تخرج في كلية الآداب بتقدير عادي وانضم لطابور الباحثين عن عمل.

ثم تقدم للسفارة البريطانية بطلب للعمل كمترجم رسمي بناء على إعلان نشرته بصدد هذه الوظيفة وقد أدى جميع الاختبارات بتفوق ولكن ساوره القلق في إمكانية الفوز بالوظيفة لأن من تقدموا معه كانوا من الحاصلين على شهادات الماجستير والدكتوراه في اللغة، وكانت المفاجأة هي اختياره من قبل السفارة لأنه كان أكثر المتقدمين تمكنًا في اللغة يفهمها وينطقها ويتذوقها كأهلها، ووقتها اعترف الجميع أن جهوده في التعلم الذاتي لم تذهب سدى.

إن التعلم الذاتي في الحقيقة هو السبيل الذي يسير عليه كل المتميزين في مجالاتهم فلا يمكن لطبيب أو إعلامي أو مهندس أن يحتفظ بتفوقه وتميزه في مجال عمله إلا باتخاذ التعلم الذاتي منهجًا له يجعله متجددًا متابعًا مواكبًا لعصره دائمًا.

هل التعلم الذاتي ضرورة؟

- في الحقيقة نعم، هو ضرورة في كل مراحل الحياة، وسواء كان ذلك أثناء الدراسة في المدارس أو خارجها، الأصل في التعلم هو رغبة الفرد في اكتساب المعرفة، بل إن «حب المعرفة» هو قمة «هرم ماسلو» في الاحتياجات الفطرية للإنسان، أن أعرف أن اكتشف وأبتكر، أن أضع بصمتي الخاصة على صفحة البشرية، أن أنقش اسمي بأحرف من نور في سجل الخالدين، أن أسهم في جعل الحياة أفضل فيكافئني ربي ويشكرني الناس وأشعر بالتحقق وتقدير الذات وأنني قد أديت مهمتي كعبد صالح يترك وراءه بقعة من النور.

لو أن هذه الصفة اصطحبها الإنسان منذ الصغر لأفادته كثيرًا، ففي هذه الحال سيستفيد كثيرًا من الدراسة في المدرسة ثم الجامعة، وذلك لأنه سيتقبلها بنفسية المريد المحب للعلم فيستوعبها ويطورها أيضًا، وهذا هو ما فعله «بيل جيتس» حين كان طالبًا في المرحلة الثانوية وشغف حبًا بـ«الكمبيوتر» الذي كان وقتها اختراعًا جديدًا وليس في متناول الجميع، لقد بذل الفتى النابه كل ما في وسعه من وقته وجهده وماله القليل ليزداد معرفة بأسرار «الحاسوب» ولم يكتف بالمعرفة، بل قام بتطويرها وجعل الحاسوب جهازًا شخصيًا في متناول الجميع وأسس شركة «مايكروسوفت» العملاقة وحقق نجاحات مذهلة في تطوير الجهاز الذي أحبه فأفاد البشرية كلها بما أحدثه من تطوير، لقد بدأ الفتى «بيل جيتس» كطالب شغوف بالعلم يريد أن يعرف ويطور هذا الجهاز الجديد، وربما لم يدر بخلده أن يصبح من أشهر وأنجح وأغنى رجال العالم بسبب هذا الشغف بالمادة التي كان يدرسها في المدرسة كمادة هامشية.

كيفيّة التعلّم الذاتي

د.آندي حجازي- أكاديمية أردنية

التعلم الذاتيّ أحد المهارات الأساسية المهمة للتعلم الفعّال المَرجو في مجتمع يهدف إلى المعرفة المستدامة ومواكبة التقدّم، وهو العملية التي يقوم بها المتعلمون لتعليم أنفسهم بأنفسهم، مستخدمين طرقًا معينة تناسبهم لتحقيق أهدافهم.. فهو النشاط الواعي للفرد بأي عمر كان لتحقيق أهداف معينة تعمل على تنمية فكره وشخصيته.

والتعلم الذاتي هو استراتيجيات التعلم والتعليم الفعالة في مواجهة كثير من المشكلات التربوية، ومواجهة تطور العصر الحالي والانفتاح على العالم، وعلى الكم المعرفي الهائل المنتشر عبر وسائل الإعلام والوسائل التكنولوجية، فهو ضرورة لتدريب الأفراد على كيفية الاعتماد على أنفسهم في تحصيل المعرفة والعلم، حيث إن المعرفة التي يبذل الفرد جهدًا في سبيل الحصول عليها هي التي تُحدث التعلّم الحقيقي.. أما مجرد تلقّي المعلومة من الآخرين فإنه يجعل الآخر هو الفاعل في عملية التعلم لا الشخص نفسه، ما يعني تعلّمًا غير ذي معنى، وسريع النسيان بأقرب وقت.

والتعلم الذاتي ظهر منذ أن وُجد الإنسان على ظهر الأرض، واستمر على مرّ العصور من خلال محاولات الإنسان البحث عن المعرفة والمعلومات والإبداعات بنفسه وبجهده الذاتي.. واليوم عادت الأصوات تنادي بتفعيل التعلم الذاتي.. فقد اكتشف المسؤولون عن التربية والتعليم أن التعلم الأمثل والمحفّز للإبداع هو الذي يجعل المتعلم فاعلًا نشيطًا باحثًا عن العلم والمعرفة بنفسه، واكتشف المعلمون في المدارس أن عليهم تعديل طرق تعليمهم، وإشراك

الطلبة في عملية التعلم. فالتعلم الذاتي يجعل عملية التعلم متمركزةً حول المتعلم نفسه لاحول المعلم، بحيث يكون المتعلم حرًّا في اختيار ما يريد تعلمه، ومتى وأين وكيف يتعلم، ما يجعل التعلم أفضل وأكثر ديمومةً في الذهن، فهذا النوع من التعلم يعتمد على أن يبحث الشخص بنفسه- مهما كان عمره- عن المعلومة ويعالجها في عقله بشكل فاعل، فيختار منها ما يريد ويترك ما يريد، فيكون التعلم مقصودًا لا إجباريًّا، وبالتالي أكثرَ نفعًا للفرد وللمجتمع، وما ينطبق على المعلمين ينطبق على الآباء في البيوت، فليس عليهم أن يقدموا المعلومة جاهزةً لطفلهم، بل عليهم السماح لابنهم بالبحث عنها بنفسه والتفكير فيها، مع تهيئتهم للظروف المُعينة على ذلك.

فهذا لا يعني أن يُترك المتعلمون والأطفال خاصةً هائمين على وجوههم دون توجيه، بل إن هناك دورًا فاعلًا للمعلم والوالدين والمحيطين بالأشخاص في توجيههم، كأن يُوفّر المعلم لطلبته في الصف والوالدان لأطفالهم في البيت الألعاب الهادفة، والأنشطة التعليمية، والمواقف والمشاكل التي عليهم التفكير فيها والتفاعل معها، والتعلم الذاتي من خلالها، وكذلك توفير المواد والأدوات اللازمة والوقت الكافي للتفكير، آخذين في الاعتبار مقومات وخصائص المتعلم العقلية والشخصية والنفسيّة والسلوكيّة والاجتماعية والعمريّة، كما أنه يتطلب توفير دافع وأسلوب وبيئة تُحفّز التعلم الذاتي.. كتقديم التعزيز المادي والمعنوي عند النجاح في المهام التعلمية، خاصة للأطفال الصغار، ولذا لابد من إحداث تغيرات جذرية في طرق التعليم والتفكير، بحيث تتسم بالمرونة والفاعليّة والجاذبية للأفراد، ما يعني أساليب تعلم أكثر متعة وفائدة للمتعلمين.

فالتعلم الذاتي هو تغيّر دائم ومستمر نحو الأفضل يُشعر الفرد بقيمته وكيانه ونشاطه في الحياة. وقد آثار عالم النفس ماسلو- صاحب الاتجاه الإنساني3 في التعلم والتعليم- أهمية جعل عملية التعلّم أكثر إنسانية واحترامًا لقيمة وذات المتعلم وإمكاناته وقدراته، ونادى بأن على المعلّمين أن يثقوا في طلبتهم وفي قدراتهم، وأن يحترموا شخصياتهم، وأن يُهيئ المعلم أو الوالدان في البيت للأفراد- أثناء عملية تعلمهم- الجو الذي تسوده الإيجابية والديموقراطية والقبول، من أجل التعلم الأفضل، مع ضرورة اعتقادهم بأن كل متعلم هو فريد في خصائصه واستعداداته.. وأن لكل إنسان القدرة على الإبداع إذا ما أتيحت له فرص التعلم الأمثل، والتي من أهمها توفير فرص التعلم الذاتي المخطط له بشكل جيد، وذلك أملًا في تحقيق الأفضل لنفسه ولمجتمعه من خلال ما يملك من علم ومعرفة وإبداع.

ولا ننسى موقف الإسلام من التعلم الذاتي، فقد شجع عليه من خلال البحث في علوم الدين والدنيا، بل والسفر لاكتسابها أحيانا، وقد قال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمسُ فيه علمًا سهّل له به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء» (رواه أبوداود والترمذي وابن ماجة)، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرجَ في طلبِ العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» (رواه الترمذي، وقال حديث حسن).

ميزات التعلم الذاتي

وأهم تلك الميزات:

مراعاة الفروق الفردية بين الأفراد، فكل متعلم يتعلم وفق قدراته واستعداداته وأهدافه وسرعته.

- جعل الفرد نشيطًا فاعلًا وفرحًا أثناء عملية التعلم.
- ديمومة المعلومة في الذاكرة لأطول مدة للاستفادة منها مستقبلًا.
- تنمية الإحساس بالمسؤولية والاعتماد على الذات لأبنائنا، وهذا ما نحتاجه في واقع الحياة من أجل التطور والإنتاجية.
- إعداد الأبناء للمستقبل، وزيادة قدرتهم على حل المشكلات.
- توفير تحكّم أكثر في وقت التعلم للفرد ومكانه وأدواته وأساليبه ومحتواه، ما يعني تعلّما فاعلًا مفيدًا.
- يعتبر أسلوب التعلم الأفضل؛ لأنه يحقق للمتعلم التعلم الأمثل وفقًا لقدراته وإمكاناته وميوله ورغباته.
- المساعدة في مراقبة أداء الفرد لنفسه، وتقييم أدائه، وتقييم وتوجيه الآخرين له كالوالدين أو المعلم.
- يكون دور المعلم فيه مُوجّهًا ومُنظّمًا ومُسهّلًا للعملية التعليميّة، وكذلك دور الوالدين.

ومن أشهر طرق التعلم الذاتي، والتي يمكن للمتعلمين والمعلمين استخدامها.. ومع جميع الأعمار:

أولًا: التعلم المبرمج، والذي تقوم فكرته على أن يحدد المعلم أو المشرف على عملية التعليم مهمة معينة للطالب، ويقوم بتكليفه للقيام بهذه المهمة بالطريقة التي أعدها له مسبقًا، والتي تراعي قدرات ومستوى المتعلم، بحيث يُقسّم المعلمُ المهمةَ الكلية إلى مهام جزئية تُيسّر على المتعلم عملية التعلم خطوةً بخطوة، وصولًا إلى النهاية، فلا يستطيع المتعلم الانتقال إلى المهمة التالية ما لم ينفذ المهمة التي قبلها وفقًا لخبراته ومستواه، كما في حل المسائل الرياضية والفيزيائية، أو كالتعلم المبرمج بالحاسوب لمهام تعليمية معينة، كأن يقوم الطفل باللعب بألعاب حاسوب (كمبيوتر) معدة مسبقًا من المعلم، وتحقق أهدافًا تربوية محددة.

ومن ميزات هذا التعلم أنه يراعي الفروق الفردية وسرعة المتعلم الخاصة في التعلم، وفقا لقدراته وذكائه ومعلوماته.

ثانيًا: استخدام مصادر الانترنت والوسائل التكنولوجية، وهذا التعلم الإلكتروني والتكنولوجي يتضمن البحث

عن المعلومة عبر شبكة الإنترنت في أكثر من موقع، وكتابتها بلغة المتعلم، مع توثيق مصدر المعلومة، ولا يشمل ذلك فقط حصول المتعلم على المعلومات اللفظية المكتوبة، كالمعلومات المتفرقة والمقالات والحوارات والدراسات والأبحاث.. بل يشمل أيضًا حصولَه على البرامج السمعية والبصرية، كأفلام الفيديو والسمعيات المدعّمة للموضوع، أو التعلم من خلال إجرائه محادثات عبر الشبكة العنكبوتية مع أشخاص متخصصين حول الموضوع المراد تعلمه، ويشمل هذا النوع من التعلم ما يشاهد الشخص ويسمع عبر التلفاز والمذياع.

ثالثًا: استخدام أوراق العمل وصحائف الأعمال، وتتم عملية التعلم هنا من خلال إعداد المعلم- أو المعني بعملية التعلم- لأوراق تدعم عملية التعلم للموضوع، ومحاولة الفرد حلها بنفسه أو بمشاركة زملائه، وتتميّز صحائف الأعمال عن أوراق العمل بوجود الحلول لأسئلة الصحيفة في نهايتها؛ من أجل أن يتأكد المتعلم من الإجابات بنفسه دون الرجوع إلى المعلم، بينما أوراق العمل يمكن مناقشتها مع المعلم لاحقًا، بعد محاولة المتعلم الإجابة عنها بنفسه أولًا، ما يعين على التعلم الذاتي، وتصلح أوراق العمل كتعلم ذاتي مع الكبار والصغار باختلاف أعمارهم، كالتي تُستخدم في ورش العمل.

رابعًا: التعلم في مجموعات، حيث يعتبر التعلم التعاوني في مجموعات نوعًا من أنواع التعلم الذاتي؛ لأن الطلبة يتوصلون إلى المعلومة بأنفسهم من خلال تبادل الآراء والأفكار والحلول للمشكلات، وذلك ممكن في كل الموضوعات والمواد الدراسيّة.

فالتعلم في مجموعات لا يتعارض مع التعلم الذاتي بل هو داعم له، بدلًا من الاعتماد على المعلم في إيصال أفكار وأهداف الدرس بالطريقة التقليدية، ويمكن استخدام التعلم في مجموعات مع الكبار في ورش عمل كأسلوب مهم للتعلم الذاتي.

خامسًا: التعلم بالاستقصاء والاكتشاف، وهو البحث عن المعلومة من خلال استقصاء الطالب بنفسه عن المعلومة المراد تعلمها، فيمكن أن يبحث في الكتب والمجلات والصحف ووسائل الإعلام المختلفة، أو بسؤال الآخرين، أو من خلال التجريب، كأن يقوم المتعلم نفسه بإجراء التجارب الشخصية والمخبرية والحياتيّة، فالتعلم بالاستقصاء هو وسيلة رائعة للتعلم لا تتعارض مع إشراف المعلم أو الكبار، في حين يتميز الأطفال بحبّ الاكتشاف والمغامرة والتعلم عن طريق هذا الأسلوب الذي جُبلوا عليه.

سادسًا: الحقائب التعليمية: وهي برامج محكمة التنظيم ومهيأة من قبل المعلم مسبقًا، وتتميز هذه الحقائب بوضوح أهدافها وجاهزيتها من حيث الأنشطة التعليمية والمواد والأدوات اللازمة للتعلّم الفردي، كجاهزية أوراق العمل والأدوات المختبرية أو الأشرطة السمعية والبصرية، والنصوص اللازم قراءتها، والأسئلة والمهام والأهداف المراد تحقيقها، مع توضيحها الاستراتيجيات اللازمة للتعلم، بالإضافة إلى تقديمها لوسائل تقويمية مناسبة لمدى تحقق التعلم.

فالحقيبة التعليمية تعتبر وسيلة فعّالة في تحقيق عملية التعلّم الذاتي للفرد، تُسهم في إتقان التعلم، لأنه لا ينتقل إلى هدف تال ما لم يحقق الهدف الذي قبله؛ لأن التعلم من خلالها متسلسل بأهدافه.

سابعًا: استخدام غرف مصادر التعلم، فتلك الغرف- أو ما يُعرف بمصادر التعلّم- تعمل على توفير مناخ تعليميّ مناسب للتعلم الذاتيّ يوفر للمتعلم الحرية والديموقراطية وآفاق التعلم الذاتي، فغرف المصادر توفّر بيئة مناسبة للتعلم بالاعتماد على الذات، من خلال ما توفره من وسائل تعليمية كالصور والرسومات والبطاقات والمجسمات والعينات والخرائط والحواسيب والكتب والمجلات والأشرطة السمعية والبصرية، وأجهزة مختلفة، واتصال عبر شبكة الإنترنت، ومكان مفتوح لإنجاز المشاريع، وذلك مع توجيه من المعلم أحيانًا، أو من مسؤول الغرفة، مع تقديمه التغذية الراجعة للمتعلم.

ثامنًا: استخدام أسلوب حل المشكلات، وهو أسلوب رائع لتنمية التفكير الإبداعي والذاتي، وهنا يقوم المعلم أو الوالدان بتقديم مشكلة للمتعلم من واقعه، أو افتراضية

تتناسب مع عمره ومعارفه والأهداف المرجوة، ويُطلب من الشخص بدايةً جمع المعلومات حول المشكلة من مصادر مختلفة، ومن ثم التفكير في المعلومات المتاحة وبالأفكار الرئيسية والفرعية ذات العلاقة بالمشكلة؛ من أجل فهمها بشكل عميق، ومن ثم التوصل إلى حلول مقترحة للمشكلة، سواء أكان التفكير بشكل فردي أو جماعي، فالتعلم الذاتي يحدث سواء حاول الشخص حل المشكلة وحده.. أو بمشاركة زملائه في جلسات العصف الذهني لحل المشكلة، والتي تُنتج أفكارًا وحلولًا أكثر وأفضل.

تاسعًا: القيام بالرحلات والزيارات الميدانية، كزيارة المتاحف والآثار والمؤسسات المختلفة والحدائق والغابات.. وهذا أسلوب رائع في التعلم الذاتي، حيث يكتشف المتعلم المعلومة ويخبرها بذاته، حيث يشاهد الأمور والمواد المراد تعلمها ويسمعها ويتلمسها على أرض الواقع من خلال البيئة التي تتوافر بها المعلومة بتقريب الواقع له، وليس مجرد الحديث الغيبي عنها، ما يجعل التعلم أفعل وأبقى في الذاكرة طويلة المدى، وهذا الأسلوب لا يعتمد على المعلم فقط بل على الوالدين أيضًا لتنمية معلومات أبنائهم.

عاشرًا: التمثيل والدراما، وهذا أسلوب جذّاب في التعلم الذاتي، حيث يُطلب من المتعلّم تمثيل نص مسرحيّ أو مقطع تمثيليّ للمادة المراد تعلمها من تأليف المتعلم نفسه، أو بمشاركة مجموعة من المتعلمين، كما يمكن أن يكون من تأليف المعلم أو أحد الوالدَيْن، فهذه استراتيجية تعمل على تحقيق أهداف التعلم بطريقة ممتعة، حيث لا يحتاج المعلم لأن يقف أمام الطلبة ويسرد عليهم معلومات الدرس بطريقة تقليدية، فالتمثيل والدراما تجعل المتعلم فاعلًا نشيطا مبدعًا في تعلمه، وبالتالي فإنّ الخبرات المتعلمة بهذه الاستراتيجية لا يمكن أن تُنسى بسهولة.

الحادي عشر: القيام بمشاريع ذاتية، يطلب من المتعلم أن يقوم بمشروع بحث أو مشروع ذي علاقة بمادة التعلم، فيقوم المتعلم بإعداد خطة لعمله، وكيفية اختيار الموضوع وجمع المعلومات حوله، ومصادر البحث المناسبة، ومن ثم الأدوات اللازمة والتكلفة التي يحتاجها، ثم تنفيذ مشروعه. وقد تكون المشاريع فردية أو جماعية بمشاركة مجموعة من الطلبة، ويعتبر هذا من الأساليب الناجحة في التعلم الذاتي والإبداعي؛ لأن المتعلم يبذل جهدا بذاته لاكتشاف المعلومات والتفاعل معها، والبحث عن الطرق المناسبة لعرضها وإخراجها على أرض الواقع أمام الزملاء أحيانًا، كما يحدث في مشاريع التخرج للكثير من الجامعات، والتي تهدف إلى تنمية قدرات الطالب الجامعي على التعلم الذاتي المستقل والذي هو أساس العلم والإنتاج.

الثاني عشر: التعلم من خلال اللعب، وذلك بأن يوفر الوالدان أو المعلم في المدرسة ألعابًا تربوية فردية أو جماعية، وألعابًا منظمة تهدف إلى تحقيق نتاجات معينة، حيث اللعب طريقة ممتعة فاعلة تساعد الطفل على التعلم الذاتي الحر.

إن المجتمع المالك للمعرفة هو المجتمع المسيطر على مصادر القوى في العالم، ومستقبلُ الأمة رهنٌ بالقدرة على المشاركة البنّاءة في عالم المعرفة، والمجتمعاتُ المتقدمة تهتم اليومَ بالتعلم القائم على المتعلم ذاته في تحصيل المعرفة لا المعتمد على الآخرين، وذلك لاهتمام التعلم الذاتي بالخصائص والسمات الفردية للمتعلمين وقدراتهم ومهاراتهم وميولهم واستعداداتهم وأهدافهم. ويؤكد تقرير «منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية 2011» حول إدارة المعرفة في المجتمعات المتقدمة..أنّ نجاح الأفراد والمؤسسات والمجتمعات يعكس بالضرورة قدرتهم الذاتية على التعلم، لذا تُعد «مهارات مجتمع المعرفة» هي الأساسات الجديدة للمجتمع ولأفراده المتعلمين، ويأتي في مقدمتها مهارات التفكير الإبداعي، والتفكير الناقد، وحل المشكلات، والتعلم المستمر، والتعلم الذاتي.. فهي مهارات التعلم الفعال. ولذا لابد من التركيز على التمكّن من هذه المهارات منذ البداية؛ حتى يكون التعلم فعالًا ويُؤتي أُكله، بدلًا من أن يُترك مجتمع المعرفة ينتظر طويلًا ليحقق هذه المهارات.

التعلم الذاتي وأثره في المتعلم

سائر بصمه جي / باحث علمي من سورية

قد ندهش عندما نسمع أن رجلًا قد نال إجازته الجامعية في الثمانين من عمره في إحدى البلاد الغربية، ولكن ماذا لو أرد هذا الثمانيني أن يسعى للحصول على شهادة جامعية في بلادنا العربية؟ لاشك أنه سيجد من يتصدى له ببيت شعر لزهير بن أبي سلمى:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولًا لا أبا لك يسأم

أو تناله الألسن بالمثل الدارج «بعد الكبرة صوفة حمرة»، وتعني أنه جاء بعد هذا السن ليفعل ما كان يجب فعله في أيام الفتوة والشباب.. وذلك لظنهم واعتقادهم أنه قد فقد قدرته على التعلم، أو بالأحرى لن يجدي التعليم معه نفعًا. لاشك أنها قيود فُرضت أو نفرضها على أنفسنا، لنعبّر بها عن عجزنا عن الاستمرار في تعليم أنفسنا مدى الحياة.

لننظر بدايةً في خصائص التعلم نفسها: فالهدف من التعلم أن يتغير سلوك المتعلم، وهو يحدث كنتيجة للممارسة أو الخبرة. ويختلف «التعلم» عن «الأداء» بأن الأول لا يمكن ملاحظته مباشرةً، بينما الثاني يمكننا ذلك ويؤتي أكله بشكل أسرع، وهو ما قد يلحظه أحدنا عندما يجري دورة تدريبية في موضوع ما.. لكن كثيرًا ما يؤثر التعلم، إضافة لمتغيرات أخرى، في الأداء(١).

كما يختلف مفهوم التعليم الذاتي عن مفهوم «تفريد التعليم»، الذي يقصد به مراعاة خصائص الفرد في كل جوانبه، ثم وضع البرامج التعليمية التي تناسب قدراته، وليس بالضرورة أن تكون هذه البرامج معتمدة على التعليم الذاتي.

وبإجراء مقارنة بسيطة بين مفاهيم التَّعليم الذاتي Self-instruction الذي هو «ضربٌ من التعلم يستخدم فيه التلاميذ تعليمًا أو أي مواد أخرى مبرمجة، ولا يتلقون مساعدة مباشرة من معلم، ولو أن المقرر عادةً قد تم إعداده وفق غايات محددة للغاية»(٢).. والتربية الذاتية Self-education التي تعني «عملية دفع النمو والنماء والتعلم الذاتي من قبل المرء نفسه، وبوساطة دوافعه الذاتية، فيختار المرء هو بنفسه المنبهات التي يود الاستجابة إليها، ويحدد بذاته كيفية قولبة نفسه وتكيفها، وإلى أي مدى»(٣).. والتعلُّم الذاتي Self-learning وتعريفه بأنه « نوع من التعلم الذي ينطلق من فلسفة مؤداها: أن التربية في حد ذاتها تعد الفرد مسؤولًا عن تثقيف نفسه بنفسه، وأن كل فرد في العملية التعليمية كائن قائم بذاته ومستقل عن باقي ذوات الآخرين، وهذه الفلسفة تشجع الاعتماد على النفس لا على المدرّس أو المدرسة أو الجامعة على أساس أن عملية التعليم والتعلم مستمرة دائمة مدى الحياة»(٤).. فإننا نجد تقاربًا كبيرًا في المعنى والمبنى

والمقصد، فهي جميعها تدور في فلك واحد، وتهدف لمساعدة الفرد على تكوين الشخصية المتكاملة المتوازنة، مع تزويده بالثقة بالنفس، وإمكانية تعليم نفسه بنفسه، الأمر الذي يساعد على التنمية الذاتية، والانتقال إلى عالم المعرفة، والاعتماد على النفس وتعليمه كيف يتعلم(٥).

أساليب التعلم الذاتي

لممارسة التعلم الذاتي فلنلاحظ ما يتعلمه الناس من خلال حياتهم اليومية؛ فالأطفال الصغار يتعلمون اللغة بالاستماع إلى الآخرين وهم يتحدثون، ثم يحاولون التحدث كما يفعل الآخرون، ويتعلمون كيفية ارتداء ملابسهم، أو آداب الطعام، أو ركوب الدراجات، أو إجراء الاتصالات الهاتفية، أو تشغيل جهاز التلفاز. ويمكن أن تكون التربية ذاتية عندما يحاول الناس الحصول على معلومات، أو اكتساب مهارات بمبادرة شخصية دون معلم.. وذلك عن طريق زيارة محل لبيع الكتب أو مكتبة أو متحف، وقد يشاهدون برنامجًا في التلفاز أو شريط فيديو أو قرصًا مضغوطًا، أو يستمعون إلى برنامج إذاعي، أو اكتساب خبرات حاسوبية معينة، وكذلك المشاركة في دورات تدريبية متخصصة في تنمية جانب معين لدى المتعلم.

وفي جميع هذه الحالات لا يطلب منهم النجاح في امتحان(٦)، وكلنا يعلم طريقة الطبيبة الإيطالية مونتسوري في تعليم الأطفال بين (٢-٥ سنوات) التي تعتمد على التربية الحسية للطفل، والقائمة على اكتساب الخبرات، وليس للمعلم دور سوى الإشراف على الأطفال.

لذلك اترك ولدك أو من تقوم بتعليمه يمارس ما يتعلم، وإن وقع في الخطأ أول أو ثاني مرة فإنه سيتعلم الصحيح في الثالثة، وتأكد أنه لن ينسى ذلك طوال حياته.

روى لي أحدهم عن مهندس ميكانيك تخرج حديثًا وتم فرزه إلى إحدى الدوائر الحكومية، ليترأس إحدى الورش المسؤولة عن صيانة محركات السيارات التابعة للشركة، وما أن تسلم مهامه إذ بالعمال في الورشة يرونه بينهم وليس في مكتبه، مرتديًا ثياب العمل وليس لباسه الرسمي، وقال لهم: أنا اليوم لست مهندسًا، وإنما جئتكم متعلمًا لفن الهندسة على أرض الواقع. لقد أدرك هذا المهندس أن أي عامل في ورشته لديه خبرة عملية تفوق خبرته النظرية التي حصل عليها في الجامعة، فما كان منه إلا أن شمر عن ساعد الجد، وراح يتعلم ما كان ينقصه ليشعر في النهاية أن المعرفة لديه متكاملة في شقيها النظري والعملي، وبذلك يتفوق على العامل.

من هنا يظهر الفرق في الواقع: لماذا نرى خريجًا جامعيًّا ناجحًا في الحياة؟ وآخر لم ينل نصيبه من النجاح؟ مع أنهما درسا في جامعة واحدة وتخصص واحد؟ السبب هو استمرار الأول في تعليم نفسه وتطويرها. واليوم نحن في عصر يتطلب- للحصول على فرصة عمل- الكثير من المعارف والمهارات التي قد لا توفرها الجامعات. وقد كنا نسأل زملاءنا الذين درسوا في الجامعات الأوروبية أو الأميركية عن طريقة إلقاء المحاضرات، فكانوا يقولون ليس ثمة ما يسمى بكتاب جامعي أو ملزمة، وإنما كنا نأخذ المحاضرة نظريًا، ومن أراد أن يدون شيئًا لدراسته للامتحان فعليه استخلاص المحاضرة بطريقته من المراجع التي يدبجها المحاضر على السبورة.

وبناءً عليه، علينا ألا نستهجن بعد اليوم دعاية لجامعة في اليابان تدعو من هم في سن الشيخوخة للانضمام إليها، والالتحاق بصفوفها الدراسية.. أوليس في عقيدتنا الإسلامية أن طلب العلم من المهد إلى اللحد فريضة؟!

لقد قال يومًا ما عالم التربية الفرنسي الشهير «جان بياجه»: «في دنيا التربية، يجب أن يتاح للأطفال أقصى قدر ممكن من النشاط الذاتي، باستخدام الأجهزة والأدوات التي تمكّنهم من تحصيل المعارف والخبرات، بحيث يفهمون ما يصلون إليه بأنفسهم.. وإذا حاول الكبار أن يسرّعوا في إحداث هذا التعلّم، فإنّ الأطفال سوف يحرمون من لذّة اكتشاف المعلومات بأنفسهم.. ».

وفي هذا القول دلالات كبيرة وواضحة تؤكد على مبدأ التعلّم الذاتي، الذي يجب أن يعتاد الطفل عليه من الصغر، لما فيه من توافق مع طبيعة الطفل التي تميل إلى البحث والاكتشاف، وإلى تفعيل التعلّم وتجويد نتائجه، وهذا يفرض على الوالدين والمربيّن أن يؤمّنوا للأطفال فرص التعلّم الذاتي، من خلال توفير المناخات الضرورية لهذا التعلّم، والأساليب والأدوات والوسائل المناسبة لقدرات الأطفال وقدرتهم على استخدامها وتوظيفها، بحيث يستطيعون التعامل معها والاستفادة منها بفاعلية كبيرة، فيشعرون بالسعادة والرضى عن الذات(٧).

الهوامش

١- مدنيك . سارنوف ورفاقه، التعلّم، ترجمة: محمد عماد الدين إسماعيل، ط٣، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٣٥.

٢- نجار، فريد، المعجم الموسوعي لمصطلحات التربية، ط١، مكتبة لبنان ناشرون،بيروت، ٢٠٠٣م، ص٩١٣.

٣- نجار، فريد، المعجم الموسوعي لمصطلحات التربية، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٩١٢.

٤- الرشيدي، بشير صالح، الموسوعة العلمية للتربية، ط١، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ٢٠٠٤م، ص١٥٥.

٥- الرشيدي، بشير صالح، الموسوعة العلمية للتربية، ط١، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ٢٠٠٤م، ص١٥٥.

٦- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ٢٠٠٤م.

٧- شماس، عيسى، موسوعة التربية الأسرية للأطفال، ط١، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٤م، ص١٦٨.

هوامش حول التعلم الذاتي

د. محمد المشطاوي
باحث في المركز العالمي للوسطية بالكويت

مع تطورات العصر المتلاحقة والمتسارعة المتلاهثة لم يعد بإمكان أحدنا أن يقبع مستكينًا راضيًا عما حصله من علم أو معارف لم تفتأ أن تكون غير ذات بال، وخاصة إذا كانت في الجانب العلمي.. ومن هنا تأتي أهمية تمكين المتعلم- أي متعلم- من القدرة على مداومة التعلم وفق قدراته ورغباته وتطلعاته، وهو ما اصطلح عليه بالتعلم الذاتي، مرتكنين في هذا إلى أن وقت التعلم من المهد إلى اللحد.

المنطلق

من المنطقي أن يبدأ الحديث عن أهمية التعلم الذاتي وديمومته والاستمرار عليه من الحديث عن العلم كقيمة، والعلماء والمتعلمين كشريحة مجتمعية، وعلى أهمية العلم في نهضة الأمم ورقيها وسعادتها واستقامة منهجها. وقد ورد في هذه الأمور- في المدونة الإسلامية المعرفية والثقافية- الكثير والكثير، فهناك مدح «الذين يعلمون»، وهناك الحرص على غرس حب العلم، والحض عليه، وجعل مداد العلماء مساويًا وقرينًا لدم الشهداء.. والحرص على التمكن في العلم والإبداع فيه، وترك الدعوات السلبية التي تقول: ما الجديد الذي يمكن أن أقدمه؟ إذ «ليس كلمة أضر بالعلم من قولهم: ما ترك الأول شيئًا: لأنه يقطع الآمال عن العلم، ويحمل على التقاعد عن التعلم، فيقتصر الآخر على ما قدم الأول من الظاهر، وهو خطر عظيم، وقول سقيم.. فالأوائل وإن فازوا باستخراج الأصول وتمهيدها فالأواخر فازوا بتفريع الأصول وتشييدها، كما قال ﷺ: «أمتي أمة مباركة، لا يدري أولها خيرًا وآخرها»(١). وهناك أيضًا الحديث عن تذليل ما يعوق عن الاستمرار في العلم، أو الركون إلى الفطنة والذكاء وعدم الاعتماد على العلم والتعلم، فإنه «على كل خير مانع، وعلى العلم موانع منها: الوثوق بالذكاء، فهو من الحماقة، وكثير من الأذكياء فاته العلم بهذا السبب»(٢). وهناك تحديد لما ينبغي أن يحرص عليه المتعلم:

أخي لن تنال العلم إلا بستة
سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء، وحرص، واجتهاد، وبلغة
وصحبة أستاذ، وطول زمان

وقد روي البيت الثاني بـ(صحبة أستاذ) وبـ(إرشاد أستاذ)، مما يعني أن هدف صحبة الأستاذ هو إرشاد المعلم إلى آليات التعلم، فإذا اطمأن الأستاذ إلى آليات التلميذ وملكاته كان الطريق إلى التعلم الذاتي وديمومته، كما أن (طول الزمان) هنا يستلزم التمكن من آليات الاستزادة من العلم.

وتعد مقدمات كتب البيليوجرافيا حافلة بالحديث عن طريقة اكتساب العلوم والمعارف، ويمكن الرجوع إلى ما كتب تحت عنوان (تحصيل العلوم) أو ما يدل على ذلك في هذه الكتب.

تقسيم العلوم

وقد قسمت هذه المدونة العلوم والمعارف الإسلامية إلى شريحتين: علوم عملية وأخرى نظرية، الأولى تعتمد التجريب والعمل والممارسة العملية، والثانية تعتمد النظر، وعلوم آلية وعلوم غير آلية، فالأولى تُطلب لغيرها والثانية تُطلب لذاتها.. والملاحظ في هذا التقسيم- في أحد جوانب فلسفته- هو استيعابه لكل تطلعات الناس وميولهم، بمعنى أن من يميل إلى الجانب النظري فله الإبحار فيه، ومن يميل إلى العملي فله التضلع منه، ومن يميل إلى علوم الآلة فله الاغتراف منها.. وهكذا.

على أن هناك جنابًا لابد للجميع من إنجازه والإلمام به، وهو أساسيات العلوم، والعلوم الممهدة لغيرها، وهو ما اصطلح عليه بعلم الآلة كما مر.

البداية من المسلمات.. والتلقي عن العلماء

ولابد من الانطلاق في هذه المعارف والعلوم بتقسيماتها من بدايتها ومسلماتها، والتلقي في هذا عن العلماء «أهل كل فن»؛ إذ «إن إنصاف الرجل لا يتم حتى يأخذ كل فن عن أهله كائنًا ما كان، وأما إذا أخذ العلم من غير أهله ورجح ما يجده من الكلام لأهل العلم في فنون ليسوا من أهلها، وأعرض عن كلام أهلها؛ فإنه يخبط ويخلط ويأتي من الأقوال والترجيحات بما هو في أبعد درجات الإتقان، وهو حقيق بذلك»(٣). والمتعلم يهدف في هذا التلقي عن العلماء إلى تحصيل هدف العلم وحقيقته وهو «إيجاد الملكة» المتسلحة بالدليل، سواء كانت هذه الملكة تعتمد على «الاستحضار» أم «الاستحصال» (استحضار العلم في حالة الحاجة إليه، أو تحصيله والنجاح في هذا التحصيل)، وذلك هو لب التعلم الذاتي وهدفه، فإن التعليم الذاتي لابد أن يركز على ذلك. وتحصيل الملكة للمتعلم هنا ضروري؛ «لأن المتعلم إذا حصل له ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي، وحصل له نشاط في طلب المزيد، والنهوض إلى ما فوق حتى يستولي على غايات العلم»(٤).

والتلقي عن العلماء يتيح للطالب «المذاكرة والمناظرة والمطارحة» مع معلمه ومع زملائه، وقد قال المدققون: لا تأخذ العلمَ عن صَحَفي (من يقرأ من الصحف والكتب)، ولا القرآن عن مُصْحفي؛ إذ التلقي عن الكتب مباشرة دون معلم متقن لا يؤدي في الغالب إلى تمكن في العلم.

توريث العلم و«صنعته»

بعد التلقي عن العلماء وفي أثنائه يأتي الحرص على توريث العلم و«صنعته» بحيث يصبح ملكة، وفي سبيل هذا التمكين للملكة يأتي التمرين على العلوم وتفنينها سبيلًا للتعلم والتقدم الذاتي فيها، ومن ثم وجدنا شيوع مصطلح «فن كذا» التي تعني الاتقان والحرفية. كما أن هناك أيضًا تمتين حالة النقد الذاتي من خلال دراسة العلم، ويأتي دور الافتراض في العلوم الذي لعب دورًا في نموها، وهو ناتج أيضا عن كونها «صنعة»، وهو ما يؤدي إلى تمتين العلم وتمكينه وتوريثه لدى المتلقي بما يتيح له الانطلاق والإبحار فيه واستمرار تعلمه الذاتي؛ إذ «الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق ذلك الفن المتناول حاصلا»(٥)، وتحصيل هذه الملكة «موقوف على الأخذ والتعلم والتمرن والتدرب»(٦).

ومن أهم ملامح توريث الصنعة والدفع إلى إعمال العقل والفكر وضرورة الفهم والتدبر الحرص على التعليل وربط الأمور بمسبباتها، إذ اتسمت الثقافة العربية التعليمية وانبنت على «اعلم» «فإن قيل» «فإن اعترض» «قلت» و«يرد عليه» و«هب».. وهي عبارات تغرس الدافعية إلى التعلم الذاتي. وهذا الجدال التعليلي نتاج بناء نظام ونظرية تدعو إلى تمكين العلم بحيث يصبح ملكة وسجية، ومن هنا يمكن أن نفهم ما قاله الفارابي في نطاق ما نحن بصدده في الفصل الحادي والثلاثين من كتاب الحروف إذ قال: «فإن المتعلم إذا سأل عن شيء (هل هو كذا..) فإن المعلِّم إنما ينبغي أن يجيبه أولا أنه كذلك، ويَردف ذلك بحجة جدلية يتبين عنها ذلك الشيء، وينتظر من المتعلم أن يأتي بما يبطل ذلك الشيء ويناقض ما أورده المعلم لا ليجادل ولكن ليستزيد من المعلم البيانَ.. فإن لم يفعل المتعلم ذلك من تلقاء نفسه بصّره المعلم موضع العناد في ذلك الشيء، وموضع المعارضة في تلك الحجة، ثم إبطال تلك المعارضة، وإبطال ذلك الإبطال، ولا يزال ينقله من إبطال إلى إثبات، ومن إثبات إلى إبطال، إلى ألا يبقى هناك موضع نظر ولا فحص»(٧).

أثر مجتمعي

ويمكن لنا أن نختم هذه الهوامش بالتذكير بما ورد من أثر المداومة على التعلم، وشيوع العلم الذي يتحقق من حرصنا على تعلمنا الذاتي وديمومته، فقد قيل: «يراد من العلماء عشرة أشياء: الخشية والنصيحة والشفقة والاحتمال والصبر والحلم والتواضع والعفة عن أموال الناس والدوام على النظر في الكتب وقلة الحجاب وألا ينازع أحدا ولا يخاصمه»(٨)، بما يعني أن المداومة على العلم والتعلم تنتج مجتمعا متميزا بهذه الخصائص السابقة.. فأي مجتمع صالح هذا؟!

الهوامش

(١) أبجد العلوم: ١١٠-١١١ (دار ابن حزم، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م).
(٢) أبجد العلوم: ١٣٢.
(٣) أبجد العلوم: ١٩٢.
(٤) أبجد العلوم: ٧٣.
(٥) أبجد العلوم: ١٠٢-١٠٣.
(٦) أبجد العلوم: ١٤٠.
(٧) كتاب الحروف لأبي نصر الفارابي، ص ٢٠٩ (دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م).
(٨) أبجد العلوم: ١٣٨-١٣٩.

تجارب قهرت الجهل

نهلة عبدالرحمن ومحمد عبدالعزيز - القاهرة: دار الإعلام العربية

«ومن لم يذق مرّ التعلم ساعة تجرع ذل الجهل طول حياته».. هكذا تنبّه بهذه المقولة من أراد أن يبزغ نجمه في سماء العلم، وسعى لها سعيها، فالعلم يرفع شأن من لا شأن له، وبه تبنى بيوت لا عماد لها، والجهل يهدم بيت العز والشرف؛ لذلك اتبع الناس على مر العصور كافة الوسائل التي تمكّنهم من تحصيل العلم مهما كانت مكلفة وأيّا كانت سلبياتها كالتلقين لا الفهم، وهنا تقع المسؤولية الكبيرة على المعلم الذي يمثل أول مصدر للعلم يستقي منه الطالب معلوماته وخبراته، فإما أن يقوم هذا المعلم بإنشاء جيل يتخذ من الحفظ لا الفهم وسيلة لتحقيق النجاح، وإما أن يساهم في دفع جيل مبتكر مفكر لمجتمعاتنا المتعطشة للمبدعين.. وبمرور القرون تتغير الأفكار والمناهج والأساليب والوسائل؛ لتتيح لمن لا يملك مالاً امتلاك أطنان من الكتب المليئة بالعلم بضغطة على زر الفأرة، فلم يعد العلم قاصرًا على الذهاب إلى جامعة، ولم يعد حتى المتخرج في هذه الجامعة قد حصَّل كل العلم، بل عليه الاستمرار في التعلم ذاتيًّا طوال حياته..

«نوارة أحمد علي يونس أبودومة».. هذا هو اسمها بالكامل، فتاة نشأت في صعيد مصر، وتحديدًا في مدينة الغنايم بمحافظة أسيوط، نشأت في أسرة كبيرة العدد، بين عشرة من الأشقاء، وأب متوسط الحال، وأمّ لم تتحصل على قدر من التعليم، لكنها وهبت كل حياتها لتربية هذا الكم الكبير من الأبناء.. ولأن «نوارة» نشأت في بيئة لا تميل إلى تعليم الفتيات، ولأن طبيعتها شغوفة بالعلم والمعرفة، وجدت نفسها في مأزق كبير بين طبيعة بيئتها ورغبتها في التعلم، كانت قد بلغت الثامنة من عمرها دون أدنى أمل لها في أن تتعلم «ألف، باء، تاء».. حتى رأتها إحدى جارات والدتها، وكانت تعمل مدرّسة، وعرفت برغبتها في التعلم، ولأنها تعيّ جيدًا طبيعة العقبة المتمثلة في عدم اقتناع الأب بتعليم البنات؛ لذلك اقترحت مع الأم حلاً وسطًا، أعطى بريق الأمل لـ«نوارة».

«نوارة» قهرت التقاليد وانتصرت.. و«أحمد» حارب الفقر واللغة الغريبة ونجح

تجسد الأمل في تبني هذه المدرسة لـ«نوارة» لتعليمها ذاتيًّا في المنزل، وأظهرت «نوارة» استجابةً سريعةً للتعلم أذهلت المدرسة، كانت تسابق عمرها والزمن لتحصيل ما فاتها وتحقيق حلمها، وفي وقت قياسي كانت قد اجتازت الامتحانات المؤهلة لاجتياز المرحلة الابتدائية، وعلى الرغم من عدم اقتناع الأب بما تفعله ابنته، وعلى الرغم من قيامها في الوقت ذاته بقسط من الأعباء المنزلية، واصلت «نوارة» تعليم ذاتها بنفسها وبمساعدة المدرسة التي ساقتها لها الأقدار، واجتازت المرحلة الإعدادية ثم الثانوية، كل ذلك من منزلها ودون أن تلتحق يومًا بأي مدرسة نظامية، ومات الأب قبل أن يشهد فرحة ابنته بهذه الخطوات التي قطعتها ابنته في طريق التعليم الذاتي، والتي تُوجت أخيرًا بالتحاقها بكلية الطب جامعة المنيا، وما زالت تواصل فيها بناء مستقبلها، حيث تعتبر الجامعة مجرد مرحلة في مستقبلها الذي يتواصل يومًا بعد يوم مع التعليم الذاتي.

قاهر اللغة

أما التجربة الثانية معنا فصاحبها «أحمد مصطفى» مؤسس فريق «نوبي تيم»، خريج الدبلوم الصناعي، الذي وجد نفسه أمام سوق عمل لا تقبل إلا باللغة الأجنبية الممتازة وإجادة الحاسب الآلي، فأدرك كما يقول إنه «من سار على الدرب وصل» وأخذ يؤهل نفسه لتعلم اللغة، لكن العقبة المادية كانت له بالمرصاد، لكنه لم يستسلم وخلق لنفسه طريقًا آخر ساعده على النجاح فيه شخصيته الاجتماعية الودودة التي جذبت إليه السائحين لما رأوه من حسن معاملته، فاعتمد على التبادل اللغوي معهم وإقامة المسابقات إضافةً إلى بعض المواد المتوفرة على الإنترنت للاستماع الجيد لأصول النطق في اللغة.

وأكد «أحمد» أن هذه الطريقة في التعلم لم تكسبه لغةً فقط، بل أكسبته ثقافةً أيضًا، فالتبادل يحدث في اللغة وفي الثقافة فيتسع أفق المتعلم ويصبح أكثر نضجًا، كما يذكر أن دور المعلم لم يكن غائبًا تمامًا، فلجأ إلى التنوع في الحصول على المادة العلمية من أكثر من مصدر.

أما عن الصعوبات التي واجهته فيؤكد أن تعلم أي لغة لا يمثل أي صعوبة إلا ما نضعها نحن لأنفسنا كأن نحدد مجموعة كلمات مثلاً نحفظها يوميًا بطريقة التلقين، والحفظ بالكم لا الكيف أو حصر التعلم في قواعد اللغة لدخول الامتحان والنجاح ثم الإلقاء بهذا الكم خارج عقولنا.. وفي هذا الشأن ينتقد «أحمد» طريقة تدريس اللغة في المدارس، مؤكدًا أنه لا يتم تدريسها بشكلٍ مبتكر وفعال كأن يقوم المدرس مثلاً بتقسيم الفصل لمجموعات، وإعطاء كل مجموعة تكليفًا معينًا بسماع شريط باللغة الإنجليزية أو قراءة قصة أو إجراء حوار، فعلى المدرس أن يتحدث باللغة ويمارسها مع الطلبة وهي الطريقة التي ستشكل لهم صعوبةً في البداية، لكن سرعان ما سيعتادون على الحديث ويألفون اللغة، ويذكر أنه كان يحضر العديد من الندوات والجلسات الثقافية المقامة باللغة الإنجليزية على الرغم من كونها في مجالات لا تهمه كالطب والتجارة، لكن دأبه كانَ تحصيل العلم وتطوير الذات، ففي المرة الأولى كان يستوعب 3% مما يقال، وكانت النسبة تزيد مرةً تلو الأخرى إلى أن أصبح هو بنفسه يحاضر في مثل تلك الندوات ويشارك فيها ويعيها بنسبة 100%.

وأما عن فكرة تأسيس فريق «نوبيا تيم» فكان الهدف منه اجتماعيًا خيريًا، حيث أراد «أحمد» أن ينقل فكر العمل

جيل من المبدعين

يظهر «التعلم الذاتي» ليطرح نفسه كأحد أهم الأساليب التربوية الحديثة لخلق جيل من المبدعين، ويرجع أصل هذا الأسلوب التربوي-كما تذكر إحدى الدراسات «بمجلة المعلم»- إلى الطبيبة الإيطالية «ماريا مونتيسوري» التي طوّرت في أوائل القرن الـ20 الميلادي أسلوبًا جديدًا في التعليم يشجع الطفل على التعلم بنفسه ويكون الطفل هو المعلم والمتعلم في آن واحد، وذلك حيث أعدت «مونتيسوري» غرفة تربوية للتعلم الذاتي تم تجهيزها بكل ما يحتاج إليه التلاميذ لتطوير مهاراتهم العملية واللغوية والرقمية والحسية.

وفي محاولة من جانب المعلمة «لورنا ماهوني» أخصائية تدريب المعلمين على التعليم بطريقة «مونتيسوري» لتطوير الطريقة، افتتحت «ماهوني» مدرسة على طريقة «مونتيسوري» في بيتها الواقع في الشمال الشرقي من لندن، وفي هذه المدرسة لم تكن هناك بداية رسمية للدرس كما أنه لم يكن هناك لوح أسود في غرفة الصف ولا يحدد المعلم للتلاميذ المادة التي سيدرسونها على مدى اليوم فزمام المبادرة في يد التلميذ، وعلقت «ماهوني» على ذلك بقولها: «ليست مهمتنا هنا أن نضغط على التلاميذ وأن نعلمهم أشياء ذكية، كما أن المعلم ليس مركزيًا في النشاطات التعليمية على الإطلاق، كما تؤكد أنه ليس من شيء في غرفة الصف تم وضعه بالصدفة، فكل شيء في الصف موجود لغرض واضح ومعروف». إلا أن أكثر أقوالها المثيرة للتساؤل: «أنا لا أضمن شيئًا، أنا لا أقول إن ابنك سيكون قد تعلم القراءة عندما يترك المدرسة».

الخطوة الأولى للإصلاح

التعلم الذاتي أسلوب جديد يسهم في إخراج جيل متميز مبتكر، وهذا ما تشير إليه العديد من الدراسات نذكر منها ما قرّرته استراتيجية التربية العربية في تقويمها لواقع التربية العربية بأن «الاهتمام كان منصبًا في طرائق التعليم على الإلقاء والتلقين من جانب المعلمين والحفظ والاستذكار من جانب المتعلمين، فكانت المواقف إلقائية تعليمية محضة لا تكاد تعول على التعلم وعلى المواقف الإيجابية والجهود الذاتية فيه»، كما أشار تقرير اللجنة الدولية لتطوير التربية في العالم إلى أن التعلم الذاتي هو الخطوة الأولى لإصلاح النظم التربوية، وذكر «أن التعلم الذاتي المستند إلى حاجات وميول واستعدادات كل فرد سمة بارزة من سمات التربية اليوم وربما تربية المستقبل».

كما أكدت شبكة التجديد التربوي من أجل التنمية في البلاد العربية على أنه «لم يعد ممكنًا في عصر يتميز بتجدد المعلومات وتعدد مصادر المعرفة أن يظل التعليم مرادفًا للمدرسة محصورًا بين جدرانها يعتمد باستمرار على المعلم والكتاب بل أصبح من الضروري أن يزداد دور المتعلم في العملية التعليمية، وأن يزداد إسهام المجتمع خارج المدرسة بمؤسساته في تعليم الأبناء، وذلك بتمكين المعلم من الاعتماد على نفسه بصورة مستمرة في اكتساب المعارف والمهارات والقدرات اللازمة لتكوين شخصيته واستمرار تربيته لذاته».

الجماعي الخيري الذي وجده عندما شارك مع فريقي «رسالة»، و«معًا» في القاهرة إلى النوبة، ثم تطورت الفكرة بعرضه لفكرته الخاصة باللغة على فريقه الذي وافق عليها وقاموا بالاتفاق مع محاضرين ليقدموا هذه الخدمة المجانية لتعليم اللغة وتعليم الحاسب الآلي؛ لتتحول النوبة إلى بلد يتحدث الإنجليزية بطلاقة بسبب شخص قرّر أن يعتمد على ما لديه من وسائل العلم ويعلم نفسه بنفسه، وهو الآن يعيد تنفيذ فكرته الخاصة بالتبادل اللغوي في الأكاديمية العربية لينقل تجربة نجاحه من مكان إلى آخر.

تعليم غير مباشر

إلى ذلك، يحدثنا أستاذ المناهج وطرق التدريس بكلية التربية د.صالح محمد

صالح، قائلاً: التعلم الذاتي في أبسط مفاهيمه هو «كيف يتعلم المتعلم أو كيف يعلم المعلم المتعلم؟!» موضحًا الفارق بين مصطلحي التعلم الذاتي والتعليم التقليدي بأن التعلم الذاتي خاص بالمتعلم، أما التعليم التقليدي فهو خاص بالمعلم؛ لذلك فالتعلم الذاتي منوط بالحديث بشكل أساسي عن المتعلمين الذين يعلمون أنفسهم بأنفسهم بإرشاد وتوجيه من المعلم، وهذا لا يعني الاستغناء عن دور المعلم، لكن في الحقيقة دوره يتعاظم ويتعقد في ضوء المعطيات الجديدة ليصبح مرشدًا وموجهًا ومصنفًا، وذلك أن دور المعلم في التعلم الذاتي ليس كدوره في التعليم التقليدي الذي يجعله لا يهتم إلا بتدريس منهج معين في وقت محدد بغض النظر عن مدى استيعاب الطالب لهذا المنهج.

ويستشهد د.صالح بأحد أساليب التدريس الإبداعية التي قام بتنفيذها في كلية التربية بعقد مجموعة من الحلقات البحثية للنقاش وتبادل الآراء العلمية والذي يحدث في مكان واحد بحضور الجميع فيما يعرف بـ«السيمينار» لكن الإبداع كان في طريقة عقد هذه السيمينارات التي واكبت المستجدات التكنولوجية الحديثة من خلال الاتفاق على موعد محدد يجتمع فيه الأساتذة والطلاب على الشبكة العنكبوتية ويتم تحديد قائد لإدارة الحوار، ولم تكن هذه الفكرة قائمة على أساتذة وطلاب مصر فقط، بل تمت دعوة المهتمين من المملكة العربية السعودية والإمارات وغيرها من الدول، وقد أثمرت هذه التجربة بشكل مباشر من خلال تعليم الطلاب المهارات البحثية وبشكل غير مباشر من خلال تحسن قدرة الطلاب على التعامل مع التكنولوجيا الحديثة وقد حصلت هذه التجربة على أفضل ممارسة علمية بكليات التربية على مستوى مصر.

كما أكد د.صالح أهمية التنوع والإبداع في أساليب التعلم للمساهمة في إرساء مبادئ التعلم الذاتي، والتي تعني أن

لم يعد ممكنًا في عصر المعرفة أن يظل التعليم مرادفًا للمدرسة محصورًا بين جدرانها

د.صالح: يخرّج طالبًا كفئًا متكاملاً واعيًا بمشاكل مجتمعه لديه القدرة على نهضة بلاده

يقوم المعلم بالتدريس بالطريقة التي تناسب المتعلم وليست التي تناسب المعلم؟! موضحًا أن هناك من الطلاب من يفضلون التعلم من خلال الخرائط الذهنية والبعض من خلال الصور وآخرون من خلال الأسلوب القصصي وغيرهم بالمعادلات الحسابية.. لذلك يجب تقديم العلم بالطريقة التي يفضلها المتعلم.

ويتحدث الدكتور عن إحدى النظريات الحديثة في الأدب التربوي التي تثبت أن الجميع أذكياء ومن يطلق على غيره لفظ غبي أو متخلف فهو مخطئ، وذلك فيما يعرف بنظرية «الذكاءات المتعددة» وعلى الرغم من أن مؤسس النظرية يهودي إلا أن نظريته هذه تثبت عدالة الخالق، إذ إن لدينا جميعًا ذكاء منحه لنا الله لكن نبدع أو نتذاكى أو يكون لدينا نوع واحد من الذكاء يفترق أو يفارق أو يختلف عن الآخر.. فهناك مثلاً من هو ذكاؤه بصري وغيره ذكاؤه رياضي وهكذا.. فدور المعلم أن يكتشف طريقة التعامل التي تنمي وتدعم ذكاء كل طالب.

وأكد الدكتور في حديثه على أهمية التعلم الذاتي الذي يخرّج طالبًا متكاملاً واعيًا بمشاكل مجتمعه كفئًا، لديه من القدرات والمهارات ما يؤهله للمشاركة الفعلية في نهضة بلاده، مؤكدًا أن السبيل لتحقيق أي نهضة هو النهوض بمستوى التعليم مستشهدًا بتجارب الدول التي أدركت ذلك كالولايات المتحدة التي أدركت أهمية العلم بعد فزعها من التقدم العلمي للاتحاد السوفيتي آنذاك وأطلقوا المشاريع القومية للعلوم، فمثل هكذا.. يجب الاهتمام بالعلم والعلماء والبحث العلمي وتخصيص جزء كبير من ميزانية الدولة لهذه الشؤون.

إلا أنه رأى أن أكثر ما يؤثر سلبًا في عملية التعلم الذاتي هو عدم مواكبة المعلم لمتطلبات هذا الوضع الجديد فمعظم المعلمين لا يحصلون على بعثات تعليمية أو دورات تدريبية فعلية تنمي من مهاراتهم ولا تكون هذه الدورات أكثر من كونها دورات روتينية لزيادة الدخل وليس لزيادة المستوى التعليمي للمعلم الذي ينعكس بالطبع على العملية التعليمية كاملةً، كما شدّد على ضرورة الالتزام بتأهيل المعلم في كليات التربية ولا يجب السماح لأي شخص بامتهان هذا العمل المؤثر في صناعة الأجيال.

النية والهدف

وينصح د.صالح كل من يريد أن يطور من ذاته ويتعلم ذاتيًا بأن يعقد العزم والنية أولاً متوكلاً على الله ثم يفكر في هدفه، فما الذي يريد أن يصل إليه في القادم من أيامه؟ وبوضوح رؤيته نصب عينيه فإن حماسته ستصبح شعلةً لا تنطفئ ولا يصيبها الملل ولا الفتور ويساعده على ذلك استعداده الدائم لملاحقة التطور واستخدام الوسائل التكنولوجية المتاحة لديه، إضافةً إلى الاهتمام بعنصر الوقت، فعلى الأقل يجب على كل فرد أن يخصص لنفسه ساعتين يوميًا فيما يعرف بـ«وقت تطوير الذات» يتعلم فيهما الجديد وينمي مهاراته؛ لأنه مهما حصَّل من العلم كل يوم تظهر نظرية جديدة، فعليه أن يدرك أن تحصيل العلم مستمر معه من المهد إلى اللحد، وأن يؤهل نفسه بنفسه وفقًا لما هو متاح من وسائل، وأن يتذكر دائمًا أن مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة فلا يفتر حماسه.

أعلام دفنوا بمصر وليسوا من أهلها (١)

محمد نبيل بهي
باحث في التراث الإسلامي

كانت مصر ولا تزال بحمد الله مقصدا لأولي العلم والفضل والأدب على مر العصور وكر الدهور.. رحلوا إليها ومروا بها، منهم من فارقها ومنهم من أحبها واستوطنها واستقر بها إلى أن مات ودفن في ترابها.

علماء وأدباء وشعراء قدموا إليها من بلاد بعيدة ونواح متفرقة، جاءوا إليها من الحجاز والشام واليمن والعراق والسودان وبلاد المغرب الإسلامي ومن إفريقيا ومن بلاد الاندلس- رعى الله أيامها- ومن بلاد الترك والعجم، جاءوا إليها من كل حدب وصوب.

لذا كانت هذه الدراسة التي هي من فوائد المطالعة، فكان هذا الجمع لتراجم هؤلاء الأعلام الذين شرفت بهم مصر أحياءً وأمواتًا..

١- إبراهيم بن أبي بكر الدنابي العوفي، وهو من سلالة سيدنا عبدالرحمن بن عوف، حاسب عالم بالفرائض، أصله من دمشق الشام، توفي بالقاهرة سنة ١٠١٤هـ- ١٦٨٣م.

٢- إبراهيم بن حبيب زيدان، وهو شقيق جرجي زيدان منشئ مجلة الهلال الأدبية الشهيرة بمصر، قدم إلى مصر بعد أخيه وأنشأ بها مكتبة الهلال، ونشر وألف بعض الكتب

المدرسية، توفي بالقاهرة.

٣- إبراهيم بن صالح بن علي بن عبدالله بن عباس، من الولاة الهاشميين على مصر، توفي بها سنة ١٧٦هـ- ٧٩٢م.

٤- إبراهيم بن عبدالرحمن بن محمد بن إسماعيل الكركي (أبوالوفاء)، أصله من الكرك في شرقي الأردن، من قضاة الحنفية، توفي غريقا بمصر ببركة الفيل سنة ١٥١٦م.

٥- إبراهيم بن لقمان بن أحمد الشيباني الأسعردي، أصله من أسعرد، تتلمذ للبهاء زهير الشاعر المصري الكبير، وهو الذي حبس في داره لويس التاسع ملك فرنسا الذي قاد حملة صليبية على مصر سنة ٦٤٨هـ، توفي بالقاهرة.

٦- إبراهيم بن محمد بن أبي بكر المري المقدسي، فقيه من أعيان الشافعية، يشتهر بابن أبي شريف، توفي بالقاهرة في أيام الخليفة المتوكل على الله العباسي سنة ٩٢٣هـ- ١٥١٧م.

٧- إبراهيم أطفيش، الفقيه الإباضي المجتهد الجزائري، ولد في قرية بن يسجن بوادي ميزاب بالجزائر، له مؤلفات في التفسير والفقه والنحو والأدب، عمل في دار الكتب المصرية وشارك في تحقيق بعض ما نشرته، وهو أول من أسس مكتب (ممثلية) لسلطنة عمان بمصر سنة ١٣٧٥هـ، توفي بمصر سنة ١٩٦٥م.

٨- إبراهيم بن مصطفى الدباغ، شاعر فلسطيني من أهل يافا ولد بها وانتقل إلى مصر فتعلم بالأزهر وكف بصره، وتوفي بها سنة ١٩٤٧م.

٩- إبراهيم بن موسى بن دمج برهان الدين الكركي اللغوي المقرئ، كان عالما بالقراءات، ولد في كرك الشوبك بشرقي الأردن، استوطن مصر سنة ٨٠٨هـ وتولى قضاء الشافعية بالمحلة ومنوف وتوفي بها سنة ٨٥٣هـ- ١٤٤٩م.

١٠- إبراهيم بن موسى بن أبي بكر الطرابلسي. من فقهاء الحنفية ولد في طرابلس الشام وانتقل إلى القاهرة وتوفي بها سنة ٩٢٢هـ- ١٥١٦م.

١١- إبراهيم اليازجي، أديب لغوي، ولد ونشأ ببيروت، توفي بالقاهرة سنة ١٩٠٦م.

١٢- إبراهيم بن هاشم الفلالي، شاعر من أهل مكة ولد بها، وأقام بالقاهرة إلى أن توفي بها سنة ١٩٧٤م.

١٣- إبراهيم بن يحيى بن مهدي المكناسي التلمساني، أبوإسحق، فقيه مالكي فرضي أندلسي، رحل إلى بلاد كثيرة وتوفي بالفيوم بمصر سنة ٦٦٦هـ- ١٢٦٧م.

١٤- أحمد بن إبراهيم بن عبدالغني السروجي، فقيه كان حنبليًا وتحول حنفيًا، أصله من سروج بنواحي حران، له ردود على ابن تيمية ورد عليه شيخ الاسلام كذلك، توفي بالقاهرة سنة ٧١٠هـ- ١٣١٠م.

١٥- أحمد بن إبراهيم بن محمد، أبوزكريا الدمشقي ثم الدمياطي، فرضي فاضل مجاهد من فقهاء الشافعية، ولد في دمشق، ورابط في دمياط ومات بها مقبلا غير مدبر سنة ٨١٤هـ-١٤١١م.

١٦- أحمد بن الأمين الشنقيطي، لغوي أديب، نزيل القاهرة، وهو صاحب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، توفي بالقاهرة سنة ١٩١٣م.

١٧- أحمد بن جعفر الدينوري، نحوي من أهل الدينور، رحل إلى البصرة وبغداد وأقام بمصر إلى أن توفي بها سنة ٢٨٩هـ- ٩٠٢م.

١٨- أحمد بن حمدان بن شبيب النميري الحراني، فقيه حنبلي أديب ولد ونشأ بحران، ولي نيابة القضاء بمصر فسكنها وأسنّ وكف بصره، وتوفي بها سنة ٦٩٥هـ- ١٢٩٥م.

١٩- أحمد بن صالح المصري، أبوجعفر، مقرئ عالم بالحديث وعلله، أصله من طبرستان، زار بغداد واجتمع بالإمام أحمد وأخذ كل منهما عن الآخر، توفي بمصر سنة ٢٤٨هـ- ٨٦٣م.

٢٠- أحمد بن صالح بن منصور الأدهمي الطرابلسي، أديب حنفي، تولى نقابة الأشراف بالقاهرة إلى أن توفي بها سنة ١١٥٩هـ- ١٧٤٦م.

٢١- أحمد بن طولون، مؤسس دولة الحكم الطولونية بمصر، وهو تركي الأصل، توفي بمصر ودفن بها سنة ٢٧٠هـ- ٨٨٤م.

٢٢- أحمد بن عبدالعزيز بن حامد، أبوالحسن ابن ثرثال، محدث ثقة أصله من بغداد، توفي بمصر سنة ٤٠٨هـ- ١٠١٨م.

٢٣- أحمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبوجعفر، قاض من أهل بغداد، كان يحفظ كتب أبيهً، ولي القضاء بمصر سنة ٣٢١هـ، وتوفي بها

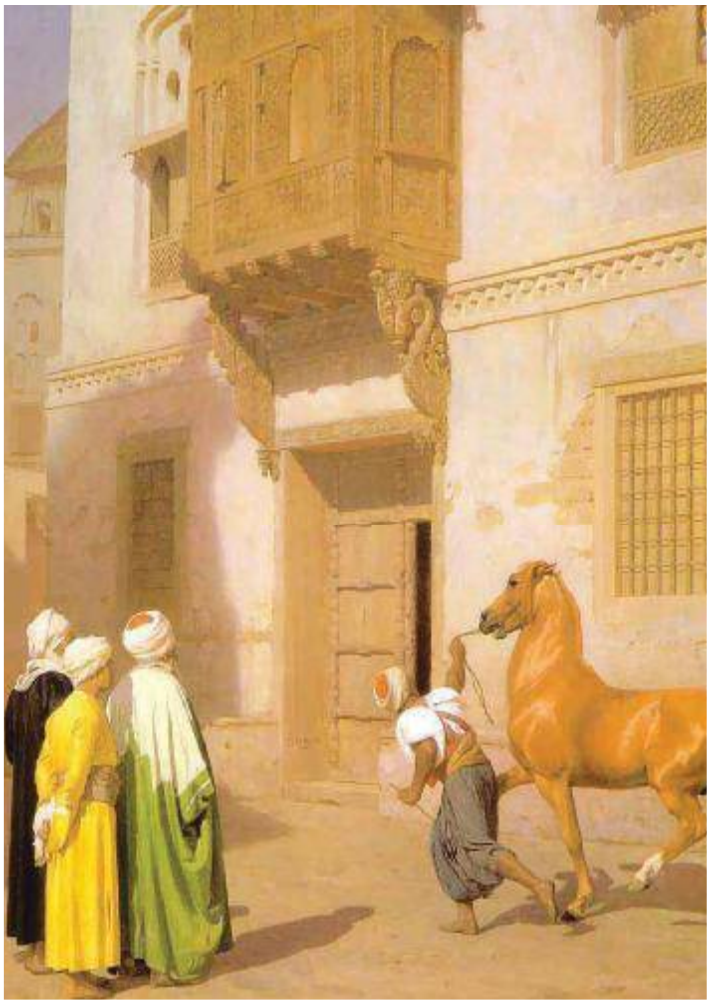

سنة ٣٢٢هـ- ٩٣٤م.

٢٤- أحمد بن عبدالله بن حميد بن رزيق، أبوالحسن الدلال، محدث أصله من بغداد، توفي بمصر سنة ٣٩١هـ- ١٠٠١م.

٢٥- أحمد بن علي بن يوسف البوني، صاحب المصنفات في علم الحروف، متصوف أصله من المغرب، نسبة إلى بونة في الجزائر، وتسمى الآن عنابة، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٢٢هـ- ١٢٢٥م.

٢٦- أحمد بن عمر بن ابراهيم أبوالعباس الأنصاري القرطبي، فقيه مالكي من رجال الحديث يعرف بابن المزين، كان مدرسًا بالإسكندرية، وتوفي بها سنة ٦٥٦هـ- ١٢٥٨م، وهو صاحب كتاب المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.

٢٧- أحمد بن عمر بن علي بن عبدالصمد، أبوالعباس، شهاب الدين البغدادي الجوهري المحدث الشافعي العالم بالتراجم، مولده ببغداد وسكن مصر وتوفي بها سنة ٨٠٩هـ- ١٤٠٦م.

٢٨- أحمد بن محمد بن حفص أبو سعد الماليني الهروي الحافظ المكثر المتصوف الرحالة. من أهل هراة ونسبته الى مالين من أعمالها. توفي بمصر سنة ٤١٢ هـ = ١٠٢٢م.

٢٩- أحمد بن محمد بن سلفة (بكسر السين) الأصبهاني، الإمام المحدث المعمر الرحلة المسند الكبير، استوطن الإسكندرية، وكانت له بها مدرسة، وظل بها إلى أن توفي سنة ٥٧٦هـ- ١١٨٠م.

٣٠- أحمد بن محمد بن أحمد بن خلف القرشي التيمي البكري الصديقي أبوالعباس الشريشي السلوي، متصوف مالكي برع في علمي الكلام وأصول الفقه ولد في سلا (بجوار الرباط بالمغرب) وإليها ينسب، استقر بمصر في الفيوم، وبها توفي سنة ٦٤١هـ- ١٢٣٤م.

٣١- أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري القرطبي، أبوالعباس ضياء الدين، كاتب مترسل، توفي بقنا بصعيد مصر سنة ٦٧٢هـ- ١٢٧٣م.

٣٢- أحمد بن محمد بن عبدالله، أبوالعباس الظاهري، جمال الدين من حفاظ الحديث، حلبي المولد والنشأة، توفي بالقاهرة سنة ٦٩٦هـ- ١٢٩٧م.

٣٣- أحمد بن محمد بن إبراهيم المرادي القرطبي، أبوالعباس العشاب، مقرئ من أهل قرطبة، نزل الإسكندرية وتوفي بها سنة ٧٣٦هـ- ١٣٣٥م.

٣٤ - أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال المقدسي الخواص الشافعي، فاضل فقيه من أهل القدس ولد بها، وتوفي بمصر سنة ٧٦٥هـ- ١٣٦٤م. (ص ٢٢٤ ج ١)

٣٥- أحمد بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم والمعروف بابن عربشاه، الأديب الرحالة المؤرخ صاحب كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، توفي بالقاهرة سنة ٨٥٤هـ- ١٤٥٠م وأصله من دمشق.

٣٦- أحمد بن محمد البجائي شهاب الدين، نحوي من أهل الأندلس أصله من بجاية، انتقل إلى القاهرة فعمل مدرسا بالأزهر إلى أن مات بالقاهرة سنة ٨٦٠هـ- ١٤٥٦م.

٣٧- أحمد بن محمد الوتري الشافعي الرفاعي الموصلي الأصل، البغدادي الدار والنشأة، المصري الوفاة، توفي بمصر سنة ٩٨٠هـ- ١٥٧٢م.

٣٨-أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقري التلمساني، أبوالعباس، الأديب المؤرخ الحافظ صاحب الموسوعة البديعة في تاريخ أهل الأندلس وأدبهم (نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب)، توفي بمصر سنة ١٤٠١هـ- ١٦٣١م.

٣٩- أحمد بن محمد مكي، أبوالعباس شهاب الدين الحسيني الحموي من علماء الحنفية، حموي الأصل، وهو صاحب كتاب «غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر» لابن نجيم الحنفي، توفي بمصر سنة ١٠٩٨هـ- ١٦٨٧م.

٤٠- أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الطنجي المغربي، أبوالفيض، محدث تفقه أولا على مذهب الشافعي ثم صار بعد ذلك لا يتقيد بمذهب، وهو رأس الأسرة الغمارية وأسنهم وأعلمهم، توفي بمصر سنة ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م.

العدد (٥٦٤) شوال ١٤٣٣ هـ - أغسطس / سبتمبر ٢٠١٢ م

حقوق الأسرة في الفقه الإسلامي.. البناء النظري

د. حميد مسرار- باحث مغربي

لا خلاف في أهمية الأسرة ومهمتها الأساسية في بناء المجتمع، فهي المحضن الذي يتولى صيانة الأطفال وفي ظله تُتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل، وهي الخلية الأولى التي بصلاحها يصلح المجتمع وبفسادها يفسد، ولكي تقوم بواجبها الحضاري أسسها الإسلام على أسس ثابتة وركائز متينة، ومن هذه الركائز منظومة حقوقها، فهي صمام الأمان للحفاظ على الأسرة واستقرارها، ونظرًا لأهميتها اتخذها أرباب الفكر الحداثي مدخلا لتصويب السهام لها مما جعلها محط تشكيك خاصة مع وجود مسوغات ذلك وتعسف كثير من الناس في استعمالها. إذن أظن أن التأسيس لبناء نظري لحقوق الأسرة- يستمد أصالته من نظرية الحق في الفقه الإسلامي- أصبح مطلبًا ملحًا للرد على كل المعاندين في أحقيتها لمعالجة الواقع المعيش، إن الممحص في فلسفة الحق يجده يرتكز على ركائز ثلاثة وهي: الحق منحة من الله، الحق وسيلة لتحقيق مصلحة شرعية، الحق بين سلطة الفرد وسلطان الدولة.

الحق في الفقه الإسلامي منحة من الله وليس وليد العقل أو الطبيعة، فالحكم الشرعي سواء أكان منصوصًا عليه أم مستنبطًا دلالة عن طريق الاجتهاد هو أساس الحق ومصدره، وبناء عليه يمكن بيان آثار ذلك في مجال الحقوق من خلال العناصر الآتية:

أ- البعد التعبدي في حقوق الأسرة.

ب- البعد القيمي والأخلاقي في حقوق الأسرة.

ج- البعد المصدري في حقوق الأسرة.

البعد التعبدي في حقوق الأسرة

تتأسس حقوق الأسرة على بعد عقدي تعبدي، فقد وصف الله عز وجل العقد الذي تقوم عليه الأسرة بالميثاق الغليظ تنبيهًا على خطورته ودعوة للاستجابة لمستلزماته، قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: ٢١).

ومن مستلزماته الحقوق المتبادلة بين أفرادها، لذا دعا الشرع إلى الالتزام والوفاء بها استجابة لندائه ورجاء

استعمال الفرد لحقوقه الأسرية مقيد بضابطين.. تحقيق مصلحة الأسرة وعدم الإضرار بأحد

في ثوابه، وحذر من الاعتداء عليها والتعسف فيها.

إن حضور الجانب العقدي في حقوق الأسرة يحدو بالمكلف إلى الاستسلام الطوعي لها، استسلامًا مؤسسًا على العلم نابعًا من الرضا والحب راجيًا الثواب والجزاء الأخروي، وحضوره يجعلنا في منأى عن إشكالات عدة تعاني منها الأسر اليوم والتي تتجلى في عدم مراقبة الله عز وجل في أداء الحقوق مما قد ينجم عنه التعسف في استعمالها وابتغاؤها في غير المصلحة التي شرعت لها.

البعد القيمي في حقوق الأسرة

لقد أحاط الإسلام الأسرة بسياج من القيم الأخلاقية لتسهم في بناء وتنمية معاني التضحية والعطاء والإخلاص في العلاقات الأسرية فهي تحيي قيم الإسلام وتعبر عن مكانة الفضيلة في المعاملات الإنسانية (١)، لذا فهو ينظر لحقوق الأسرة نظرة مغايرة، لا تقوم على فكرة «الصاع» حيث ينصرف هدف الأفراد إلى المطالبة بالحقوق فقط، بل تقوم على التسامح والإيثار وتجعل من السمو الخلقي ركنًا ركينًا في بنائها.

البعد المصدري في حقوق الأسرة

ينطلق الفقه الإسلامي من اعتبار مصادر الحقوق هي نفسها مصادر الأحكام الشرعية، ليبقى التساؤل معلقا حول إمكانية الاجتهاد فيها؟ وللإجابة عنه نقول: إن الاجتهاد في حقوق الأسرة ينقسم إلى قسمين:

- الاجتهاد فيما لا نص فيه، وهو اجتهاد ينطلق من المقاصد العامة للشريعة

لا يجوز للدولة تقييد الحقوق الأسرية إذا كانت ثابتة بنصوص قطعية

الإسلامية والقواعد الكلية للأسرة، ويعتمد آليات الاستنباط المعروفة في الفقه الإسلامي.

– اجتهاد فيما فيه نص حقوقي، وهو بدورة ينقسم إلى قسمين:

– اجتهاد في فهم النص، ويكون في النص ظني الدلالة والثبوت أو ظني أحدهما، أما القطعي فلا مجال للاجتهاد فيه، وادعاء ذلك هو من قبيل هدم الثوابت التي تبنى عليها الأسرة.

– اجتهاد في تنزيله على الواقع، ويلاحظ أن نظرية التعسف رسمت طريقه واعتمدت آلياته، فقد بنت نظريتها على النظر في المآلات ودفع الأضرار واعتبار المقاصد. وكل ذلك من مسالك الاجتهاد التنزيلي.

وسائل لتحقيق مصالح الأسرة الشرعية

من الأسس التي يقوم عليها الحق في الفقه الإسلامي، اعتباره وسيلة لتحقيق مصلحة شرعية، لذا فالنظر لحقوق الأسرة بهذا المنظور وأنها وسائل لتحقيق مصالح الأسرة يطرح علينا إشكاليتين، أما الأولى فاعتبار حقوق الأسرة وسائل يطرح علينا الإشكالية التالية: هل حقوق الأسرة ثابتة أم متغيرة؟ وأما الثانية فاعتبار غاية حقوق الأسرة المصلحة الشرعية يطرح علينا التساؤل الآتي: ما ضوابط هذه المصالح المرجوة من منح الحقوق؟

حقوق الأسرة بين الثابت والمتغير

يتبين للممحص في حقوق الأسرة أن منها ما هو ثابت ومنها ما هو متغير، فالثابت منها هو الذي لا يخضع للتغيير بتغير الزمان والمكان والظروف ومن أمثلة ذلك: حق التوارث والعدد والنفقة وغيرها، أما المتغير منها فهو الذي يخضع لظروف الزمان والمكان، ويختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والظروف، فهي حقوق اجتهادية لم يرد فيها نص قطعي، الغاية منها بلوغ المقاصد التي من أجلها شرعت، ومن أمثلتها مقدار النفقة والمهر...

ضوابط المصلحة في حقوق الأسرة

حرص التشريع الإسلامي على ربط الأحكام بمقاصدها، فضمن بذلك ديمومتها واستجابتها لجميع الحوادث المستجدة.

ولما كانت حقوق الأسرة تستمد مشروعيتها من الحكم الشرعي فهي بذلك تسمى لبلوغ المقاصد والمصالح التي رسمها الشرع، والمتتبع للمصلحة في الشريعة الإسلامية يتضح له أنها ليست على وزان واحد، فمنها الضرورية والحاجية والتحسينية، ومنها المعتبرة والمتغيبة، ومنها الخاصة والعامة، لذا فمعالجة حقوق الأسرة يجب أن يتأسس على هذه التقسيمات والمراتب، وذلك من خلال إعمال فقه الموازنات، فتقدم المصلحة الضرورية على غيرها، والعامة على الخاصة والمعتبرة على ما سواها.

والمتأمل في مقاصد الأسرة يتبين له شموليتها لجميع مصالح الناس أفرادًا وجماعات، فضمنت بذلك للفرد مصالحه داخل الأسرة سكينة وتزكية ومودة ورحمة، وللجماعة مصالحها تأهيلاً للنشأ وتقوية للروابط الاجتماعية وامتدادًا لأواصر التكافل والتعاون، لذا فالخطاب الحقوقي

الأسري هو خطاب يوازن بين مصالح الفرد والجماعة، بل يجعل مصلحة الجماعة أولى من مصلحة الفرد إذا تعارضتا.

إن ما يدّعى اليوم من ضرورة تجاوز النصوص لصالح المصلحة الواقعية هو هدم للأسرة وثوابتها، فنخلص إذن إلى أن المصلحة المقصودة والتي هي غاية حقوق الأسرة هي تلك المصالح المنضبطة بضوابط الشرع وليس من تقدير العقل أو الواقع.

حقوق الأسرة بين سلطة الفرد وسلطان الدولة

منح الشرع للأفراد حقوقًا داخل الأسرة، وأمرهم باستعمالها وفق ما يحقق مصالحها وجعل للدولة حق التدخل في حالة التعسف في استعمالها ليبقى السؤال مطروحا عن مدى حرية الفرد في استعمال حقوقه الأسرية ومدى تدخل الدولة في تقييدها.

سلطة الفرد في استعمال حقوق الأسرة

تتميز حقوق الأسرة عن غيرها بأنها حقوق غيرية أو وظيفية غايتها تحقيق مصلحة الأسرة، لذا فالشرع حينما أناط الحقوق ببعض الأفراد دون بعض قيدها بضابطين:

الأول: تحقيق مصلحة الأسرة

ذلك بأن منح الحقوق لبعض الأفراد دون بعض غايته تحقيق مصلحة الأسرة، وكل استعمال لا يروم ذلك يعتبر لاغيًا، فحق التأديب على سبيل المثال حق للأب على طفله، لذا فهو مأمور برعاية الأصلح له. يقول الإمام الشاطبي: إن الأب في طفله أو الوصي في يتيمه أو الكافل فيمن يكفله مأمور برعاية الأصلح له (٢).

فإذا ما استعمله بشكل يؤدي إلى الإيذاء والإيلام فقد تعسف فيه يقول فتحي الدريني: فهو حق لم يتقرر ميزة للأب لتمكينه من استغلال أولاده في مصلحته الشخصية وإلا كان متعسفا ومنصرفا عن غايته التي من أجلها منح هذه السلطة وإنما تقرر من أجل مصلحة الأولاد أنفسهم (٣).

الثاني: عدم الإضرار

إن استعمال الحقوق بنية الإضرار هو عين التعسف، لذا فقد نهى الشرع عنه وحذر منه، وبما أن مجال الأسرة من أكثر المجالات التي قد يظهر فيها ذلك نتيجة للاحتكاك اليومي ونقص الوازع الديني، فقد نهت كثير من الآيات عن استعمال الحقوق فيها بنية الإضرار. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٢).

فإذا كانت الولاية حقًا شرعيًا منحها الله تعالى لأقارب المرأة المؤهلين لذلك، فإن منع موليته من الزواج ممن ترغب فيه يعتبر إضرارًا عظيمًا بها، لذا جاز لها أن ترفع أمرها للسلطان ليدرأ عنها ذلك.

سلطة الدولة في تقييد حقوق الأسرة

إن تضارب المصالح بين أفراد الأسرة قد يجعل تدخل ولي الأمر أمرًا ملزمًا بغرض التوفيق والموازنة، وقد يؤول الأمر إلى التقييد والحد من بعض الصلاحيات، وذلك لتحقيق استقرار الأسرة واستمرارها، وتأسيسًا على ذلك نقول:

إن من حق ولي الأمر تقييد المباح من الحقوق بشروط أهمها:

١- أن تكون الحالة الملجئة حقيقية وليست مفتعلة.

٢- ألا يكون هناك طريق أو مخرج يحقق المراد غير هذا التقييد أو الالتزام، فإن كان ثم طريق آخر أو مخرج غيره لم يجز اللجوء إليه.

٣- أن تكون المصلحة عامة.

خلاصة القول

إن حقوق الأسرة في الفقه الإسلامي تستمد أصالتها وأساسها الفكري من نظرية الحق بل تتأسس نظريًا على ركائزه الثلاثة وهي: الحق منحة الله، الحق وسيلة لتحقيق مصلحة شرعية، استعمال الحق بين سلطة الفرد وسلطان الدولة.

إن الانطلاق من هذه الركائز الثلاثة في معالجة حقوق الأسرة له نتائج مهمة تتجلى في:

- حضور الجانب العقدي والأخلاقي في حقوق الأسرة، وهو أمر له مزايا عديدة من أبرزها مراقبة الله عز وجل في استعمالها مما يعني تجنب التعسف في استعمالها.
- يجوز الاجتهاد في فهم النص الحقوقي ظني الدلالة والثبوت أو ظني أحدهما، أما القطعي فلا مجال للاجتهاد فيه.
- يجوز الاجتهاد في تنزيل النص الحقوقي على الواقع، ويلاحظ أن نظرية التعسف قد رسمت طريقه واعتمدت آلياته من النظر في الآلات ودفع الأضرار واعتماد المقاصد.
- حقوق الأسرة منها ما هو ثابت ومنها ما هو متغير.
- المصالح المرجوة من الحقوق الأسرية هي مصالح شرعية مفيدة بضوابط شرعية وليست مصالح عقلية واقعية.
- استعمال الفرد لحقوقه الأسرية مقيد بضابطين، وهما تحقيق مصلحة الأسرة وعدم الإضرار، لذا فكل استعمال لها يخالف مصلحة الأسرة ويروم الإضرار هو عين التعسف.
- لا يجوز للدولة تقييد الحقوق الأسرية إذا كانت ثابتة بنصوص قطعية، ويجوز لها تقييد المباح منها بشروط تضمن التنزيل الأسلم للأحكام على الواقع وبلوغ مقاصدها الشرعية.

الهوامش

١- الميادين: مجلة الدراسات العلمية في حقوق المعرفة الحقوقية والسياسية والقانونية والاقتصادية بوجدة فاروق النبهان ص ٧٤، مقال تحت عنوان: أهمية مراعاة القيم الإسلامية في قوانين الأحوال الشخصية.

٢- الاعتصام للشاطبي، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة دون طبعة ٢٠٠٣.

٣- الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده، فتحي الدريني، ص١٧٣.

بالعَوربة نستقبل العَولمة

د. فخرالدين قباوة- باحث سوري

يختلف المحللون السياسيون في تفسير مفهوم العَولمة، ويذهبون في ذلك مذاهب شتَّى يجمعها المبدأ الخلقي القديم الذي سيّر السياسات الدولية، منذ عشرات القرون، كما رأينا في تاريخ الفراعنة والأكاسرة والقياصرة، وحياة الإسكندر المقدوني وهولاكو ورجالات الغزو الصليبي.

تطور مفهوم الهيمنة

على أن ذلك المبدأ القديم كان دافعه الهيمنة على البلاد والعباد، لتسخيرها في الخدمة والعبودية، وابتزاز ثرواتها وجهودها وتملك زمام التجارة والمنتجات الزراعية والحيوانية، والسيطرة العسكرية في مناطق النفوذ اللازمة، ثم صار له مفهوم جديد مَثّله في القرنين الأخيرين أساطين الاستعمار في الشرق والغرب على العالم الإسلامي. وقد نتج عن ذلك تذبيح عشرات الملايين من المسلمين في الصين والهند والاتحاد السوفييتي وأوروبا وإفريقيا، ثم كان ما سمعنا من تضليل في أواخر القرن الماضي، كالسلام العالمي والفراغ العسكري والهلال الخصيب و«البوليس» الدولي والتدخل السريع.

وأخيرًا ما شاع بين الأمم تحت شعار العَولَمة. وهو نفق سياسي يجب أن ينسب إلى صاحبه، فيكون اسمه: «التبويش» (١)، أي: صبغ العالم كله بالمطامع «البَوشية». فهو مذهبه الجديد تركه لخلفائه، إرثًا عدوانيًا على العالم الإسلامي خاصة، يحملونه لتهديم الدين واللغات والخيرات. فلقد كشف هذا الزعيم الجديد عن الوجوه أقنعة الصداقة المزعومة، ووضع أمام الأبصار حقيقة ما في نفوس زعماء الدول العظمى، من أحقاد وفساد في النيات والأعمال، ثم حقق ذلك كله بتهديد المسلمين كلهم، وبدأ بنشر غزوات العدوان والتخريب في كل بلد لا يستجيب للانقياد والعبودية والذلّة والصَّغار.

وأمّا شعار «السلام العالمي» أو «السلام في الشرق الأوسط» فألهُوّة من الأباطيل، يُضلَّل بها المسلمون ليستنيموا إلى عدوان الغزاة من اليهود والمتهودين، وما يجري في بلادنا من تهديم وتقتيل وتشريد ونهب للثروات والأوطان والأعراض والقيم. والأصل في «السلام» أنه اسم مصدر للتسليم والاستسلام لما يحمله من ظلال المودة والمسامحة.

وقد ورد ذكر السلام والسلم في القرآن الكريم بهذين المضمونين الكريمين، لتمييز الصِّلات الإسلامية الخاصة بنا والعامة لنا مع الأمم الأخرى. فكل خلط بين الشعارين في الاستعمال أو استبدال أحدهما مكان الآخر يخرّب لنا مفاهيمنا ويفسد علينا سبل العمل والتصرف في شؤون الحياة الدنيا والآخرة، ويحملنا نتائج الجهل والغباء والعبودية لغير الله في تقبل الأحكام والعواقب الوخيمة، كما نعاني الآن في جميع بلادنا من أنواع التشتت والعزلة ووسائل المذلة بالترف أو الجوع أو التقتيل والتخريب والاستعباد.

العولمة الحديثة

ذلك ما يقوم بتنفيذه اليوم زعماء العالم في الشعوب الإسلامية وبلادها، باجتياحها منطقة منطقة، غزوًا يهدّم ويزلزل ويقتل، ويستبيح حرمات المساجد والمدارس والمستشفيات والجماعات والبيئات والأسر والأفراد. وهذا الإجرام يدخل علينا باسم السلام والعولمة، ليشيع الدمار والفتن والخلافات الوطنية والمذهبية والعنصرية، ويسرق خيرات الأرض والثروات الربّانية ومصادر التراث، تحت شعار الحرية والحماية ومحاربة الإرهاب، وتحت مظلة المنظمات الدولية. وهو ما تراه في أقطار البلاد الإسلامية، يتجدد يومًا بعد آخر، ويكتسح كل بادرة خير فيها، حتى لا تتفتح فينا بوادر الصحوة المباركة.

وها أنت ذا تجد زعماء العولمة يشجعون الخلافات الطائفية والمذهبية والقومية والوطنية والمحلية، والأطماع السياسية بين الأنظمة، ويباركون التقاليد الدينية الفارغة والنزعات الانهزامية الباهرة، من تشييد المساجد الشامخة المزخرفة حتى في البيت الأبيض، وإشاعة الطقوس الفضفاضة المهلهلة والخرافات والأوهام، وأحابيل الوعظ المخدِّر للهمم وإماتة النفوس والضمائر والألسنة، باللهجات المحلية والتفكير السطحي الرجراج والعبارات

الهفهافة المبيدة لكل تفتح أو صحوة أو تحرر. أما الفهم الديني الصحيح، والنشاط العلمي المتقن والإعداد لنزع ربقة العدوان، فأمور محظورة مهدَّدة بالمحق والإبادة، هي ومن ينادي بها أو يشرع في تقبلها أو تنفيذ شيء منها.

الإعراض عن العرب

فالهيمنة القديمة التي هبّت علينا رياحها بغزو نابليون لمصر، لدى حيث ألقت رحلها أمّ قشعم، حملت معها سموم التبعية الأولى (٢)، إذ رأى محمد علي الكبير الوالي الغريب عن البلاد والعروبة أن استقلاله عن سلطان الخلافة لا يكون إلاّ بالانزياح عن النهج الإسلامي العربي، فسعى إلى مَحاربة الأقطار المعادية، يتعبد في أجوائها المخرّبة الموبوءة، ويستضيء بلهب مفاسدها المطروحة.

كان أول ما فعله أن أعرض عن التوجه العربي الإسلامي الكريم، فنقل نِعَمَ الحضارة الأوروبية وبركاتها، كما قال عنه بروكلمان في «تاريخ الشعوب الإسلامية» (٣)، وجعل قيادة الجيش لفرنسي هو «الكبتن سيف»، وصادر أملاك الأوقاف الإسلامية، وفرض أسلوب التعليم الأوروبي مع التدريس باللغات الأجنبية.. بل إنه أوفد البَعَثات من الشباب الغض إلى أوروبا لتعود بأساليب الفرْنَجة، ثم بذرَ الخلاف في الأقطار العربية للانقسام، وسارع في إرسال الحملات لاحتلال بلاد الشام والجزيرة والخليج.

وقد ساهم في تحقيق ذلك وترسيخ جذوره الملتوية رموز الاستعمار الفكري والثقافي، كالذي كان في أرض الكنانة، من أمثال: رفاعة الطهطاوي ويعقوب صنوع وأحمد فارس الشدياق وقاسم أمين وسلامة موسى وأحمد لطفي السيد وعبدالعزيز فهمي وجرجي زيدان وطه حسين وتوفيق الحكيم وأحمد أمين ومحمود تيمور وإحسان عبدالقدوس، ثم ما كان من نظائرهم في الوطن الإسلامي كله وهم كثيرون جدًا، من أمثال عبدالرحمن الكواكبي في بلاد الشام.

فقد أفسد هؤلاء وأمثالهم علينا القيم الإنسانية التي نعتز بها، وتحفظ لنا الحياة الكريمة، نقلوا إلينا مفاهيم مشوهة عن الدين والقومية والوطنية والإنسانية، وأثاروا في النفوس والعقول نزعات متطرفة، بما صنفوا من الكتب والمجلات والصحف الخليعة، وألقوا من المحاضرات، ودبجوا من الخطب والمقالات والمؤتمرات والندوات، وقنوات الإعلام صحافة وإذاعة وتلفزة وكبترة وتواصلاً.

اللهجة العامية

ولما جاء عهد الثورة المصرية أصبحت أُمّة العرب تتلقى الإثارة والتوجيه باللهجة العامّية المحلية سنوات بعد سنوات، ثم انتقل ذلك إلى الخطاب الديني وأساليب التعليم في المساجد والمدارس والجامعات والأزهر الشريف، وعمّ وسائلَ الإعلام والإعلان والحوار في ميادين السياسة والعلم والفن والأدب، حتى أصبحنا نسمع تفسير القرآن الكريم باللهجة المصرية الضيقة أكثر من عشرين سنة، في الإذاعات والتلفزات العربية.

ومن ثَمّ شرعت الحكومات ومؤسسات العلم والأدب تشجع اللهجات المحلية، وتقيم الاحتفال بالنّظم النبطي والمواليّا والزجل والمقامات والأناشيد والأغاني والقصص الشعبي، فصار لها مواسم وجوائز وأسواق رائجة، تغطي الساحة الفنية وتزيل سيادة الأدب الرفيع، بل لقد أصبح الزجل والقصص الشعبي بوساوس من المستشرقين يُقحمان في مقرّرات كليات الآداب، وصارت المدرجات العلمية العالية تمنح على أبحاث عنهما وعن دراسات للأدب الشعبي واللهجات العامية، وقد تسنّم بعض الأساتذة كراسيّ علمية لذلك في الجامعات العربية.

وبهذا انطوى كل قطر من ديارنا على ذاته، وصار أبناؤه يصوغون القيم الإنسانية العالية وأساليب التفكير والحوار والبحث والتعليم والوعظ

والإرشاد من خلال منظور مصالحهم وشهواتهم ومنافعهم ولهجاتهم، وتزيدهم مقاعد الدراسة فسادًا بما يرون من الفوضى وإهمال الواجبات وتشويه للقيم والكرامة وعروبة اللسان. حتى إذا نجا أحدهم من مراحل التعليم الجامعي رأيته قد ودّع ما بقي فيه من نشاط وحماسة وإقدام وإنسانية وعروبة ووطنية، وصار لديه انعتاق وتسيّب في الولاء والتوجه، وبطالة وعطالة عن العمل والتفكير والتدبير، واستخفاف بالمعاني الإنسانية عامة، مع سخط ونقمة على عامة الأحياء والأموات.

وهاهو ذا الآن لا يحسن المواطنة الكريمة ليخدم أمته، ولا يملك مهنة أو خبرة ليبني عملًا إيجابيًا لبناء حضارة إسلامية، ولم يمارس الحياة العائلية اللازمة في أهله ليكون زوجًا يُكرم الزوجة ويعينها على أداء الواجبات وربَّ أسرة مستقرة تقدم للأمة جيلاً قويمًا ومجتمعًا سليم البناء والتوجه والإنتاج والعطاء.

وكذلك شأن الفتيات في كثير من مراحل الامّحاق هذه، بل هنّ أشد بلاء وأنكى، وإنما ينجُون من مآثر الجندية فقط، ثم تنصب عليهن في المواطن الأُخرى سائر ألوان التثبيط والتوهين والتعطيل والتفريغ من كل معنى إيجابي حميد، وعندما يتخرجن في الكلية أو المعهد، يشعرن بالوحشة والعجز عن تبيُّن المستقبل المنشود، فليس لديهن الخبرةُ المنزلية للإسهام في تربية مواطنين صالحين وتقديم الأسرة الكريمة، ولا المهارةُ العملية لخدمة الوطن والأمة.

العَوربة لا العَولمة

مادام للعولمة تلك الاستطالات المتعددة المتشعبة، في حقول السياسة والاقتصاد والفكر والثقافة والعقيدة واللغة والأخلاق والسلوك والعمل وميادين الحياة، فإن كل حقل من تلك الحقول يتصدى لحربه أهله من منظّرين وعاملين. والحكمة العقلية هنا تقتضي منا- نحن رجال عروبة اللسان- وجهًا عمليًا من السعي والاجتهاد يناسب البلاء المعاصر، نقدمه للأمم الغازية آية شكر على ما تلقفناه من فتات الموائد و«بالة البالات»، وخزي في الحياة وفي الممات.

وهأنذا أبسط ذلك الوجه بشيء من التفصيل، فنحن- علماءَ العربية- لن نواجه ذلك الغزو بأسلحة الحديد والنار والجراثيم أو شامل الدمار، لأنها لا تجدي شيئًا في هذا المعمعان، وإنما يكون سلاحنا هنا الفكر والتدبر بالعقل واللسان، والعملُ القائم على الوعي الكامل البنيان، لخدمة العربية لغة القرآن. فبالقول خطابًا وكتابة وتأليفًا وتعليمًا وتوجيهًا، نستطيع أن نتحمل تلك الواجبات، ونقدم ما نحمل من المَهام العظمى في ميداننا المبارك.

ومنذ بضع سنوات، نشأت مؤسسات علمية لغوية بعيدة عن الميدان السياسي، تكشف للقلوب والعيون والضمائر ظلمات التبعية التي نعيش فيها، وبوارقَ الأمل في تفتح فجر جديد، من الانطلاق والتحرر للشعب العربي والأمة الإسلامية، خلال معارك الوجود والحضور وتفعيل حياة عروبة اللسان، وتسديد المسار الذي انحرفت خطوطه بالانقياد النائم، ودخلت متاهات الضياع والتجهيل والاستسلام. وبهذا أصبحت العَوربة من أُولى واجبات تلك المؤسسات، إذ صار أول الأهداف هو: الاهتمام باللغة العربية ورعاية شؤونها وتنميتها.

فالغاية الأولى لتلك المؤسسات المباركة هي الاهتمام، أي: الرعاية والخدمة والتنمية للغة العربية، بما يناسب حاجات الحاضر والمستقبل، في جميع مستويات التواصل اللغوي: حوارًا وتوجيهًا وتعليمًا وإعلامًا وتفننًا وبحثًا وتأليفًا. وتلك العمليات المتتابعة من الاهتمام تهيئ سلامةَ عروبة اللسان ومواكبتَها لمسيرة الحياة في الحقول المختلفة والمقتضيات الحضارية المتجددة.

والاهتمام يعني المراقبة والحرص على الوفاء والتنمية، وهو غير الحِفظ الذي أمَّنه الله- عز وجل- في قوله الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩). ففي هذه الآية المَباركة بشّرنا المولى- تعالى- أنه تكفّل بحفظ القرآن الكريم إلى الأبد من كل خلل أو نقص أو زيادة أو تحريف أو تبديل. وإنك لترى أن هذه البشارة الربانية تحمل في طياتها بشائر بدلالات كثيرة، لم يعرض لها العلماء. ومن ذلك أن الآية تتضمن أيضًا حفظ اللغة العربية والعرب والإسلام والمسلمين (٤)، وهذه بشارات بتأمين السلامة والخلود للعناصر المذكورة، مسجَّلًا في أمّ الكتاب واللوح المحفوظ، قبل أن يُنقل إلى المصاحف.

وقد وجبت تلك الدلالات باللزوم، لأن حفظ القرآن المجيد لا يتحصل في الفراغ، أو في نفوس الجن أو الملائكة، فاللغة العربية هي الوعاء الذي يحمل نصوص النظم الكريم، والعرب هم حملة عروبة اللسان، والإسلام هو الدين الذي يشتمل على القرآن الكريم ويبلغ رسالته، والمسلمون هم المؤمنون بذلك والحاملون له فهمًا واعتقادًا وعملًا وتبليغًا وجهادًا في سبيله، وعلى هذا تكون العناصر الخمسة: القرآن والعربية والعرب والإسلام والمسلمون، في مسيرة واحدة من الحفظ والصيانة أبدًا، لأنها تشكل مزيجًا متناصرًا متكاملًا، مصير كل منها مرتبط بمصاير الأُخريات، فلا حاجة إذن إلى ما ينادي به بعض الغيورين على العربية، من نحو: الحفظ والحماية والدفاع، لأنه مؤَمَّن بكفالة الله- عز وجل- والمحفوظ بأمر المولى العظيم غني عن جهود المخلوقات.

ومع هذا، فإنه لن يتحقق ذلك التأمين بالخيال والأوهام، ولابد له من جنود تقوم بتنفيذه وملاحقة أبعاده، وهذا يقتضي في الحقل اللغوي أن تتعاون جهود العرب والمسلمين، بالعَوربة الدائبة لرعاية اللسان المبين وخدمته وتنميته، في المعترك الحضاري العنيف بين الأمم والدول والأحلاف، إزاء غزو «العَولمة»، الذي يهدد الوجود

لابد من تثبيت الصحة اللغوية في النفوس والأقلام والأفهام وإشاعة استعمالها في كل مجالات الحياة

ويلوّث الألسنة والعقول والقيم والأذواق والأخلاق والعقائد والعبادات والأحكام والسلوك والعمل والعلم والفن والآداب. وبناء على هذا كله فإن الإخوة العاملين في المجالس اللغوية الجديدة شرعوا يجددون العزم على تسلم زمام القيادة الفكرية للشعب العربي والأمّة المسلمة، وتوجيه الصحوة للانعتاق من كيد استشراق العدو واستغراب موجهي الفكرَين العربي والإسلامي المعاصرَين، وإنما يكون هذا الانعتاق برؤية واضحة للسبيل القويم، في توجّه العلم والعلماء والدرس والدارسين والبحث والباحثين والعمل والعاملين. والسلاح الفعال لهذه الصحوة ينحصر في الحقول اللسانية، لأن الوجه اللغوي للعَولمة هو الرِّدّة بالعرب ومن معهم إلى أحضان طُمطمانيات العامّيات المحلية، ومنها إلى نُفايات رَطانات الأوروبيات الخبيثة عامة والأميركية خاصة، للانصهار فيها تمثلًا وخطابًا وكتابة وبحثًا وتأليفًا وتأدبًا.

وهذا يعني تلويث الفكر واليد واللسان، والانقطاع عن الماضي والحاضر، والانصراف عن التراث بما فيه من علوم وآداب وفنون وتجارب وتأصيل حضاري. وهو تهديم لا تزعزعه الحكمة العقلية بمفهومها العلمي، ولا المواجهة السياسية الودّية المتطامنة، ولا المحبة من طرف واحد، وإنما يجب أن يقف له وجهًا لوجه أسلوب لغوي يتمتع بالقوة والنفاذ، طرحتُه على الإخوة العاملين في ميادين اللغة العربية باسم «العَوربة». وهو قطب حيوي يقابل ذلك الوافد المقيت، ويكون ندًّا له بالمرصاد. وقديمًا قيل: الحديد بالحديد يُفلح.

معنى اصطلاحي

ونحن لا نعني بالعَوربة تعريبًا، كما يفهم بعض السامعين والقُرّاء، إذ كلنا عرب أو متعرّبون، والحمد لله رب العالمين. وغيرنا من الشعوب الإسلامية لسنا مكلّفين بتعريبهم أيضًا، إنما علينا التبليغ والإعلام والإيناس والتقريب والتعليم، فإن تعربوا بأنفسهم رغبة منهم فبها ونعمتْ، وإلّا كنا قد قمنا بما علينا، وكفى الله المؤمنين الخصام.

والمراد بالعَوربة هو: تشييد الحصن الحصين لعروبة اللسان ومسيرتها العالمية، أعني ما قام به أجدادنا القدماء العرب من إحياء عروبة اللسان ببضع سنوات بين إخوتهم في الشام وشمالي إفريقيا وشرقيها، ثم نشر العربية عالميًّا بالتواصل الإنساني الكريم في التجارة والمصاهرة، من الأندلس إلى إندونيسيا ومن فاراب إلى جنوبيّ إفريقيا واليمن، حتى إنه مازال الأفغانيون غرب «مزار شريف»، وبعض أهل طاجيكستان، يتحدثون باللغة العربية (٥). ومثل هذا كثير في الجمهوريات الإسلامية من شرقيّ أوروبا وشماليّ آسيا، مع استعمال الحرف العربي في الكتابة أيضًا، رغم ما نزل بها من بطش الشيوعية الملحدة والرأسمالية اليهودية المعاصرة، وما فُرض عليها من أساليب العَولمة الغاشمة.

وتنفيذ ذلك العمل الكريم يتطلب منا الآن مرحلتين متواليتين، يكون منهما «تبويش التبويش»، أي: إفساده وتخريب مخططاته ومقاصده. وهاتان المرحلتان هما: السعيُ في بلادنا لتأسيس ما يتصدى بعروبة اللسان للصرخة العَولمية المسعورة، ثم الانطلاقُ بنشر العربية إلى مناطق نفوذ التيار العَولمي نفسه ثم إلى بؤرته في عُقر داره، لمزاحمته وغزو موطنه في هذا الكوكب الصغير. وذلك التصدي يكون بتثبيت الصحة اللغوية في النفوس والأقلام والأفهام، وإشاعة استعمالها في كل مجالات الحياة، وسيطرتها على العقول والضمائر، وصيرورتها الوسيلة الوحيدة في البيان والتعليم والوعظ والتوجيه والإعلام والإعلان والبحث، محبة ورغبة في الاستقلال والسيادة.

خريطة عمل

فالتعليم بمراحله المختلفة، والإعلام بأشكاله المتعددة، والإعلان بصوره المتفاوتة، والتوجيه الديني وعظًا وفقهًا وخطبة وتفسيرًا وإقراء، وتأليف البحوث العلمية والفنية والأدبية، والتعامل بمثل الكِبتار (الكومبيوتر) والمحمول (الموبايل) والبِرساخ(٦) (الفكس) والتواصل (الإنترنت) والكتْرُون (البريد الإلكتروني) والآليّة (الأتمتة)... كل ذلك يكون بالصحيح من الكلام. أما الحوار اليومي في السوق والشارع والنادي والمنازل فيكون باللغة الوسطى. وفي الاستمرار بهذا الاتجاه تعزيز المُناخ اللغوي الصحي، لتكوين الملَكة السليمة المعافاة، أي: عَوربة اللسان. وهذا يعني أن تكون المستويات اللغوية كما يلي:

١ – اللغة العربية الفصحى هي خاصة بالأدباء، فيما ينتجون من شعر ونثر فني، ليكون في أعلى مراتب الفصاحة والجمال والبيان، ليناسب العمل الأدبي الرفيع.

٢ – اللغة العربية الفصيحة تكون خاصة بالعلماء، فيما يصنفون ويبحثون ويؤلفون ويتحدثون، لأنهم يتناولون معلومات وحقائق عميقة تحتاج إلى التعبير الدقيق بالأسلوب الفصيح، للدلالة التي هي غاية في البيان.

٣ – اللغة العربية الصحيحة، وهي تشمل جميع اللهجات القبلية القديمة القرشية وغيرها إذا كانت قائمة على السلامة اللغوية، تجوز للموجّهين في غير مجالات الفن الأدبي والبحث العلمي. فالمعلمون والأساتذة والمدرسون في جميع المستويات والمجالات المدنية والعسكرية، وخطباء الجوامع والمساجد، ورجال الوعظ والإرشاد والإعلام والإعلان والحوار والندوات والمؤتمرات العامة، والعاملون في ميادين القضاء من محامين وقضاة ومساعدين وخبراء، كل هؤلاء يكفينا منهم أن يحسنوا التعبير الصحيح وحده، دون مطالبتهم بالعربية الفصيحة أو الفصحى، لأن هاتين ليستا من مقتضيات أعمالهم في ميادين التوجيه والتعبير.

٤ – اللغة العربية الوسطى تقتصر عليها جماهير المواطنين غير المذكورين قبل من رجال ونساء وشيوخ وأطفال، خلال ممارستهم شؤون الحياة اليومية في المنازل والشوارع والأسواق والمنتديات والمسارح والملاعب والمهن المختلفة. ونعني بالوسطى التعبير القريب من

الصحيح من دون تقعّر في الإعراب وتفاصح وتقصد لدقيق البيان.

وفي هذا ما يقرّب الناس يومًا فيومًا من مستوى الصحيح والفصيح والأفصح، ويحمّل كل قِطاع بشري ما يناسب عمله في ميادين الحياة اللغوية، لتحتفظ عروبة اللسان بوجهها المشرق في وظائفها المختلفة وغاياتها النبيلة، وتتنامى العَوربة مع الأيام لتفرض نفسها في ميادين اللغات العالمية، وتستعيد مجدها التليد بعون الله وتوفيقه.

وهذا التوزيع للمستويات اللغوية يذكرنا بما نطلبه من الصحة الجسمية بين الناس. فالعناية الصحية المشددة تكون لعدد ضئيل جدًّا من الأمّة ولا يجوز تعميمها على الجميع، وحسب الجماهير أن يكون لديهم صحة الجسم وصفاء النفس، ليكون للأعمال نتاج طيب في الوطن الكريم، ثم بين هؤلاء وأولئك مستويات صحية تناسب الأعمال المنوطة بالناس. وإذا استطعنا أن نشيع العربية الصحيحة في جميع أنواع التعليم والإرشاد والإعلام، وعوّدنا أطفالنا أن يؤدوا بها القراءة الصامتة دائمًا، فإنني كفيل لكم بأن نتخفف من دراسة القواعد النحوية في جميع مستويات التعليم، عدا الاختصاص في الآداب والعلوم الشرعية، إذ يكفي سائر الطلاب أن يتبينوا بعض الحقائق النحوية خلال القراءة والدراسة للنصوص والعلوم المختلفة، بشيء من البيان والتوضيح.

نسعى في ذلك بين أبناء العروبة مسلمين وغير مسلمين، لأنه اللغة الوطنية الوحيدة في البلاد، ثم ننقله إلى الشعوب المُحبّة للغة الإيمان، في البلاد الأخرى من ديار المسلمين. فهؤلاء أنصار لنا وعون في المجالات العامة، نزوّدهم بما يَنشر بينهم لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، وهم يقدسونها ويتطلعون إلى تعلمها والعبادة بها، فنكسب ودّهم وتفهُّمهم لمشكلاتنا الوطنية والقومية والسياسية، ونصرتهم لقضايانا في كل ميدان. ونعيد لعروبة اللسان مواقعها الإسلامية التي كانت لها في العصور الماضية، برغبة الإيمان وتطلّب الصلاح.

وبهذا نكون قد حصّنّا أفراد الشعب العربي والأمّة الإسلامية من الانزياح و«التأورب» و«التبويش»، ووسّعنا دائرة الردع للعُجمة والعامّيات المحلية، واكتسبنا شعوبًا يتجاوز عدد أفرادها المليار ودولًا تبلغ العشرات، ورددنا العَولمة اللغوية بالمناعة والصمود، ولم يبق لها فينا إلاّ ما نحتاج إليه من ترجمات وتعريب لمستحدثات العلم ومنجزاته والأعمال الاضطرارية.

فإذا حققنا مطالب هذه المرحلة المصيرية، من الصراع اللغوي، كان لنا القدرة على العَوربة العالمية، نقابل الغزو بمثله والرياح بإعصار. وهذا يعني أن ننقل معركة اللغات إلى الغُزاة في عُقر دارهم وحقل سلطانهم الثقافي، نقرّب العربية إلى مواطنيهم وأتباعهم من الأمم والشعوب بالوسائل الكريمة، ونزوّدهم بما ييسّر لهم تعلمها أو تداولها فيما بينهم، ليكون لنا بينهم ميدان تعارف حقيقي يزيل أكاذيب اليهودية والاستعمار، ويوضح واقع وفائنا للقيم الإنسانية وطيب الأخلاق ونبل المعاملة للجميع، ومن ثَمّ تنفتح فيهم مجالات لحضارتنا ودعوتنا وأسواق للمعاملات الاقتصادية الكريمة، ومداخل إلى القلوب والسرائر، فيما يَحتاج إلى تعرُّف أو تعاون أو تبادل أو نصرة أو إنصاف. وما ذلك على الله بعزيز.

وإذا كنا مطالَبين بإلزام أن نسعى في تبليغ الناس جميعًا مبادئَ التوحيد الإسلامي، ونهجَه القويم في العبادة والتشريع والمعاملات والأخلاق والسلوك، فإننا أيضًا مطالبون أن ننقل لغة القرآن الكريم والحديث الشريف إلى أولئك المبلَّغين، إذ بها يحسن الفهم والتوجه والعمل الواعي الحصيف. وهكذا يكون تلازم في العالَمية بين الحنيفية وعَوربة اللسان.

ولسنا ندعي هذا بالظن والتوهم، لأنه حاضر بوضوح وبيان في عشرات من الآيات الكريمة. فقد ذكر علماء اللغة والنحو أن القرآن العظيم استوفى، مع نزوله بلغة قريش، عددًا ظاهرًا من لهجات قبائل العرب في الأساليب النحوية، وعددًا أكبر من الألفاظ التي كانت تستخدمها قبائل عربية أيضًا وأمم أعجمية. وفي هذا تحقيق بالخطاب وتأليف لقلوب الآخرين، وإشعار بأن القرآن الكريم ليس خاصًّا بقريش أو بالعرب، وإنما هو للناس عامة، كما أن الدين الذي يبشِّر به هو لهم أيضًا في كل زمان ومكان.

فلكل أمة خصائصها التاريخية ولكل شعب سماته الشخصية، ولا يجوز العدوان على ذلك، بل له حرمته وتقديره وتنميته وحمايته، في رياض الروح الإسلامية العربية العالمية، وهذا ما لا تقره العَولمة التبويشية المستعلية، بل تريد أن تمسح آثاره من الكون بجرة قلم وتهديد غزو ومحق من الوجود، ولذلك يكون فرق جوهري كبير آخر بينها وبين العَوربة، إذ تتميز مساعي هذه بالتبليغ والإعلام والتعليم والإرشاد للحضارة الروحية: ﴿ادعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ والمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ﴾ (النحل: ٦)، وتصطبغ مخططات تلك لفرض الحضارة الوحشية بالذي هو أسوأ: الحديد والنار والهدم والدمار.

رسالة السماء

نحن نحمل بالعَوربة إلى الآخرين رسالة السماء، لأنهم في أمسّ الحاجة إليها، بما انصب عليهم من الكوارث والنكبات والحروب، فيها عشراتُ المَلايين من القتلى والمشوهين، ومبادئ الإلحاد والمادية المغرقة والفواحش والمنكرات والمخدرات. ننقل إليهم مدنية روحية ولغة ربانية تستوعبان جماهير البشر، بما فيهم من تعطش وتطلع إلى منقذ من توحش القوى المدمرة للكون والحياة.

هذا هو القانون الطبيعي لاستجابة الإنسان كما قال منذ عقود أحد أساتذة الجامعة بيروت (٧) يجري على أتم وجه. فلا بدع أن تَنقل حضارتُنا ولغتنا إليهم الهناء والرغد والرفاه والحلم والأنس والبهاء والهناءة. أما العَولمة البوشية فتحمل مدنية مادية ولغة هجينة وفتكًا وتدميرًا وتسلطًا مريرًا. فلابد أن تنفر منها النفوس، ويكونَ عجز عن فرضها بالقوة والجبروت والطغيان الشنيع،

فتنتهيَ بالإخفاق والإحباط والاندحار كما جرى لأسلافها من المتسلطين.
فلا يمكن أن يقارن به ما تسلكه العَوربة من سبل الدعوة إلى الخير والرشاد والسعادة في الدنيا والآخرة، كما حققها في التاريخ أجدادنا العرب المسلمون، حين فتحوا القلوب والعقول قبل المدن والقرى والمحيطات، ونوّروا العالم بأمجاد العروبة والإسلام. فإلى تمثل هذه الدعوة الوقائية العلاجية- أيها المحبون لعروبة اللسان- نتعاون في فهمها وتوضيحها وتحقيقها علمًا وعملًا.
ولما بدت سورية رائدة ميدان التعريب في أوائل القرن الماضي، وانطلقت بعضُ الدول الشقيقة تجاريها وتقتدي بها في قليل منه حرصًا على صفاء العربية من كل ضعف أو فساد، فإنه يتوجب علينا- نحن العرب- أن نتعاون في جميع الميادين الاجتماعية والتعليمية والتوجيهية والإعلامية والأدبية والسياسية، لتصفية عروبة اللسان من ذيول العامية والعُجمة، باتباع الخطوات التالية:
- فرض العربية الفصحى على الأدباء في كل شعر أو نثر، والعربية الفصيحة على العلماء في جميع الميادين، والعربية الصحيحة في وسائل الإعلام والإعلان والتعليم والوعظ والإرشاد، مع الرقابة الشديدة بالمكافآت والعقاب.
- الرقابة اللغوية لكل ما ينشر من الكتب والدوريات، وما يُعرض من اللافتات والدعايات والأناشيد والأغاني، والأفلام والمسرحيات والمسلسلات والقصص والروايات والأقاصيص.
- توجيه المصادر المقروءة، ليكون فيها الضبط اللازم لكل مستوى بحسب حاجته، مع التوظيف المنهجي لعلامات الترقيم.
- إحلال الرغبة والمحبة للعربية والتراث، بدلًا من الترهيب والتعقيد وتضخيم المسؤولية بالأوهام والتغليط.
- إيجاب استعمال العربية الصحيحة في التدريس لجميع المقررات، مع الحوار بما يناسب مستوى الطلاب.
- تشجيع الناس على القراءة الصامتة الصحيحة، والقراءة الجهرية المتقنة الأداء، في الرياض وما بعدها.
- تنمية الاعتزاز بعروبة اللسان، ورفض التثبيط لنجاح فصاحتها والاغترار بمظاهر الأمم الغربية.
- التمييز بين النحو العملي ليكون مما يدرسه جميع الطلاب بحسب مستوياتهم، وحصر النحو العلمي في أقسام اللغة العربية والأدب والدراسات الشرعية.
الممارسة العملية لما يُدرس من العربية، في ساعات الحوار والكتابة والقراءة، وإجراء الإعراب التطبيقي.
- التدريب على قراءة القرآن الكريم والنصوص الأدبية، وحفظ الكثير من الآيات والأحاديث والشعر والنثر.
- تشجيعُ الدراسات اللغوية والأدبية، وإكثارُ الحوافز لمدرسي العربية بإعداد القدوة الصالحة، والعنايةُ القصوى بالنابغين والمتميزين، لمتابعة البحث العلمي العالي والإنتاج البكر في خدمة العربية وتنميتها.
- تعريب مناهج التعليم وبرامجه في جميع المستويات، حفظًا للكرامة العربية من المهانة والصَّغار، وتهيئةِ العقول للبحث العلمي الرائد خدمةً لحضارة الإسلام.
- تكوين المهارات اللغوية، في التعبير والقراءة والكتابة والفهم والإنتاج للعلم والأدب.
- تأخير تدريس اللغات الأجنبية إلى المرحلة الثانوية، وجعل دراستها اختيارية، وتهميش دراسة اللغات الأجنبية في المستويات الجامعية العليا، ليتابعها من يحتاجون إليها فقط.
- توجيه البَعَثات إلى الغرب والشرق، بأن تكون لمن أتقن العربية واستوعب ثقافتها ونال إجازة علمية.
- تعريب البحث العلمي في الجامعات والمعاهد والمخابر وسائر القطاعات الخاصة والعامة.
- ترجمة الأبحاث العلمية والمصطلحات وأسماء الأدوات والآلات والأجهزة والأشياء المستوردة والمحلية.
- استعمال اللغة الوسطى في الحياة العامة بين الناس جميعًا، وإشاعتها تهيئة للتفصيح.
- استبعاد الإجابات الآلية «الأتمتة» في امتحانات المدارس والمعاهد والجامعات، ريثما يتمكن الطلاب من عروبة اللسان.
- تفصيح التعبير في التلفاز والكِبتار (الكومبيوتر) والتواصل (الإنترنت) والبِرساخ (الفكس) والهاتف المحمول (الموبايل) والكَتْرُون (البريد الإلكتروني)، وعن الأعداد والأرقام لإحياء ما اندثر في العقول والألسنة والأقلام.

الهوامش

(١) في اجتماع لأعضاء الكونجرس يوم ٢٩/ ١/ ٢٠٠٢، ذكر الرئيس الأميركي جورج بوش صلابة الاتحاد اليهودي والمسيحي الأبيض الثري، وهيمنة القوات الأميركية على العالم، وتحدث عن إطلاق الحرية في زراعة الأفيون بأفغانستان، ثم قال: «لن نتوقف حتى يصبح كل عربي مسلم مجردًا من السلاح، وحليق الوجه وغير متدين ومحبًا لأميركا، ولا يغطي وجه امرأته نقاب.. ونعتبر أن جميع المنظمات الدولية والسياسية، التي تعارض كل هدف يتعلق بالمصلحة الوطنية الأميركية الإسرائيلية، يجب حلها فورًا...
سنقوم نحن- شعوبَ العالم من الجنس الأبيض المتحضر- بفرض معتقداتنا على عالم جانع لأموالنا ورسالتنا. ولن يخضع الرجال بعد الآن لشرط إطلاق اللحى، ولن تخضع النساء لشرط تغطية وجوههن وأجسادهن. ومن الآن فصاعدًا يحق للعالم تناول الخمر والتدخين وممارسة الجنس السوي أو الشذوذ الجنسي، بما في ذلك سفاح القربى واللواط والخيانة الزوجية والسلب والقتل وقيادة السيارات بسرعة جنونية، ومشاهدة الأفلام والأشرطة الخلاعية داخل فنادقهم أو غرف نومهم. وبالنسبة إلى شركاتنا التي تنتج مثل هذه المنتجات فسيحقّ لها الوصول من دون عقبات إلى الدول المتخلفة التي منعت تلك الحريات عن شعوبها». انظر ص ١٧ من العدد ٨٣٠٠ لجريدة الخليج الصادر في ٨/ ٢/ ٢٠٠٢.
(٢) انظر كتابنا: ولا يزالون يقاتلونكم في ميدان التعليم والبحث العلمي وعروبة اللسان ص ٨ ـ ١٢.
(٣) ص ٥٤٤ ـ ٥٤٦.
(٤) انظر تفسير الجلالين الميسر ص ٢٦٢، والمفصل في تفسير القرآن الكريم ص٩٥٣، والمهارات اللغوية وعروبة اللسان ص ١٤٤.
(٥) موسوعة حلب المقارنة ٥: ٣٦٤.
(٦) البرساخ: نحت لاسم الآلة من البرقية المنسوخة، وهو لفظ وَدود وَلود يكون منه مصدروأفعال ومشتقات.
(٧) انظر موسوعة حلب المقارنة ٥: ٣٦٤ـ٣٦٥.

تقريب تأصيلات ابن دقيق العـــ بالمقصود منه من خلال شرحـــ

د. لخضر بوغفور - أكاديمي جزائري

قد ينقدح في ذهن البعض أنّ ربط أحكام الشارع بمقاصده وحِكمه مطلب سهل المنال إذا ما وقف على بعض مسلّماته النّظرية وكلّياته الجليّة، ولكن ما إن يسبر هذا المسلك على حقيقته وينظر في دقائقه ومتعلّقاته وتطبيقاته ويستحضر انتشار الحكم وخفاءها في جملة واسعة من الأحكام حتّى يدرك خطأ تصوّره الأوّل، قال ابن تيمية: «اعلم أنّ تعليق الأحكام بالأسباب المقتضية حصول المصالح من الأحكام أمر مضبوط، فأمّا الحِكم والمصالح فإنّ تعليق الأحكام بها عسِير؛ لكونها قد تكون خفيّة، وقد تكون غير مضبوطة»(١).

وقال عبدالله دراز: «لابدّ من النّظر المطلق في مقاصد الشّرع بواسطة الكلّيات، ولابدّ من تتبّع النّصوص أيضًا مع ذلك وهي الجزئيات، وبالأمرين معًا تصدر من النّاظر صور صحيحة الاعتبار عند الشّارع، وما أصعب هذا العمل!!...»(٢).

ومن ثمّ فحريٌّ بالنّاظر- علاوة على استعانته بربّه جل جلاله واستنزاله السداد منه- أن يستفرغ قصارى جهده في ضبط هذا المقام عسى أن يتجاوز هذا العسر بأمان ويستقيم نظره المقاصدي ويقترب من إصابة حكم الله عز وجل في المسألة التي يعالجها «على وجه لا يخلّ فيه المعنى بالنصّ، ولا بالعكس؛ لتجري الشريعة على نظام واحد لا اختلاف فيه ولا تناقض»(٣).

ومن أفضل وسائل تحقيق هذه الغاية الجليلة وقوفُ الناظر على ما رقمه بعض العلماء الراسخين الذين أمّوا هذا المسلك وبرعوا فيه، ومن أبرزهم الإمام المجدّد ابن دقيق العيد، الذي قال فيه الذهبي: «له يد طولى في الأصول والمعقول، وخبرة بعلل المنقول»(٤). وقال فيه أيضا ابن الزملكاني: «إليه المنتهى في التّحقيق والتدقيق، والغوص على المعاني»(٥).

ومن ثَمّ تشكّلت فكرة هذا البُحيث في تتبّع جملة من إشاراته الرشيقة وتقريراته الرصينة التي فرّقها في شرحه على «عمدة الأحكام»، والتي هَدف من خلالها إلى تقريب علاقة النّصوص والأحكام الشرعية بالمقاصد المرعيّة وضبط بعض حدودها، ولا غرو في ذلك فهو القائل: «لست أنكر على من اعتبر أصل المصالح، لكن الاسترسال فيها وتحقيقها يحتاج إلى نظر شديد...»(٦).

وإخال أنّ إبراز مثل هذه الإشارات لهذا الإمام ولغيره من النّظار الكبار يسهم في إثراء الرصيد التأصيلي لجانب الضبط والإحكام في هذا العلم الجليل.

وتعظم الحاجة إلى طرق هذا الموضوع بالنّظر إلى شيوع ظاهرة المراعاة المغلوطة للمقاصد في الأمّة خصوصًا في وقتنا المعاصر(٧).

وقد جاء هذا البحث في تمهيد وفروع ثلاثة وخاتمة على النّحو التالي:

تمهيد

الفرع الأوّل: ما رجحت فيه كفّة الوقوف مع ظاهر النصّ.

الفرع الثاني: ما رجحت فيه كفّة مراعاة مقصود الشارع.

الفرع الثالث: ما له صلة بهما جميعا.

خاتمة

وقد اعتمدت في منهج دراستي هذه على تتبّع التأصيلات المقاصدية الذي ذكرها ابن دقيق العيد متعلّقة بموضوعنا، ثمّ قسّمتها بحسب ما سبق في الخطّة.

ورتّبتها داخل الفرع الواحد بحسب ورودها في كتابه مع جمع ما اتّحد معناه في موضع واحد، ثمّ ذكرت المناسبة التي جاءت في سياقها، وعلّقت عليها من خلال تجلية مضامينها وتقريب مقاصدها وذكر بعض الزيادات عليها.

تمهيد

نقف قليلا في مطلع هذه البحث لنحرِّر مصطلح مقاصد الشّارع حتّى يستقيم لنا تصوّر التأصيلات الآتية ونعرف ارتباطها جميعا مع موضوعنا بغضّ النّظر عن النّوع التي تندرج تحته.

مقاصد الشّارع في الأصل هي مراداته من أفعاله ومن شرعه(٨)، والذي يعنينا منها في مسارنا الفقهي مراداتُه من أحكامه الشرعيّة، وتحتها نوعان جليلان(٩):

النّوع الأوّل: مقاصد الشّارع من خطابه الشّرعي، وهي الأحكام الشّرعية والمعاني التي قصدها الشّارع الحكيم من ألفاظ خطابه الشّرعي.

وما قرّره علماء الأصول فيما يتعلّق بدلالات الألفاظ خير معين على ضبط هذا النّوع.

ـــــيد حول علاقة النصّ الشرعي
ـــــه على «عمدة الأحكام»

ومثال هذا النّوع ما يأتي طَرْقُه في التأصيلين الأوليين من كون الأمر النّبوي بغسل ولوغ الكلب هل يناط بقصد الشارع إلى الجمع بين المطهِّرين أو يناط بقصده الزيادة في التنظيف بالتراب؟

النّوع الثّاني: مقاصد الشّارع من مدلول خطابه الشّرعي، وقد أشار بعض المتقدّمين إلى حقيقتها، ومن هؤلاء ابن تيمية الذي يمكننا أن نستلّ من كلامه(١٠) التّعريف التّالي: «الغايات الحميدة والعواقب الحميدة التي ترمي إليها الأحكام الشّرعيّة».

فحينما يقرّر النّاظر مقاصد النصّ الشرعي من آية قرآنية أو حديث نبوي بطريقة النّوع الأوّل ينتقل إلى استجلاء ما وراءها من مصلحة مجلوبة أو مفسدة مدفوعة بطريقة النّوع الثاني.

ومثالها ما يأتي طَرْقه في التأصيل الرابع من كون الصلاة الوسطى التي أكّد على المحافظة عليها، هل هي صلاة الفجر باعتبار مشقّة مجيئها في حال النّوم أم هي صلاة العصر باعتبار مشقّة مجيئها في وقت اشتغال النّاس بالمعاش؟

وكما ترى جليّا هما نوعان متكاملان لا يرشد نظر الفقيه إلاّ بملاحظتهما جميعًا، ولربّما عظمت عناية البعض بالنّوع الثاني وقصّروا في تحقيق النّوع الأوّل فزلّت فهومهم وشذّوا عن الجادّة.

والآن نلج إلى تأصيلات ابن دقيق العيد ذات الصلة بهذين النّوعين:

الفرع الأوّل: ما رجحت فيه كفّة الوقوف

كيف تتصرف إذا تجاذب الحكم الشرعي مقصودان أحدهم قاصر على عين ما ورد في الحكم والآخر يشمل أعيانا كثيرة؟

مع ظاهر النصّ.

التأصيلان الأوليان:

١- «النصّ إذا ورد بشيء معيّن، واحتمل معنى يختصّ بذلك الشيء لم يجز إلغاء النصّ، واطّراح خصوص المعيّن فيه»(١١).

٢- «المعاني المستنبطة إذا لم يكن فيها سوى مجرّد المناسبة، فليست بذلك الأمر القوي، فإذا وقعت فيها الاحتمالات، فالصواب اتّباع النصّ»(١٢).

أوردهما ابن دقيق في صدد حديثه عن مسألة هل يتعيّن التراب في غسل ولوغ الكلب أم لا؟ حيث اعتمدهما في ترجيح الرأي الأوّل بناء على احتمال قصد الشارع للجمع بين مطهِّرين الماء والتراب. وهو احتمال يزاحم بشدّة احتمال قصد الشارع زيادة التنظيف بالتراب الذي اعتمد عليه من جوّز قيام الصابون والأشنان(١٣) مقامه.

وفي هذين التأصيلين إشارة إلى ضابط مهمّ في مجال بحثنا، وهو أنّه إذا تجاذب الحكم الشرعي مقصودان.. مقصود قاصر على عين ما ورد في الحكم، ومقصود يشمل أعيانًا عديدة، وقوي الاحتمال الأوّل ولم يظهر رجحان الاحتمال الثاني وقفنا عند خصوصية النصّ.

التأصيل الثالث:

استعمال ما دلّت السنّة على عينه أولى ممّا قد يؤدّي إلى المقصود من الحكم، ولكن ليس بصورة كاملة(١٤).

أورد ابن دقيق مضمون هذا التأصيل في صدد حديثه عن مسألة نتف الإبط وإمكان الاعتياض عنه بما يؤدّي إلى إزالة الشعر.

وفي هذا التأصيل إشارة مهمّة إلى ضرورة تنبّه النّاظر إلى مدى تحقيق الوسائل الخارجة عن النصّ لمقصود الشارع من حيث استيفائه بالكلّية أو لا، فإذا دلّت التجربة أو غيرها من الدلائل على الاحتمال الثاني كان التمسّك بالوارد هو الأفضل والأحرى مادام أنّه يحقّق المقصود بصورة كاملة.

التأصيل الرابع:

«للفضائل والمصالح مراتب لا يحيط بها البشر، فالواجب اتّباع النصّ فيها»(١٥).

أورده في صدد حديثه عن مسألة تعيين الصلاة الوسطى التي خصّها الشارع الحكيم بالحثّ في كتابه؛ ذلك أنّ بعض من اختار أنّها صلاة الفجر ربّما سلك في مقام الجواب عن الأحاديث التي صرّحت بأنّها صلاة العصر طريق التّعويل على ملاحظة المعنى الذي

قصده الشارع، «وهو أنّ تخصيص الصلاة الوسطى بالأمر بالمحافظة لأجل المشقّة في ذلك، وأشقّ الصلوات صلاة الصبح لأنّها تأتي في حال النّوم والغفلة. وقد قيل: إنّ ألذّ النّوم إغفاءة الفجر، فناسب أن تكون هي المحثوث على المحافظة عليها»(١٦).

وهنا اختار ابن دقيق قادحين اثنين يقدحان في صحّة هذا النّظر المقاصدي رغم ما بينهما من التفاوت من حيث القوّة، فقال: «هذا قد يُعارَض في صلاة العصر بمشقّة أخرى، وهي أنّها وقت اشتغال النّاس بالمعاش والتكسّب، ولو لم يعارض بذلك لكان المعنى الذي ذكره في صلاة الصبح ساقط الاعتبار، مع النصّ على أنّها العصر..»(١٧) ، ثمّ ختم بهذا التأصيل الرابع.

إذن فحوى هذا التأصيل لزوم الوقوف مع النصّ وعدم معارضته بمقصود يناقضه، وكذلك المنازعة في آن واحد فيما أُبْدِي من تعليل بناء على عدم إحاطة النظّار بكلّ تفاصيل المصالح المعتبرة.

التأصيل الخامس:

«العبادات محلّ التعبّدات، ويكثر ذلك فيها. فالاحتياط فيها الاتّباع»(١٨).

أورده في صدد حديثه عن مسألة: هل يتعيّن لفظ التكبير في الإحرام للصلاة؟ حيث نقل عن أبي حنيفة بأنّه إذا أتى بما يقتضي التعظيم كفى اعتمادا على ملاحظة مقصود الشارع.

ولكن رجّح مسلك الجمهور الواقفين مع خصوص ما نُصّ عليه، وأيّد هذا الرأي بهذا التأصيل.

ومقتضاه أنّ المسألة مادامت من قبيل العبادات التي يكثر فيها التعبّد وعدم الوقوف على عين الحكمة، واحتملت تعميم حُكمها بناء على مراعاة المقصود، واحتملت الوقوف مع الوارد، صحّ للنّاظر أن يحتاط فيها لدين الله بلزوم المتيقّن وترك المشكوك فيه.

التأصيل السادس:

«ليس لنا أن نتصرّف في النّصوص المتظاهرة المتضافرة بمعنى خيالي

لابد من الوقوف مع النص وعدم معارضته بمقصود يناقضه.. والترجيح يتبع المصالح

يمكن أن يكون هو المراد، مع اقتضاء اللفظ التعليل بغيره»(١٩).

أورده في صدد حديثه عن منع الشريعة من التصوير، حيث نقل عن بعض من اقتصر على كراهته قوله: «هذا التشديد كان في ذلك الزمان، لقرب عهد النّاس بعبادة الأوثان. وهذا الزمان حيث انتشر الإسلام، وتمهّدت قواعده لا يساويه في هذا المعنى، فلا يساويه في هذا التشديد...»(٢٠).

ولربّما كان لهذا التوجيه شيء من القوّة بالنّظر إلى أنّ صاحبه رام الجمع بين ملاحظة العرف الذي صاحب خطاب الشارع وبين الاحتياط لما دلّ عليه أصل خطابه من النّهي عن هذا الفعل، فكانت النتيجة النّزول إلى درجة الكراهة.

ومع ذلك جزم ابن دقيق ببطلان هذا القول لشيء واحد، ألا وهو مخالفة التعليل الذي بُنِي عليه للتعليل المنصوص عليه في سنّة النبيّ ﷺ (التشبّه بخلق الله)(٢١)، وقال: «هذه علّة عامّة مستقلّة مناسبة، لا تخصّ زمانًا دون زمان»(٢٢).

وفي هذا التقرير تنبيه الناظر إلى لزوم التمسّك بأصل ثبات الحكم الشرعي سواء في أصله أو في درجته من الأمر أو النّهي، وألاّ يسرح بخياله في استنباط تعليل مقاصدي يجنح به إلى خرق هذا الأصل مادام الشارع الحكيم قد كفاه الزلل بنصّه على العلّة.

التأصيلان الأخيران:

١- «الأفعال متعارضة المصالح والمفاسد. وليس كلّ ذلك معلومًا لنا ولا مستحضرًا، وإذا تعارضت المصالح والمفاسد، فمقدار تأثير كلّ واحدة منها في الحثّ والمنع غير محقّق لنا، فالطريق حينئذ أن نفوّض الأمر إلى صاحب الشرع، ونجري على ما دلّ عليه ظاهر اللفظ»(٢٣).

أورده في صدد حديثه عن المفاضلة بين صيام نبيّ الله داود عليه السلام وبين سرده إلى الأبد، حيث مال إلى الوقوف مع ظاهر الحديث الوارد في تفضيل الأوّل منهما(٢٤)، وأيّد اختياره بهذا التأصيل.

ولم يلتفت إلى ما اعتمد إليه المخالف من كون العمل كلّما كان أكثر كان أوفر أجرًا، وعارض إجراء هذا الأصل هنا بما يحصل من التقصير في الحقوق بسبب الصوم الدائم.

وتقريبه أن يُعلم أنّ الشارع الحكيم إذا أمر بشيء ما أو نهى عن آخر أو فاضل بين الأفعال المتفاوتة أو رجّح بعضها على بعض أو حكم في أيّ قضيّة ما، ولم يظهر للنّاظر مناط حكمه على الحقيقة، أو ظنّ مناطًا معيّنًا قد يوجد ما يسنده في عرف الشارع ولكن يقود اعتباره إلى إضعاف سلطان النصّ الخاصّ، فهنا أيضًا لا مناص من الوقوف مع ظاهر النصّ.

٢- «لا شكّ أنّ التّرجيح يتبع المصالح، ومقاديرها مختلفة. وصاحب الشرع أعلم بتلك المقادير. فإذا لم يعلم المكلّف حقيقة تلك المصالح، ولم يستحضر أعدادها، فالأولى اتّباع اللّفظ الوارد في الشرع»(٢٥).

أورده في صدد حديثه عن المفاضلة بين النّكاح والتخلّي لنوافل العبادات، حيث مال إلى الوقوف مع ظاهر الحديث الوارد في تفضيل الأوّل منهما(٢٦)، وأيّد اختياره بهذا التأصيل.

وكما هو ظاهر فهو يندرج تحت سابقه، فكفى عنه.

الفرع الثاني: ما رجحت فيه كفّة مراعاة مقصود الشارع

التأصيل الأوّل:

«متى دار الحكم بين كونه تعبدا،

أو معقول المعنى، كان حمله على كونه معقول المعنى أولى؛ لندرة التعبّد بالنّسبة إلى الأحكام المعقولة المعنى»(٢٧).

أورد ابن دقيق العيد هذا التأصيل في صدد حديثه عن الأمر النّبوي بغسل ولوغ الكلب، هل يدلّ على تنجيس الإناء كما قال الجمهور، أو لا يدلّ لذلك بناءً على كون الحكم تعبّديًا كما قال مالك؟ وقد رجّح الرأي الأوّل، وأيّده بهذا التأصيل فضلا عن دلالة نفس لفظة «طهور» الواردة في إحدى روايات الحديث.

ويمكننا تصوير هذا المرجّح الكلّي في حالتين اثنتين إحداهما أبلغ من الأخرى:

الحالة الأولى: أنّ الأصل والأغلب في أحكام الشريعة أنّها معلومة الحكمة ويندر فيها خلاف ذلك. ومن ثمّ إذا حصل تردّد في حكم ما بماذا نلحقه حتّى يمكننا أن نرتّب على حكمته أحكامًا جديدة لم ينصّ عليها اللفظ الشرعي، فهنا كما نصّت الكلّية الفقهية العقلية: «العبرة بالغالب والنادر لا حكم له».

الحالة الثانية: وهي أبلغ، وذلك إذا وقع علاوة على ما جاء في الحالة السابقة أن ورد في لفظ النصّ الشرعي ما يقوّي بصورة ظاهرة الحملَ على المعقولية، كما وقع في حديثنا هذا.

التأصيل الثاني:

«إذا كان أصل المعنى معقولا قلنا به، وإذا وقع في التفاصيل ما لم يعقل اتّبعناه في التفصيل، ولم ينقص لأجله التأصيل»(٢٨).

أورده في صدد حديثه عن المسألة السابقة نفسها، وذلك في مقام ردّه على دليل المخالفين من المالكية الذين اعتمدوا على «ذكر هذا العدد المخصوص، وهو السبع؛ لأنّه لو كان للنّجاسة لاكتفي فيها بما دون السبع، فإنّه لا يكون أغلظ من نجاسة العذرة وقد اكتفي فيها بما دون السبع»(٢٩).

فأتى جوابه عن دليلهم من وجهين:

١- على سبيل الممانعة في الشقّ المتعلّق بدعواهم أنّ نجاسة الكلب لا تكون أغلظ من نجاسة العذرة، بل هي كذلك مادام غسل الأولى أبلغ وأكثر عددًا.

٢- على سبيل التسليم بالشقّ المتعلّق بدعواهم أن لو كان الأمر بالغسل للنّجاسة لاكتفي بما دون السبع.

وهو إشكال عويص يرد عليه، إذ كيف يستقيم توجيه هذه المطاوعة للخصم مع القول بمعقولية هذا الحكم؟

ولكنّه خرج منه، ونبّه إلى هذا التأصيل الدقيق، وقال: «ولذلك نظائر في الشريعة، فلو لم تظهر زيادة التغليظ في النّجاسة لكنّا نقتصر في التعبّد على العدد، ونمشي في أصل المعنى على معقولية المعنى»(٣٠).

وبهذا التقرير الرصين رسم لنا: الانفكاك بين جهة أصل الحكم وجهة تفصيلاته، بحيث يستقيم ميل النّاظر إلى تقصيد الأولى من غير وكس، وفي آن واحد يحكم على الثانية بكونها تعبّدية من غير شطط إذ لم يبلغها علمه، ﴿...قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: ٣).

التأصيل الثالث: «المعنى إذا كان معلومًا كالنصّ قطعًا، أو ظنًّا مقاربًا للقطع، فاتّباعه وتعليق الحكم به أولى من اتّباع مجرّد اللفظ»(٣١).

أورده في صدد حديثه عن مسألة وقت الاغتسال لصلاة الجمعة، حيث قال قبله: «تبيّن من بعض الأحاديث أنّ الغسل لإزالة الروائح الكريهة(٣٢). ويفهم منه أنّ المقصود عدم تأذّي الحاضرين»(٣٣). وبناء على ملاحظة هذا المقصود الجليّ ردّ مذهب من بالغ في عدم الالتفات إليه حتّى سوّغ تأخّر الغسل عن الصلاة ولو أتى به قبل الغروب اعتمادًا منه على إضافة الغسل إلى اليوم كما ذهب إلى ذلك ابن حزم. بل ردّ أيضا مذهب من سوّغ من الفقهاء تقدّم الغسل لكن على وجه لا يحصل به مقصود الشارع(٣٤).

وقد سبق في التأصيل السادس من الفرع الأوّل التحذير من اعتبار معانٍ مقاصدية وهمية تجنح إلى التلاعب بالنّصوص.

وناسب هنا التنبيه إلى ما يقابله وهو ضرورة مراعاة النّاظر للمقاصد التي يغلب على ظنّه مراعاة الشريعة لها فضلًا عمّا ترقى إلى درجة القطع، وألاّ يغالي في الأخذ بظواهر النّصوص.

الفرع الثالث: ما له صلة بهما جميعا

التأصيل الوحيد:

«اعلم أنّ أكثر هذه الأحكام قد تدور بين اعتبار المعنى واتّباع اللّفظ، ولكن ينبغي أن ينظر في المعنى إلى الظهور والخفاء. فحيث يظهر ظهورا كثيرا فلا بأس باتّباعه، وتخصيص النصّ به، أو تعميمه على قواعد القيّاسين. وحيث يختفي، أو لا يظهر ظهورا قويّا فاتّباع اللّفظ أولى»(٣٥).

أورده ابن دقيق في صدد حديثه عن جملة من الصور المرتبطة ببيع الحاضر للبادي.. هل تدخل في النّهي النّبوي أم لا؟

وقد صدّر كلامه بالإشارة إلى خصوص هذه الصور، ولكنّه في الواقع ينطبق على سائر الفروع التي تخرّج على الأحكام الأصلية المنصوص عليها بناءً على ظهور مقصود الشارع فيها أو خفائه.

وهذا التأصيل في جزيئته المتعلّقة بتخصيص النصّ بناء على ملاحظة المعنى يشكل عليه ما ذكره في صدد تأييده لاختياره في مسألة: هل يتعيّن التراب في غسل ولوغ الكلب؟ حيث قال علاوة على التأصيلين الأوليين اللذين وردا في بداية الفرع الأوّل: «وأيضًا، فإنّ المعنى المستنبط إذا عاد على النصّ بإبطال أو تخصيص فمردود عند جمع من الأصوليين»(٣٦).

ولكن يقوي القول- من خلال الموازنة بين هذين النصّين- أنّ مذهبه تجويز تخصيص النصّ بالمعنى لأنّه نسبه إلى نفسه كما هو ظاهر هنا، وأمّا ما رقمه هناك فإنّما عزاه إلى هؤلاء الجمع، والعلم عند الله.

وقد أسّس هذا التأصيل لأربعة أنواع من الكلّيات تصريحًا وتلويحًا:

منها نوعان يتّحدان في الحكم الكلّي، وهو اتّباع اللفظ والوقوف مع ظاهر

النصّ، وهما كالتالي:

النّوع الأوّل: حيث يختفي تعلّق مقصود الشارع بالصورة المنظور فيها وينعدم.

النّوع الثاني: حيث يُحتمل تعلّقه بها، ولكن لا ترجح كفّة مراعاته على كفّة الوقوف مع ظاهر اللفظ.

وأمّا النّوعان الآخران اللذان يتّحدان في اتّباع مقصود الشارع وعدم الوقوف عند خصوصية النّص فهما كالتالي:

النّوع الأوّل: حيث يظهر جليًّا تعلّق مقصود الشارع بالصورة المنظور فيها.

النّوع الثاني: حيث يقطع النّاظر بتعلّق مقصود الشارع بها، وهذا النّوع لم ينصّ عليه ابن دقيق في تأصيله هذا، ولكن يُفقه بطريق الأولى.

وقد أشارت عبارته «...وتخصيص النصّ به، أو تعميمه...» إلى جهتَي تعلّق المقصود بالصورة المتنازع فيها:

× جهة الوجود، وحينها يكون البحث في دعوى تعميمها بالحكم الأصلي.

× وجهة تخلّف المقصود، وحينها يكون البحث في دعوى كون هذه الصورة مخصوصة خارجة عن الأصل، فلينتبه إلى هذا في تصوّر ما سبق!!

خاتمة

وقفنا فيما خلا على أنواع مختلفة من الحكم الشرعي يعتريها النّظر المقاصدي، قوي في بعضها الوقوف مع خصوصية النصّ الشرعي الوارد فيها، وقوي في الأخرى الوقوف مع مقصود الشارع في تعميم النصّ أو تخصيصه على اختلاف درجات إدراك النّاظر لذلك كلّه من حيث القطع والظنّ.

وربّما تجاذب الحكم الواحد الأمران جميعا باعتبار أصله وتفاصيله.

ومنخول الكلام في هذا المقام أنّ العبرة بما رجحت كفّته عند أهل العلم المحقّقين الذين عظّموا نصّ الشارع وقصده وسبروا غور هذه المضايق.

وحيث قال شيخ إمامنا العزّ بن عبدالسلام: «أكثر المصالح والمفاسد لا وقوف على مقاديرها وتحديدها، وإنّما تعرف تقريبًا لعزّة الوقوف على تحديدها»(٣٧). فإنّ الشأن أيضا سيكون في كثير من جوانب النّظر المقاصدي المرتبطة بهذه المناطات التقريبية، فيحاول الناظر جهده ليكون دقيقًا في ميزانها لأجل أن يصيب حكم الله عز وجل فيها ما أمكن.

وما سبق من تأصيلات ابن دقيق، وما تمخّض عنها من صياغات جديدة شكّلت لنا في مجموعها منظومة من القواعد الكفيلة- إن شاء الله- بخدمة هذه الغاية.

فحريّ بقاصدي التحقيق في إجراء ثنائية «الوقوف مع النصّ مع ملاحظة مقصود الشارع» أن يحرصوا على استحضار ما سبق ونظيره من التقعيد المقاصدي الذي ذكره العلماء المجدّدون.

ولو جُمعت هذه القواعد جميعًا، ودُرست في بحث مستقلّ، وتأمّل الباحث في أبعادها وإشاراتها لربّما خرج عملاً نافعًا لهذا الفقه الحيّ.

والحمد لله حقّ حمده، وصلّى الله وسلّم على محمّد وحزبه ما ارتوى من تراث الأسلاف غليل واكتفى به.

الهوامش

(١) تنبيه الرّجل العاقل على تمويه الجدل الباطل ١/١١٧.

(٢) هامش الموافقات ٣/١٨٣.

(٣) الموافقات ٣/ ١٣٤.

(٤) تذكرة الحفّاظ ٤/١٤٨٢.

(٥) البدر الطالع ٢/٢٣٠.

(٦) نقله عنه الزركشي في البحر المحيط ٦/٨٠.

(٧) دراسة هذه الظاهرة على اختلاف درجات الخطأ فيها كانت موضوع رسالتي لمرحلة الدكتوراه بعنوان: «الخطأ في النّظر المقاصدي دراسة تحليلية نقدية تطبيقية».

(٨) انظر: مجموع الفتاوى ٣/١٩.

(٩) انظر: محاضرات في مقاصد الشّريعة للرّيسوني، ص٩، رسالتي «الخطأ في النّظر المقاصدي» ص٢٦.

(١٠) انظر: مجموع الفتاوى ٣/١٩.

(١١) إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام ١/١٦٢.

(١٢) المصدر نفسه ١/١٦٢.

(١٣) فارسي معرّب، فيه لغتان ضمّ الهمزة وكسرها، وشجر الأشنان يقال له الحَرْض، يُسوّى منه ما تغسل به الثياب. انظر: جمهرة اللغة ٣/١٢٧٥، لسان العرب ٢/٨٣٧.

(١٤) مستفاد من كلامه في إحكام الأحكام ١/٣٥٠.

(١٥) المصدر نفسه ٢/٥٠.

(١٦) المصدر نفسه ٢/٥٠.

(١٧) من ذلك ما انتقاه صاحب عمدة الأحكام، وهو ما جاء في الصحيحين من حديث علي ﷺ قال: لمّا كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ: «ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا، شغلونا عن صلاة الوسطى حتّى غابت الشّمس» صحيح البخاري، رقم: ٢٩٣١، ص٥٩٤، وصحيح مسلم، رقم: ٦٢٧ (٢٠٣)، ص٢٤٨. وفي لفظ لمسلم: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر...». رقم: ٦٢٧ (٢٠٥)، ص٢٤٨. كما جاء هذا التصريح أيضا عند مسلم من حديث ابن مسعود ﷺ، رقم: ٦٢٨ (٢٠٦)، ص٢٤٨.

(١٨) إحكام الأحكام ٢/٣٧١.

(١٩) المصدر نفسه ٣/٢٥٦.

(٢٠) المصدر نفسه ٣/٢٥٦.

(٢١) روى الشيخان عن عائشة قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا متستّرة بقرام فيه صورة، فتلوّن وجهه، ثمّ تناول السّتر فهتكه، ثمّ قال: «إنّ من أشدّ النّاس عذابًا يوم القيامة الذين يشبّهون بخلق الله» صحيح البخاري، رقم: ٥٩٥٤، ص١٢٦٨، وصحيح مسلم- واللفظ له، رقم: ٢١٠٧ (٩١)، ص٨٧٤.

(٢٢) إحكام الأحكام ٣/٢٥٧.

(٢٣) المصدر نفسه ٣/٤١٢.

(٢٤) وذلك في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي رواه عنه الشيخان، حيث ورد فيه أنّ النبيّ أُخبر بقول عبدالله: «والله لأصومنّ النّهار ولأقومنّ الليل ما عشت، فتدرّج معه ﷺ في التخفيف حتّى قال له في آخر الحديث: «فصم يومًا وأفطر يومًا، وذلك صيام داود وهو أعدل الصّيام. قلت: إنّي أطيق أفضل منه يا رسول الله، قال: لا أفضل من ذلك». انظر نصّه كاملا في صحيح البخاري، رقم: ٣٤١٨، ص٧٠٢، وصحيح مسلم، رقم: ١١٥٩ (١٨١)، ص٤٤٧.

(٢٥) إحكام الأحكام ٤/١٧٦.

(٢٦) وهو ما جاء في الصحيحين من حديث أنس ﷺ أنّ نفرا من أصحابه ﷺ قال بعضهم: لا أتزوّج النّساء، وقال بعضهم: لا آكل اللّحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فأنكر عليهم ﷺ طريقتهم تلك قائلا: «لكنّي أصلّي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوّج النّساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي». هذا مختصره من رواية مسلم، وانظر نصّه كاملا في صحيح البخاري، رقم: ٥٠٦٣، ص١١٠٠، وصحيح مسلم، رقم: ١٤٠١ (٥)، ص٥٤٩.

(٢٧) إحكام الأحكام ١/١٤٥.

(٢٨) المصدر نفسه ١/١٤٨. وانظر أيضا: المصدر ذاته ٣/١٢١.

(٢٩) المصدر نفسه ١/١٤٥.

(٣٠) المصدر نفسه ١/١٤٨.

(٣١) إحكام الأحكام ٣/١٢٠.

(٣٢) كما في الحديث المتّفق عليه من رواية عائشة قالت: «كان النّاس ينتابون الجمعة من منازلهم والعوالي فيأتون في الغبار فيصيبهم الغبار والعرق، فيخرج منهم العرق فأتى رسول الله ﷺ إنسانٌ منهم وهو عندي، فقال النبيّ ﷺ: «لو أنّكم تطهّرتم ليومكم هذا». صحيح البخاري- واللّفظ له، رقم: ٩٠٢، ص١٧٨، وصحيح مسلم، رقم: ٨٤٧ (٦)، ص٣٢٨.

(٣٣) إحكام الأحكام ٣/١٢٠.

(٣٤) انظر: المصدر نفسه ٣/١١٩- ١٢٠.

(٣٥) المصدر نفسه ٤/٣٨.

(٣٦) المصدر نفسه ١/١٦٢.

(٣٧) القواعد الصغرى ص١٧٢. وانظر: القواعد الكبرى ١/٣٠.

معلِّمتي ورقة الخريف!

د. محمد بابا عمي - أكاديمي جزائري

عفوًا آنستي، داستك قدمي فجرًا، في ساحة المسجد المجاور، كما الأيامُ الأخرى؛ بَلا وعي في حقِّك، ولا تفكر في حقيقتك.

أمّا صباح هذا اليوم البلّوري المبارَك، فقد استفاق الإدراك فيّ وجهتَك، واستيقظ الاعتبار من كنانة قلبي، وكم من عبر تمرُّ عليّ ولا أبالي؟! فقليلًا ما تذكرت، وركّزت، ونظرتُ، يا ويح قلبي الفاتر، ويا حسرتا على عقلي الصامت.

آنستي، لا يغرّنّك ازورارُ الناس عنك، جهلًا أو تجاهلًا، ظلمًا أو كبرياءً؛ ذلك أنّ نضارة الربيع تغريهم، وأنّ زهو الخضرة يسبيهم؛ فيكشحون وجوهَهم عن الجلال، منشغلين بزهرة الجمال؛ ويرمون المعنى في قعر دهليز الزمان، مبهورين بالشكل والمظهر والفاني من فتات المكان.

التقطتك يدي برفق، مخافة كسرك؛ فأنت الرّقيقةُ قلبًا، الخفيفةُ ذنبًا؛ لا، بل لا ذنب يثقلك ويخلد بكِ إلى الأرض؛ وأنت المرهَفة حسًّا، بينما الناس في الجفاء والجفوة مذاهب وفنون؛ وأنت، آنستي، شكلك شكلُ راحة يدي؛ بذلك التقت اليد، الّتي هي بعضٌ منّي، باليد التي هي كلُّك؛ وإن أكن سخيًّا ومعطاءً ببعضي، فأنت جميعك سخاءٌ وسخاءٌ.

نعم، تجاعيد جسمك المخمليّ الزهريّ، عنوان الفناء في الخدمة؛ فربيعًا كنتِ تعملين، والناس حينها يلهون ويلعبون؛ واليومَ لم تحتكري عرش الشهرة، ولم تبالي بكرسيّ النياشين، مثل الكثيرين من بني البشرَ؛ فأنت آنستي، قد مددت يد العون لمن يأتي بعدك، وسافرت إلى عالم الجزاء، هنيّة البال، طاهرة الفؤاد، مطمئنّة الباطن.

آه، آنستي، لو البشر من معناك يرتشفون، ولحقيقتك يدركون، إذن لما كانت حروب، ولا قتل، ولا انقلابات، ولا حقد، فكلُّ واحدة من بني جلدتك آنستي، في مكانها اللائق بها، تمامًا، لا ترتفع عنه ولا تنخفض، ولا تقتل الوقت في زحزحة أخواتها أو إخوانها من منازلهم؛ وكلُّ واحدة موقنة أنّ رزقها بيد من لا ينسى، ولا يغفل، ولا يضيع، وأنّ مصيرها، وحظها، موثوق بحبل من الإيمان متين، هي هكذا، موحّدة بالفطرة، لا تكلّفًا؛ ولذلك كان تسبيحها أثيريّ النفحات، كونيّ اللفحات، ينشر عبيره عند آخر نقطة في الكون، ويسمعه الجن والإنس وكلُّ الخلائق، بلا خرخشة، لو أصاغوا أذنهم، ولو غسلوا قلوبهم بماء الورد.

هكذا، آنستي، كوني لنا مدرسة، نكن لك تلامذة؛ وعلّمينا فنّ التفكر والاعتبار؛ واحملينا على التسبيح النورانيّ السرمديّ، علّمينا أن نقول، ونعي ما نقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ. وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ (الزخرف: ١٤-١٥)، لا عند امتطاء المراكب فقط، لكن- كذلك- عندما نعتلي صهوة المعنى والفهم، ونعلو ذروة العلم والعمل.

شكرًا، سيدي.. الجميلة الجليلة.. شكرًا.

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٢)

عبدالله آيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

من الأقوال التي لا مطعن فيها أن العلاقة بين اللغة والفكر مثل شفْرتَي المقصّ، لا ندري أيهما أقطع، إذا صَفَت اللّغةَ، وخلتْ من الأحراش، جاء الفكرَ بالأفكار الأبكار، والأثمار الناضجة، وإذا انحسر الفكر ظهر الضمور والجمود على اللغة، وضُيّقت منافسُها، ثم كان أمرها في إدبارَ. إذا صح أن أمر اللغة بهذه المكانة، فإن طوق نجاتنا نحن- العرب- في هذه الدنيا يكمن في الحفاظ على العربية الفصحى، التي بدأنا- ويالأسف- نَسْلٌ منها، كما تنسل الأفعى من خرْشائها. يشهد على ذلك لغتنا المنطوقة والمكتوبة التي نحشوها بأمشاج من الألفاظ والتعبيرات اللاّحنة التي لم نسمع بمثلها في آبائنا الأولين، كأن العربية الصحيحة شَعرٌ فوق رؤوسنا ثم كُشط، لتقْتعد اللهجات العامية، واللّغات الأجنبية مكانها، بعد أن حازت نصرا مُبينا في شتى مناحي الحياة، فظهرت فئة من الأغْتام، لا ترفع أصواتها المنكرة، وأقلامها المقحوطة إلا لغاية دنيئة، تزرع القنوط والإحباط، وتُهوّن من صفاء العربية الفصحى، لأن أمر هذا الصفاء والنقاء في مجتمع المعلومات، أضحى عنقاء مُجَنّحة،

وضربا من الأوهام متناسين أن هذا الصفاء اللغوي المفقود، هو المسؤول عن كثير من العلل والأوضار التي تعانيها مجتمعاتنا العربية في أثناء الرغبة في ترميم وإصلاح ما تبقى من المعارف الخاوية، التي يُطوّقون بها جيدَ العربية الفصحى. ولقد علّمنا آباؤنا الأولون أن اللغة لا تُعَلّم إلا باللغة، وأن السمع أبو الملكات اللسانية، وأن الخطة البَزْلاءَ التي تبذر الإصلاح اللغوي الحقّ، يجب أن تبدأ باقتضاح أمر تلك المعارف الخاوية، وإبادة التشرذم اللغوي، قبل أن يصدمنا الزمن، وأن نزيل عن أعيننا الغشاوة التي تمنعنا من تبصرة بعض آلاء العربية الفصحى، إذ متى غاب الوعي بالخطة المحكمة، ضاع السعي إلى إدراك البُغية، وإلى استقطار المعارف الشائقة الماتعة التي يتقوّى بها عقل الأمة في بحر العولمة المسجور.

وأحسب أن هذا الاحتراق اللغوي المنتشر في أرجاء الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، لا يطفئه إلا إصلاح اللغة الكفيل بصنع أفكار مبتكرة نافعة، فلا منجاة ولا عاصم لنا اليوم إلا بإصلاح ألسنتنا وما تقوله كلماتنا، باستنفار أولي العزم الذين أعرقوا في البحث عن كنوز الفصحى لاقتحام دياجي التشتت اللغوي برؤية استبصارية تُنجينا من الغرق في بحر اللغات الأجنبية، التي جيّشتْ جيوشا للاستيلاء على الحصون والقلاع، فإن لم تفز بقدّح القَصْل، أوجدت طائفة من أبناء جِلْدتنا يخلطون رغبات التطوير ببُنَيّات طريق العولمة وطرائقها القدد، لتقطع ما أمر الله به أن يوصل، وتعيث في لغتنا الجميلة فسادا.

تأسيسا على هذه الحقيقة تأتي هذه الورقة اللغوية كوسيلة من وسائل المناعة الفعالة، صامدة في وجه دُعاة التغريب، داعية إلى التمكين للعربية الفصحى صافية مثل صفاء أعين الدّيكة، لأجل المحافظة على الكيان الروحي والفكري والاجتماعي والثقافي والديني والذوقي؛ الذي يمثل أسّ الهُوية العربية الإسلامية ومعدنها الأصيل، من دون الحجْر على منطقها الداخلي الذي يُوَلّد بَنين وحفَدة لا يزيغون عن سنن القواعد، ولا يتبعون في توليداتهم شَنَع اللغات على شاكلة هذه العبارة التي لا ترعى حرمة لعربية القرآن:

«يا ليت هذا القول يجد آذانا صاغية».

هذه عبارة تتردد في أثناء الترويج لبرنامج ديني في إحدى القنوات الدينية المشهورة، وفي غيرها من القنوات الفضائية؛ ولقد تكررت حتى تَكَرّجتْ وتقررت وسيطرت على الألسنة، وظن أغلب الذين تقرع أسماعهم، أن ما تقوله هذه العبارة هو أن المتكلم يتمنى أن يصادف قوله آذانا تستمع إليه وتُحسن الإصغاء. وهذا عند الإمعان في النظر خلاف المراد، مرجعه أن المتكلم لا يفرق بين لفظتي «صغى - وأصغى». جاء في الصحاح: «صغا يصغو ويُصغي صُغُوًّا، أي: مال. وكذلك صَغِيَ بالكسر يصْغَى صَغىً وصُغِيًّا. وصغَتِ النجوم، إذا مالت للغروب... وقولهم أكرموا فلانا في صاغيته، وهم القوم الذين يميلون إليه، ويأتونه ويطلبون ما عنده. وأصغيت إلى فلان، إذا ملتَ بسمعك نحوه...»(١) وأحسنت الاستماع إليه. القول الفصل إذن أن «صغى» تعني مال، فهو صاغ وهي صاغية. قال تعالى من سورة التحريم آية رقم ٤ ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي: مالت عن الحق فهي صاغية. أما «أصغى» فتعني أحسن الاستماع، فهو مُصْغٍ، وهي مصغية. قال ذوالرمة يصفُ ناقته بالفطانة وسرعة الحركة:

تُصْغي إذا شَدّها بالكور جانحةً
حتى إذا ما استوى في غرْزها تَثِبُ

إذا اتضح أن الهمزة زيدت لإفادة سلب المعنى، كما في الأفعال الآتية:

قسط = جار. قال تعالى من سورة الجن آية ١٥: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾، وأقسط = عدل. قال تعالى من سورة الحجرات آية ٩ ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

تَرب = افتقر. قال تعالى من سورة البلد آية ١٦: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ وأترب = استغنى، كأنه صار له من المال بقدر التراب.

خفى = أخرج. وأخفى = ستر وأضمر. قال تعالى من سورة الممتحنة آية ١: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾.

جاء = أتى. قال تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ (يوسف: ٥٨). وأجاء = ألجأ. قال تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ...﴾ (مريم: ٢٣).

فإن العبارة الفصيحة السليمة المعبرة عن حسن الإصغاء والإنصات هي: «ياليت هذا القول يجد آذانا مُصْغية» حيث إن صياغة اسم الفاعل من الرباعي بإبدال ياء مضارعه ميما مضمومة وكسر ما قبل آخره. أما عبارة «ياليت هذا القول يجد آذانا صاغية» فهي من السوأة الصلعاء التي تقلب المعنى إلى الضد، فكأن المتكلم يتمنى ألا يسمعه أحد، وأن يطويَ الناس كَشْحَهُم عمّا يقول. وهذا محال، لا يدعو له إلا من جعل أنفه في قفاه.

الهوامش

١- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار. الجزء السادس، باب الألف، فصل الصاد، ص ٢٤٠٠ و ٢٤٠١. ط٤ - ١٩٩٠.

شيء من التنوير

بريهان فارس عيسى
ناقدة أدبية

التنوير في واقعه وملموسيته هو نقيض التظليم، والنور هو نقيض الظلام.
يستمد التنوير أفقه من أنوار العقل، ويستمد التظليم معناه من ظلمة الجهل.
هنا يمكننا أن نميز بين الإنسان المستنير الذي يمكن له أن يمسي قبس استنارة، وبين الإنسان الظلامي الذي يمكن له أن يمسي بقعة من ظلام.
لقد كان التنوير هاجسًا لأهل العقل والفكر والمنطق عبر التاريخ الإنساني، وحفل الفكر العربي والإسلامي بشخصيات دعت إلى منهج التنوير، وأن يستمتع الإنسان بمساحة الاستنارة لديه، ويستعين بها في إيقاع حياته اليومية.
إن المراحل الانتقالية التي تمر بها المجتمعات تفرض أنماطًا معينة من التفكير والأفعال، وحقيقة الأمر أن بنية المجتمعات هي التي تحقق المسارات الحياتية لها.
لقد مر العالم العربي والإسلامي بفترات تنويرية متقطعة إلى درجة أن الغرب قام بالاستناد على رموز التنوير في بلادنا، وهو يؤسس لمراحله التنويرية، ثم بدأنا نأخذ منه ما استند به علينا.
والمجتمعات عندما ترغب في خطوات ما، فلا شيء يمكن له أن يحول بينها وبين ما ترنو إليه.
في فترات ما كانت المجتمعات تتجنب ثورة الإنفوميديا، بل بعض الناس لم يدخلوا جهاز التلفاز إلى بيوتهم إلا في أوقات متأخرة، وتحت التسليم بالأمر الواقع بناء على محاولات الأطفال الذين كبروا وباتوا يلحون بطلب التلفاز، وحدث

الإنسان يميل بفطرته إلى معارف جديدة لم يكن يعلمها من قبل ويسعى إلى تبديد ما يواجهه في حياته من ظلمات

ذلك من خلال الهاتف، حيث كان البعض يخشى وجود هذه التقنية الاتصالية المباشرة في بيته، والآن يخشى البعض وجود الهاتف الخلوي في بيته، أو لدى أبنائه، وكذلك الأمر بالنسبة للتواصل مع الإنترنت حيث نرى البعض ورغم وجود الحاسوب والتجهيزات اللازمة للتواصل الاجتماعي أو الإنساني، فإنه يصر على عدم إيجاد الإنترنت في منزله، لأنه ينظر إلى ما يمكن للنت أن يحدث من مفاسد دون أن ينتبه إلى ثورة المنافع التي يقدمها هذا الإنجاز العصري المستنير، وأن الجيل الذي لا يجيد استخدام ثورة التقنيات المعاصرة، لا ينتمي إلى إيقاع هذا الجيل وهذا من شأنه أن يُحدث في سيكولوجيته شرخ اللاانتماء الذي ينعكس سلبا على جل مفهومه للحياة برمتها.

التنوير والأدب

يؤدي الأدب دورًا مهمًا في رقي الشعوب والمجتمعات البشرية، وقد استطاع الإنسان أن يحقق من خلال الأدب منجزات فكرية وثقافية مهمة، من ناحية أخرى عني الأدب بالإنسان، بأحلامه، بطموحاته، بنظرته إلى الحياة، بمشاعره. ولذلك سجل الأدب تفاصيل حياة الإنسان ولاقى هذا الإقبال من الناس على مر العصور.

عندما ندخل أي مدينة من مدن العالم، فإن المكتبات تلفت نظرنا، وهي مكتبات تحتوي على عصارة الفكر البشري من الآداب والفنون والعلوم. وبقدر رقي هذه المدن فإنها تحفل وتغتني بالرصيد الكبير من الكتب.

الأمر الآخر الذي حققه الأدب خلال مسيرته هو وجود مكتبة وطنية كبرى في كل دولة تحتوي على عيون وكنوز الأدب القديم والمعاصر وتقدم للزوار هذه الكتب على شكل إعارة.

في التراث العربي اهتم الكثير من الأدباء بعلاقة الناس بالأدب، ومن الكتب التي تحدثت عن منزلة الأدب كتاب «الفهرس» لابن النديم.

يقدم ابن النديم حصيلة فكرية هائلة ويفهرسها في كتابه، وقد وقع هذا الكتاب في عشر مقالات هي:

١- اللغات والكتب المقدسة وعلوم القرآن.
٢- اللغة والنحو.
٣- الأخبار والأنساب.
٤- الشعر.
٥- علم الكلام.
٦- الحديث والفقه.
٧- الفلسفات.
٨- الأسماء والخرافات.
٩- الاعتقادات.
١٠- الكيمياء أو الصنعة.

بين التنوير والحقيقة

إننا نحتاج إلى مساحة الحقيقة سواء بيننا وبين أنفسنا، أو بيننا وبين أبنائنا، أو بيننا وبين الآخرين.

إن ثورة الانفتاح المعرفي تعين كثيرًا في كسر حاجز الخوف من التنوير من جهة، وتجعلنا نستجيب لها بحكم هيمنتها على وقائع الحياة اليومية من جهة أخرى.

التنوير هنا ينطلق من صلب العلاقات الإنسانية، والتواصل مع مستجدات العصر، والتحاور مع مختلف الأفكار، والميولات في علاقة اجتماعية حضارية إنسانية.

التنوير دومًا يقترن بما يمكن لنا أن نتمتع به من مساحة وقوة الحقيقة والإيمان بها.

وما حالة المواراة خلف الحقيقة إلا محاولة للركون إلى عزلة الظلام.

فكرة التنوير تقترن بفكرة المعرفة.. والمجتمع يستنير بأفكار ومنجزات حضارية جديدة على قدر ما يتقدم في درجات المعرفة البشرية

لقد مر الغرب بهذه الفترات، وعندما نقرأ مذكرات كبار الأدباء والمفكرين، نجد تسليط الضوء على تلك الوقائع المظلمة بالنسبة لتصرفات بعض الآباء والأجداد حتى مع أبنائهم الذين غدوا مفكرين وفلاسفة، ووضعوا تلك الممارسات تحت أضواء التحليل النقدي والاجتماعي والفكري.

يدخل التنوير إلى جل تفاصيل حياة الإنسان، فيكون مستنيرًا في علاقته مع نفسه، ومع أسرته، ومع المحيطين به.

الخاتمة

تخطو المجتمعات الإنسانية خطوات متقدمة على قدر ما تتمتع به من مساحة التنوير، هذا التنوير الذي ينعكس إيجابًا على حياة المجتمعات، وعلى حياة الأفراد، فالتنوير يفرز العديد من المزايا مثل التسامح، وإتقان العمل، والإحساس بروح المسؤولية، والمحبة، والعطاء، والعدل. إضافة إلى ذلك فإن الإنسان المنفتح ذهنيًا يشعر بمسؤولية انتمائه إلى العائلة البشرية المتحابة، في حين أن الإنسان المنعزل الظلامي تتفاقم في دواخله عقد النقص والكبرياء، فتراه يتعالى على الذين تسببوا في إنجابه، ويعملون ما بوسعهم من أجل أن يقدموا له الطعام والشراب والسكن والثياب، وما في الحياة من مقومات معاشية، إنه كائن طفيلي يستهلك دون أن ينتج ودون أن يتواضع. هذا الإنسان هو أكثر الناس حاجة إلى قبس من التنوير يتسلط على أعماقه المظلمة كي يرى حقيقة ذاته، وحقيقة ما بلغه الآخرون من مراتب إنسانية وإحسانية عليا.

التنوير مثل المعرفة دومًا يمكن للإنسان أن يحقق خطوات جديدة فيه، ويمكن للإنسان في مرحلة متقدمة أن يكون مرجعًا للتنوير، فيستنير الناس بأفكاره، ومواقفه، وأحاديثه.

يتمتع الإنسان المستنير بالكثير من المزايا التي تتيح له سبل تيسير حياته وعلاقاته مع الآخرين، ولذلك يعزز في نفسه منزلة التنوير.

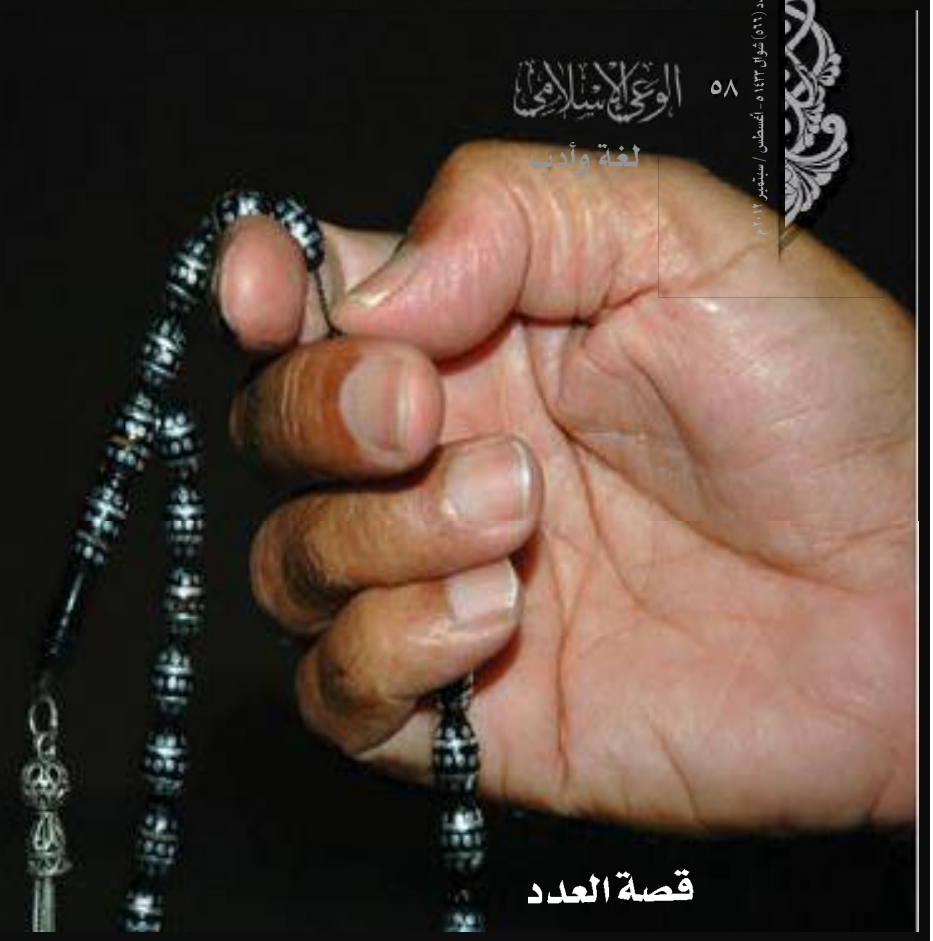

قصة العدد

السبحة

فريد محمد معوض
كاتب وقاص

هاهي لحظتك يا هنداوي..

أخذ يدفع حبات مسبحته بسرعة غير عادية.. وأحس بقلبه ينتفض في صدره وانحدرت دمعة تدعوه.

اعرض على الشيخ «رشدي» مشكلتك يا هنداوي.

كان الشيخ في صدر المحفل، والساحة تكتظ عن آخرها بالجالسين فقد خرجوا لتوهم من الجامع.

الشيخ يأتيه الناس من كل حدب وصوب يستمعون لكلمته، كلمته تنبع من القلب وتتلقفها القلوب وتطرب لها الآذان.

«نحن في حاجة لبناء مسجد جديد تتردد فيه كلمة التوحيد يسبح فيه بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله».

ويتسابق الجالسون.. يخرجون كل ما يستطيعون إخراجه من مال حتى يرتفع البناء.

نحن في حاجة لبناء مستشفى يعالج فيه المرضى الفقراء الذين لا يملكون مالا، جعلكم الله لهم معيناً وسنداً.. فهل من مستجيب؟

وتزحف الأقدام للأمام وتدخل الأيدي في الجيوب وتسمع صوت انفتاح حافظات النقود، كرم بلا حدود. والنفوس خاشعة خاضعة، وشمس القلوب ساطعة مشعة بنور لا مثيل له يملأ القلوب.

وهاهو الشيخ والدنيا حوله والساحة تمتلئ بالمصلين، والقلوب تواقة إلى عالم جميل ليس فيه ظلم، يلتحم فيه الجيران ويسود فيه الأمان ويخسأ فيه الشيطان ويذهب الشر بلا رجعة.

هاهو الشيخ.. اعرض عليه مشكلتك يا هنداوي.

مشكلتك الحقيقية أن الخجل يقف أمامك حائلا دون ما تريد، ألم يقل الشيخ «لا حياء في السؤال عن الدين»، ألم يذكرنا بقول نبينا الكريم ﷺ بأننا جميعًا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

آه كيف أستطيع أن أقول.. ومن أين أبدأ.. أسألك يا ربي أن تعينني.. أنا العبد الضعيف الذي بلغ من الكبر عتيا.. امنحني القدرة كي أنتصر على نفسي.. آه وجدتها.. أحمدك يا رب أن هديتني إلى طريقة لا تخجلني ولا تظهرني في موقف الذليل.. ليس صلفا يا رب أو غرورًا.. إنما أريد ألا أكون ذليلاً إلا لك، فالمذلة لك عزة.. والمذلة لعبد مثلي هوان وضياع.. نعم لقد وجدتها.. هذه ورقة وهذا القلم سوف أكتب للشيخ كلمة وسوف أثنيها وأعطيها لمن سبقني في الصف قائلا له: أوصلها للشيخ قل له من عند عبدالله.

وسيقول الذي سبقني للذي يسبقه:

أوصل هذه للشيخ قل له من عند عبدالله.

وهكذا تنتقل الورقة بلا ضجيج ولا جلبة ولا صياح يؤذي.. حتى تصل لصدر المحفل حيث يجلس الشيخ، ويقرأ الورقة. لكن ماذا تكتب؟ المهم أن تستطيع أن توجز حياتك البالية في سطور.. أن تكون صادقاً مع نفسك ومع ربك.

وأخذ القلم يتحرك سعيدًا على الورقة يخط حروفًا وكلمات بينما تتساقط الدموع من عيني هنداوي على الورقة فتبللها، وما إن انتهى

من ذلك حتى طوى الورقة عدة طيات وغمز الذي يسبقه وأعطاه إياها كي يعطيها للذي يسبقه، لكنه وضع المسبحة في الورقة قبل أن يطويها، وأخذت الورقة تنتقل للأمام من واحد لآخر.. من صف إلى صف.. ترى ماذا تحمل هذه الورقة غير المسبحة.. هنداوي وحده الذي يعرف أنها تحمل موجزًا لحياته البالية.. هنداوي وحده قلبه يتضرع وينتفض كما تقدمت الورقة، والشيخ في صدر المحفل يفيض على الجالسين بعلمه الغزير.

وهنداوي يرقب الورقة بالمسبحة تتحرك للأمام، وما إن وصلت ليد الشيخ حتى خيل إليه أن قلبه قد توقف عن الوجيب، فتح الشيخ الورقة.. قرأها بلا صوت كعادته.. لعل سرًا لا ينبغي أن يطلع عليه أحد ثم أدرك أخيرًا وبفطنته أنه ليس بالورقة ما يخجل، فلم يكن اسم صاحب الورقة موجودًا بالورقة فقرأ على الجالسين بصوت عال وقوي.

بسم الله الرحمن الرحيم

شيخنا الفاضل بارك الله فيك وأكثر من أمثالك فالأمة بك دائمًا للأمام.

إن الإمام الحق من يشعر بآلام الناس ويسعى جاهدًا للتصدي لها.. أنا يا أخي الكريم شيخ بلغت من الكبر عتيًا.. تجاوز وجودي في تلك الحياة سبعين عامًا.. كم زيفت.. وكم سرقت.. وكم تجاوزت حدودًا.. حتى إخوتي أشقائي لم يسلموا مني.. كنت فظًا غليظ القلب لا يعرف الحب إلى قلبي طريقًا ولا أحترم شقيقًا ولا صديقًا.. وجهتي المال ورسالتي من أجل ثراء لا حدود له وقد كان.. وكثر مالي.. واشتد بأسي.. ولا تسأل كيف جار علي الزمان.. وكيف فقدت كل هذا السلطان لأن ما أصابني من فقر هو من نفسي.. وكل ما أود أن أقوله أنني لم أعد أملك سوى هذه المسبحة الرقيقة وهي من رائحة الماضي الذي لا أود أن أذكره.. لأنه يذكرني بخسة نفسي.. لقد ابتعتها يومًا بخمسين جنيهًا أيام كنت أملك الجنيهات.. ولم أعد قادرًا على العمل وقد صرت شيخًا كبيرًا.. وأود أن أحيا بقية عمري بلا مذلة.. خذ هذه المسبحة وأعطني ثمنها ومن الآن فصاعدًا فليكن تسبيحي على أصابعي.

وما إن انتهى الشيخ من القراءة وصوته يتهدج بالبكاء، والصمت قد حلّ في ربوع المكان.. قال الشيخ: من يبتاعها من أجل أخيه ونظر في المسبحة وقال كل حبة عليها لا إله إلا الله.. قال أحد الجالسين.. أنا آخذها بألف.

وصاح آخر: أنا آخذها بألفين.

وصاح آخر قائلا:

ثلاثة، أربعة ، خمسة، ودمعت عينا الشيخ.. هذا مبلغ كاف لمساعدة المحتاج في مثل هذه السن فنادى:

فليتقدم من يدفع خمسة وليتسلم المسبحة وليأت صاحب الورقة والمسبحة بعد أن ينصرف الجميع، وهنا انتفض هنداوي من موضعه مفاجئًا الجميع:

يا لكرمكم الذي ليس له حدود.. كم ظلمتكم وسرقتكم.. والآن تصفحون عني.. وتمدون لي يد العون، لا أريد كل هذا المال.. إن آفتي كانت بسببه.. يكفيني ربعه.. وحمدًا لله.

قال الشيخ: قضي الأمر يا رجل، هذا مالك، إن شئت أنفق منه ما تيسر على الفقراء.

رفع هنداوي يده شاكرًا ربه.. وانتقل الشيخ رشدي عباس لجواب آخر عن سؤال سأله أحد الشباب.

ثمرات المطابع

■ عبدالله يوسف الغنيم.. جغرافي من الجزيرة العربية

هذا الكتاب من القطع المتوسط لمؤلفه د.رشود الخريف،أستاذ جغرافية السكان في جامعة الملك سعود، صادر عن الجمعية الجغرافية السعودية عام ٢٠١٢ في ١٧٠ صفحة، حيث يقدم ترجمة وافية لعلم من أعلام الجغرافيا العربية، لدوره الفعال في إثراء العلم والمعرفة الجغرافية التي تزخر بها مؤلفاته المتعددة، ومشاركاته العلمية والثقافية.

■ دليل توحيد ضوابط الرسم الإملائي للكتابة العربية

هذه هي الطبعة الثانية للمركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج، حيث يقدم الكتاب نموذجا موحدا لرسم الكلمات العربية، وذلك ضمن منهج شامل موحد في اللغة العربية للنهوض بلغتنا. الكتاب من القطع المتوسط في حدود ١٦٠ صفحة.

■ مذكرات جنين

هذا الكتاب للدكتور صبري الدمرداش، يقدم فيه مذكرات حول المسألة الجنينية، وذلك لتعميق إيماننا بالله، من خلال بيان ما في الجسم من مكونات سخرت لبناء الإنسان. الكتاب صادر عن مكتبة المنار الإسلامية سنة ٢٠١٢ وهو من القطع العريض ويقع في ٢٨٥ صفحة.

الغزوات المحمدية في الشعر العربي القديم

د. محمود سعيد / عضو اتحاد كتاب مصر

من الحق أن المغازي لها ما لها من صدارة وعلوية في السيرة النبوية على الأخص، ولا يخفى ما لها من مرموق الأهمية في تاريخ الإسلام على الأعم وما ذاك إلا أن التصدي لها بالذكر، يورد على الخاطر صورًا صادقة ناطقة عن نفسية وواقعية المسلمين الذين عمرت قلوبهم بالإيمان واليقين كما أنها المثال الأمثل للجهاد في سبيل الله الذي هو بغية المتقين الذين يعقدون أملهم بالنعيم في عليين. وأول ما يقال في هذا الصدد خاصًا بالجهاد وعظيم فضله أنه يعد ركنًا سادسًا من أركان الإسلام ورتبة بين الإيمان بالله ورسوله. وروي عن أبي هريرة أنه قال: «سئل النبي ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل ثم ماذا؟ قال: حج مبرور»، وهذا واضح الدلالة على أن الجهاد قبل الحج في الفضل، وهذا ما يدرك من أحاديث شريفة لا تحصى كثرة. بل وفي الشعر أيضًا برزت هذه الغزوات المحمدية لخير البرية، ولا عجب، فلم يزل النبي ﷺ يعجبه الشعر ويمدح به ويقول: هو ديوان العرب. وقوله ﷺ أنه ديوان العرب، من قواطع الأدلة على أنه جمع كل شيء عن العرب وعرّف بحياتهم في شتى جوانبها ونطق عنهم في كل ما وصفوا به الحياة من حولهم، وما شغلهم من شواغل، فهو بهذه المناسبة تاريخهم المفصل الجامع، ولعل حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ هو أصدق الأمثلة على ذلك. وعلى ذكر حسان قيل إن النبي ﷺ يتطيب شعره في تأييد الإيمان بالله. روي أنه كان ذات ليلة في سفر فقال: «أين حسان بن ثابت؟» فقال حسان: لبيك يا رسول الله وسعديك، فقال: «أجد» فجعل حسان ينشد من شعره والرسول يصغي إليه فمازال يسمع وهو سائق راحلته حتى كاد رأسها يمس الورك، ولما فرغ حسان من نشيده قال ﷺ: «لهذا أشد عليهم من وقع النبل». ذاك ما يقف بنا على منزلة حسان عند النبي ﷺ وفي فترة الغزوات والصراع بين الحق والباطل، ويبين لنا كيف أنه اتجه بشعره وجهة خاصة لا عهد للعرب بمثلها من قبل. ولقد تميزت شخصية حسان بعد إسلامه وبعد اتصاله بالرسول ﷺ وبالمواقف التي وقفها من الدين الحنيف في بزوغ فجره، فقد غلب على الشعر في تلك الفترة فن الهجاء على أنه تعبير عما اكتمن في نفوس المشركين على سواء، وكان هذا الهجاء عامًا أظهر منه خاصًا، لأنه كان عند المسلمين على الأخص دفاعًا شرعيًا، فهؤلاء المسلمون دافعوا عن دينهم مجاهدين بالسنان واللسان، وأدى حسان مهمته وهي قهر أعداء الرسول ﷺ، فشعره مصدر له قيمته وأهميته من التاريخ الإسلامي. انقطع حسان لمدح الرسول وجاهد من عاداه، ولقد نافح وناضل عن المؤمنين في غزوتي بدر وأحد، كما أنه في اختصاصه بجهاد المسلمين رثى «حمزة» رضي الله عنه عم النبي ﷺ وبكى شهداء المواقع الإسلامية، ومنهم خبيب بن عدي وزيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة، وأخيرًا رثى رسول الله ﷺ. وشعر حسان يتسم بالصدق والواقعية، وهذا من صفته يوجب التعويل عليه كمصدر للتاريخ، فهو يذكر الحقيقة لاريب فيها وإن وشاها بمسحة من خيال، وذلك ما يقتضيه التعبير بالشعر، مثال ذلك قوله في رثاء خبيب بن عدي الذي استشهد في إحدى الغزوات الأولى كاشفًا عن شجاعته وخوضه المعركة لنصرة الإسلام فقال:

ما بال عينك لا
ترقا مدامعها

سحا على الصدر مثل اللؤلؤ الفلق؟
على خبيب وفي الرحمن مصرعه
لا فشل حين تلقاه ولا نزق
فاذهب خبيب جزاك الله طيبة
وجنة الخلد عند الحور في الرفق

إنه يصدقنا القول في وصف هذا المجاهد الشهيد في مصرعه، ويبين كيف أنه نال الشهادة لينال بها جنة الخلد وكيف كان مقدامًا رابط الجأش لا يتراجع أمام تقدم العدو، وهو يبكيه وحُق لشهيد أن يُبكى عليه، وفي هذا كله لم يبعد حسان عن الحقيقة في شيء.

إن هذا الشاعر العربي ذكر الحقيقة دون أن يتجاوزها إلى الخيال البعيد، لقد شبه الدموع باللآلئ وهذا قريب الشبه بالحقيقة كما كان أكثر اهتمامًا بالإشارة إلى أن هذا المجاهد استشهد في سبيل الله وزف إليه البشرى بدخول الجنة. يتضح أن شعر الغزوات أدخل في التاريخ منه في الأدب، وشعر الغزوات فيه أخذ ورد بين حسان المدافع عن النبي ﷺ وبين الشعراء الذين عبروا عن عدائهم للنبي ﷺ. لقد قام حسان بن ثابت بمهمته على الوجه الأكمل، وشرف برضا الرسول ﷺ عنه وهو يناضل بلسانه الفصيح الذي يؤثر أعمق الأثر في النفوس.

وحسبنا أن نورد قوله ﷺ له «أهج قريشا ومعك روح القدس، والله إن كلامك لأشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام». هذه مقولة مشهورة ونحن ننظر إليها فضلًا عن أنها دعوة للذود عن الإيمان بالهجاء كما قال الصادق المصدوق يمكن أن تدخل في باب المنافرة والمناظرة، وبذلك يكون حسان بن ثابت صاحب فضل في تمييز شعره بلون خاص به، ولا عهد لنا بمثله في فترة من الزمان يؤرخ بها خصائص الشعر العربي.. فمن غرر شعره التي يقول فيها ردًا على من هجى الرسول ﷺ:

هجوتَ «محمدًا» فأجبتُ عنه
وعند الله في ذاك الجزاء
قال ﷺ: «جزاؤك على الله الجنة»، فلما انتهى إلى قوله:
فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء
قال ﷺ: «وقال الله هو المطلع»، ولما انتهى إلى قوله:
أتهجوه ولست له بند
فشركما لخيركما الفداء
قال من حضر، هذه والله أنصف بيت قالته العرب.

ولنا أن نعد مثل ذلك مثالًا لتلك الروحانية الإيمانية التي غمرت شعر المغازي وبينت على الحقيقة أهميته وجدارته بنظرة تأمل وتمحيص، فقد عبر شعر حسان عن تلك الغزوات، وأجرى عليها صفاتها، وبين أنها ليست حروبًا وكفى، بل هي حروب لها ما لها من ملامح وسمات ينبغي التنبه إليها.

ومن قول حسان بن ثابت في غزوة بدر، وهو يتجه بخطابه إلى الحارث بن هشام:

تَبَلَتْ فؤادَكَ في المنام خَريدةٌ
تسقي الضجيعَ ببارِدٍ بسام
كالمسكِ تخلطُهُ بماءِ سحابةٍ
أوْ عاتقٍ كدم الذبيحِ مُدامِ
أقسمتُ أنساها، وأترك ذكرها
حتى تُغيّبَ في الضّريح عظامي
إنْ كنتِ كاذبةَ الذي حدّثتني
فنجوتِ منجى الحارثِ بن هشامِ
تَرَكَ الأحبّةَ أنْ يقاتِلَ دونَهمْ
وَنجا بِرَأسِ طِمِرّةٍ وَلِجامِ

عند هذا الحد يتهكم حسان بالحارث بن هشام ويصفه بالجبن والنكوص عن المعركة، بل والفرار منها وعجزه عن أن يذود عن حريمه وفي هذا كل العار.

وختامًا.. إن ما قيل عن شعر في الغزوات المحمدية يحتاج إلى مئات الصفحات وكثير من الدراسات مما لا يتسع له في تلك المقالة، لكن أعد إن شاء الله أن استكمل الدور في مقالات أخرى.

العلامة اللغوي د.محمد أبوموسى لـ«الوعي الإسلامي»:

البعد عن اللغة العربية هبط بالدراسات الشرعية

الإطلالة على ثقافات الآخرين مهمة.. والقرآن هو المعلم الأول

الشعر الجاهلي كنز ضائع.. وليس بعد كلام الله ورسوله ﷺ أفضل منه

حوار: زكريا الكندري

الأمة الإسلامية زاخرة بكثير من العلماء العظام الذين يحبون أن يعيشوا بعيدًا عن الأضواء في هدوء وتفكر وسكينة، وقد شهدت على مدى تاريخها الممتد شواهد جمة على هذه الظاهرة، دفعهم لهذا المسلك إخلاص المقصد ومعرفة عظيم ما عند الله من أجر إخفاء العمل، ولو أدى ذلك إلى التنازل عن حقوقهم، من هؤلاء الدكتور محمد محمد أبوموسى أستاذ اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف.. «الوعي الإسلامي» زارت العلامة اللغوي في منزله بحي المعادي في القاهرة وكان هذا الحوار:

• بداية كيف ترون علاقة علوم الشريعة باللغة العربية؟

- من المعروف أن أحد أهم أسباب هبوط الدراسات الشرعية هو البعد عن اللغة العربية، الأمر الذي يحتم علينا الرجوع إلى الوضع الأصلي والنهوض بالمعرفة اللغوية، فمهما يكن التخصص لابد من اللغة.

• ما رأيكم في فلسفة تعدد الثقافات؟

- تعدد الثقافات مطلوب والإطلالة على ثقافة الآخرين مهمة، ولا تقتصر على ثقافات أوروبا، بل تشمل كل ما يحتاج له، بغض النظر عن كونها ثقافة عربية أو غيرها، ويعتبر هذا إشباعًا لرغبة المثقف، لكن إذا كتب ثقافة عربية كتبها محضة غير مهجنة لتبقى على نقاوتها.

• كيف يتدرب الطالب على إتقان اللغة؟

- القرآن أول معلم ومدرب للسان، بالإضافة إلى المقالات الجميلة لطه حسين والعقاد ومحمود شاكر، وكتب الجاحظ كالبخلاء والحيوان، ويعيش مع كتب الجرجاني وأبوعلي الفارسي والزمخشري، هؤلاء بالرغم من أنهم أعاجم كانوا إذا كتبوا بالعربية لا يهجنون ولا يخلطون، وكذلك قراءة دواوين الشعر مثل دواوين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم والبحتري والمتنبي.

• من أبرز العلماء الذين تهتم بكتاباتهم ومؤلفاتهم؟

- العلامة محمود شاكر وكانت لي علاقة وصداقة معه، وهو من شيوخي وكان له اهتمام بالجيل الناشئ، بل كان بمجلس الكبار والوزراء يهتم بالجيل الواعد ويقدمهم على من حضر. ومنهم الرافعي والعقاد مع أني أرفض كثيرًا من آراء العقاد، ولكن هناك فرق بين عمق علمه وبين تفكيره.

• هل لكم اهتمام بالشعر الجاهلي؟

- ليس بعد كلام الله ورسوله ﷺ أفضل من الشعر الجاهلي، ويوشك أن يكون هذا إجماع الأمة، والشعر الجاهلي كنز ضائع.

• ما أهم مؤلفاتكم؟

- من أهم المؤلفات، أسأل الله أن ينفع بها، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، التصوير البياني.. دراسة تحليلية لمسائل البيان، الإعجاز البلاغي.. دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، دراسة في البلاغة والشعر، خصائص التراكيب.. دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، دلالات التراكيب.. دراسة بلاغية، آل حم غافر- فصلت دراسة في أسرار البيان، آل حم الشورى- الزخرف- الدخان.. دراسة في أسرار البيان، مراجعات في أصول الدروس البلاغية، من أسرار التعبير القرآني.. دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، شرح قصيدة بانت سعاد، المدخل إلى كتاب عبدالقاهر الجرجاني.

• ما توجيهاتكم لدارس اللغة العربية؟

- ألا يقتصر على النحو والصرف، لا بد من الملكة اللسانية من خلال القراءة، وكما قال ابن خلدون: العربية ما نطقت به العرب، فيبدأ من الطفولة وينشأ عليها وهناك ديوان الأطفال لشوقي يبدأ به، وقراءة القرآن أول معلم.

• هل تتابعون مجلة «الوعي الإسلامي»؟

- نعم، ولي فيها مقالات كثيرة بداية من سنة ١٤٠٣هـ الموافق ١٩٨٣م بعنوان «مهلًا أيها الكبار».

• كلمة أخيرة..

- الرباط رباطان.. الجندي في سلاحه والعالم بقلمه، والعلم غير العملي معطل.

من هو أبوموسى؟

- الدكتور محمد محمد أبوموسى من مواليد ١٩٣٧م، درس في معهد دسوق الديني التابع للأزهر الشريف، ثم حصل على الثانوية الأزهرية في محافظة كفر الشيخ، وليسانس اللغة العربية من جامعة الأزهر عام١٩٦٣م، ونال درجة الماجستير عام ١٩٦٧م والدكتوراه عام ١٩٧١م، وكان عنوان رسالة الماجستير «بلاغة المفتاح.. دراسة وتعليق، وعنوان الدكتوراه «البحث البلاغي في تفسير الزمخشري»، درّس في جامعة الأزهر والجامعة الإسلامية في ليبيا وجامعة أم القرى، وزار جامعة أم درمان، وناقش رسائل في الشارقة والبحرين.. من شيوخه الأستاذ عبدالسميع شبانة، ورفعت فتح الله، وأحمد كحيل، والشيخ الحجار، امتحنه شفويًا الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد، والشيخ محمد علي النجار محقق الخصائص واختبره بالنحو، من زملائه د.محمد إبراهيم البنا محقق ابن كثير والسهيلي وأسد الغابة، وعبدالفتاح حجاب، وعبدالعز علام، وسيد العراقي.

مقالات د.أبوموسى في «الوعي الإسلامي»

م	الموضوع	العدد	الصفحة
١	مهلًا أيها الكبار	٢٢٤	١٠٠
٢	قراءة في مقدمات كتب القدماء	٢٣٠	٥٨
٣	حقائق غائبة	٢٣٤	٩٣
٤	ضرورة سيطرة التوجيه الإسلامي في ديار الإسلام	٢٥٦	٨٦
٥	إليه يصعد الكلم الطيب	٢٦٠	١٦
٦	ويلكم ثواب الله خير	٢٦٩	٣٠
٧	أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب؟	٢٧٣	٦٨
٨	التراث حركة تأمل وإبداع	٢٧٤	٤٠
٩	حتى لا يقطع ميراث أمية	٢٨١	٣٦
١٠	البلاغة العالمية	٢٨٧	١٢
١١	الخطابي وإعجاز القرآن	٢٩١	١٠
١٢	تصحيح مقولة في تاريخ الإسلام	٢٩٢	٣٥
١٣	يرفع الله الذين أوتوا العلم	٢٩٥	١٦
١٤	والله متم نوره ولو كره الكافرون	٣٠٢	٣٢
١٥	أمثال سورة النور	٣٠٥	١٢
١٦	قيم منهجية يجب أن تعود	٣٠٨	١٧
١٧	أفلا يتدبرون القرآن	٣٠٩	١٠
١٨	وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالًا	٣١١	٢٢
١٩	والذين هاجروا في الله	٣١٣	٣٦
٢٠	البلاغة القرآنية وتوضيح واجب	٣١٥	١٢
٢١	معذرة إليك يا شيخ الأصحاب	٣٤٠	٧٦

اللغة العربية ومواكبة التطور والحضارة

سالم بن عميران - كاتب يمني

تتميز اللغة العربية بأنها لغة مرنة، تتفاعل مع حركة الحياة، وتساير الزمان في تطوره في كل عصر، فهي في قومها أو مجتمعها كائن حي، ينمو ويتغير وفق متغيرات المجتمع، وتتميز عن غيرها من اللغات بخصائص متعددة تجعلها تواكب كل عصر، وما يجدّ فيه من مظاهر الحياة الجديدة والحضارة المتطورة، وتعد وسيلة مهمة في مواجهة تحديات العولمة؛ وذلك من خلال الأصول والقواعد التي وضعها الأوائل، وما قامت عليه من منهج علمي في التوليد اللفظي والدلالي لنمو اللغة وتطورها ومواكبتها للحضارة والحياة المتجددة، وأهم تلك الخصائص:

١) الإعراب:

ويقصد به احتفاظ العربية بالحركات في أواخر الكلمات، وهي أقوى خاصية من خصائص العربية (١).

٢) الاشتراك:

وهو أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر نحو «العين» تحتمل: «عين الماء»، و«عين المال»، و«عين السحاب» (٢)، ومن الألفاظ المشتركة ذات الدلالات الكثيرة «رب» وتعني في اللغة: «السيد» و«المالك» يقال: رب الضيعة، ورب الدار.

٣) التضاد:

وهو ألفاظ لكل منها معنيان أحدهما ضد الآخر مثل: «الظن» يرد بمعنى التوهم والشك، كقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات:١٢)، ويأتي بمعنى اليقين والعلم، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ ملاقو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ٤٦).

٤) الترادف:

ويقصد به الألفاظ المفردة الدالة على شيء باعتبار واحد، مثل: «الوصل» و«العطية» تقول: «وصلته» و«رفدته» و«حبوته»..(٣) واللغة العربية ثرية بهذه المترادفات، مثل: أسماء السيف والأسد والحية والعسل وغيرها (٤).

٥) القياس:

وهو استنباط مجهول من معلوم، ومن القياس في العصر الحديث ألفاظ كثيرة دعت الحاجة إلى استعمالها في التعبير عن كثير من حقائق الفلسفة والعلوم والفنون مثل: المصدر الصناعي كالجاهلية والرهبانية، وما يصاغ على وزن «فعّال» للمبالغة مثل: السبّاك والبرّاد، واسم الآلة على وزن «مفعال» مثل «محرار»، وهو ما يعرف «بالترمومتر»، وما هو على وزن «مفعل» مثل: «منجل» فاشتقوا على قياسه: «مجهر» وهو المسمى «بالميكروسكوب» (٥).

٦) الاشتقاق:

هو استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من صيغة، مثل «الضرب» يشتق منه أسماء وأفعال مثل: ضارب ومضروب ويَضْرب واضْربْ..

٧) التعريب (الاقتراض):

«وهو ما لفظت به العرب من غير لسانها فعربته فصار عربيًا بتعريبها إياه فهي عربية في هذه الحال» (٦) وذلك بعد إخضاعها لتعديل يسير في لفظ حروفها وإخراجها عن الأوزان العربية المألوفة بحيث تصبح مع تقادم الزمن سائغة حلوة الجرس كأنها أصيلة مثل: «إجاص» عن العبرية، و«إبريق» عن الفارسية، و«إبليس» عن اليونانية، و«بركان» عن اللاتينية، و«برميل» عن الإيطالية، و«مليون» عن الفرنسية..(٧)، ويطلق على هذا النوع من الألفاظ اسم «المعرّب»، وفي العصر الحديث ظهرت ألفاظ جديدة معربة، مثل (television) عربت إلى «تلفاز»، جريًا على صوغ اسم الآلة على وزن «مِفْعال»...

٨) النحت:

وهو عملية اختصار واختزال في الكلمات والعبارات؛ بأن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتنتزع من مجموع حروف كلماتها كلمة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها، كقولنا: (سبحل) من (سبحان الله)، و(حوقل) من (لا حول ولا قوة إلا بالله)...(٨)، وقد استفاد المعاصرون من هذه الظاهرة، فقالوا: لحيوان الماء واليابسة «برمائي»، آخذين ذلك من كلمتي بر وماء...

٩) الإيجاز:

وهو من أبرز خصائص العربية، ويشمل هذه اللغة حروفها وألفاظها وتراكيبها منطوقة ومكتوبة فمثلاً: الحرف (ع) له أربعة أشكال في العربية (ع- ـع- ـعـ- عـ) وفي اللغة الأجنبية نحتاج إلى حرفين مقابل حرف واحد في العربية لأداء صوت معين كالخاء (kh) والجيم (dg) (٩).

فمما سبق يظهر أن اللغة العربية من أعرق اللغات العالمية منبتًا، وأعزها جانبًا، وأقواها جلادةً، وأبلغها عبارةً، وأغزرها مادةً، وأدقها تصويرًا، لما يقع تحت الحس، وتعبيرًا عما يجول في النفس، وذلك لمرونتها على الاشتقاق، وقبولها للتهذيب وسعة صدرها للتعريب، فليس هناك معنى من المعاني ولا فكرة من الأفكار ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية من النظريات تعجز اللغة العربية عن تصويره بالأحرف والكلمات تصويرًا صحيحًا. (١٠).

واللغة العربية قادرة على الاستجابة للتطور الحضاري والتعبير عنه ليس العربي أو الإسلامي فقط؛ وإنما العالمي، وهذا يعني قدرتها على الاتساع لكل تطورات العصر والتوليد والاستيعاب بل والتعبير عن كل الحالات والأحوال والإجابة عن كل سؤال معلوماتي علمي أو ثقافي أو تجاري أو صناعي أو سياسي أو أدبي (١١) فلم تقف عاجزة عن تلك الحيوية ولا بدت عليها علامات الشيخوخة أو الاكتهال بل كانت - وما زالت - حية متطورة متميزة، ولعل ذلك هو السر الذي يجعلنا لا نقيس العربية الفصحى بما يحدث في اللغات الحية المعاصرة، فإن أقصى عمر هذه اللغات في شكلها الحاضر لا يتعدى قرنين من الزمان، فهي دائمة التطور والتغير والتفاعل مع اللغات المجاورة (١٢).

فأي كلمة نتداولها الآن ظلت تتناقل عبر آلاف السنين وتكتسب من كل جيل حرارة وطاقة جديدة من الاستخدام اليومي وجزءًا من روح الناس المتعاملين بها «وبالرغم من الرأي القائل بأن اللغة العربية تمارس وتفرض علينا أنماطًا من التفكير تكلست عبر أجيال مضت وأنها تمارس سطوة استبدادية بعكس اللغات الأخرى؛ فإن هذه اللغة هي الأكثر شبابًا وحيوية؛ فمهما بلغت شيخوخة العربية فإن ذلك يكسبها الكثير من الخبرات الحيوية والفنية ما لم يتمثل ويكتشف في لغة أخرى» (١٣).. فهل بعد كل ذلك توجه الاتهامات إلى لغتنا بأنها غير قادرة على مواكبة التطور والحضارة ؟!

الهوامش:

(١) انظر: كاصد ياسر الزيدي، فقه اللغة العربية، عمّان: دار الفرقان، ط١، ٢٠٠٤، ص٧٢.

(٢) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨ج١، ص ٢٩٢.

(٣) أبوالحسن الرماني، الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، تحقيق: فتح الله المصري، المنصورة: دار الوفاء، ط١، ١٩٨٧، ص٧.

(٤) انظر: المزهر ج١، ص ٣٢٠ - ٣٢١.

(٥) انظر: كاصد ياسر الزيدي، مرجع سابق، ص ٢٨٩ -٣٠١.

(٦) منصور الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ٢٠٠٢، ص ٥.

(٧) انظر: جبور عبدالنور، المعجم الأدبي، بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ١٩٧٩، ص ٧٢.

(٨) ينظر د. رمضان عبدالتواب، بحوث ومقالات في اللغة، القاهرة: مكتبة الخانجي ط١، ١٩٨٢، ص ١٨٢والمزهر ج١ ص ٣.

(٩) انظر: د. مازن المبارك، نحو وعي لغوي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩، ص ٦٢-٦٣.

(١٠) انظر: أحمد السائح، «العربية الفصحى»، مجلة دعوة الحق،: العدد السادس، مايو ١٩٦٩، ص ٦٤.

(١١) انظر: عمر عبيد حسنة، اللغة العربية تواجه التحديات، طالب عبدالرحمن، قطر: «كتاب الأمة»، العدد١١٦، ط١، ذوالقعدة ١٤٢٧، ص١٠.

(١٢) انظر: د. رمضان عبدالتواب، مرجع سابق، ص ١٨٠.

(١٣) توفيق القباطي، «اللغة والحداثة في الأدب العربي» مجلة الحكمة، العدد ١٦٤ سبتمبر١٩٨٩م، ص ٥٦-٥٧.

تربية الأولاد في الإسلام

بهيج بهجت سكيك
أكاديمي فلسطيني

يأخذ البعض على المكتبة العربية قلة أعداد الكتب التي تُعنى بالتربية كعلم متخصص له سماته الخاصة، وتلبي حاجة المربي وولي الأمر وتواجه النظريات التربوية الحديثة في الغرب والتي حملت معظمها معاول الهدم- عن قصد وسوء نية- لتهدم القيم والمثل التي جاء بها الإسلام وبنى على أساسها حضارة زاهرة صمدت قرونا عديدة.. وقد ساهمت الحركات المشبوهة في طرح أفكار تربوية تصل بالشباب إلى مهاوي الردى ليسهل السيطرة على الأمة واستنزاف طاقاتها وقدراتها وخيراتها وتسخيرها لخدمة أغراضهم..

إلا أنه في السنوات الماضية ظهرت كتب عربية تصدت لهذه الموجة الهدامة واستعانت بتلك الكنوز التي يزخر بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة كأتم نظريات تربوية تلبي حاجات الإنسان الجسمية والعقلية والنفسية..

من هذه الكتب «تربية الأولاد في الإسلام» للسيد/ عبدالله ناصح علوان، والذي عرفنا من سيرته وآثاره أنه من مدينة حلب الشهباء ولد فيها عام ١٩٢٨م وتلقى علومه الشرعية على يد علماء فطاحل وأكمل تحصيله العالي في الأزهر الشريف بمصر ونال فيه شهادة عالية سنة ١٩٥٤م وأثناء عمله مدرسا للتربية الإسلامية في حلب أصدر العديد من الكتب التربوية والدعوية والبحوث الإسلامية منها: التكافل الاجتماعي في الإسلام، تعدد الزوجات في الإسلام، حتى يعلم الشباب، صلاح الدين الأيوبي، فضائل الصيام وأحكامه، حكم التأمين في الإسلام، ثم كتابه هذا «تربية الأولاد

في الإسلام».

توزعت موضوعات «تربية الأولاد في الإسلام» على ثلاثة أقسام.. كل قسم يتناول عدة فصول وكل فصل يندرج تحته عدة موضوعات.. حيث جاءت موضوعات القسم الأول والثاني في كتاب واحد، وقد بلغت صفحات الجزء الأول ٦٢٥ صفحة من القطع المتوسط، احتل القسم الأول منها ١٤٠ صفحة تقريبا قسمت إلى أربعة فصول هي «الزواج المثالي وارتباطه بالتربية» الشعور النفسي نحو الأولاد وأحكام عامة ثم أسباب الانحراف عند الأولاد ومعالجته. أما القسم الثاني فقد استأثر بباقي الكتاب وعنوانه «مسؤوليات المربين في التربية الإيمانية والخلقية والجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والجنسية».

أما القسم الثالث فقد طبع في كتاب آخر- الجزء الثاني- وبلغت عدد صفحاته ٤٩٠ صفحة من القطع المتوسط، توزعت على ثلاثة فصول.. الأول وسائل التربية المؤثرة، كالتربية بالقدوة والتربية بالعادة والتربية بالموعظة والتربية بالملاحظة والتربية بالعقوبة فشغلت ١٤٠ صفحة من الجزء الثاني.. أما القسم الثاني فموضوعه القواعد الأساسية في تربية الولد كقاعدة الربط الاعتقادي والروحي والفكري والاجتماعي. ثم قاعدة التحذير: التحذير من الردة والإلحاد ومن اللهو المحرم ومن التقليد ومن رفقة السوء ومن الحرام.. شغلت ٢٢٠ صفحة من الكتاب وكان عنوان الفصل الثالث- من الجزء الثاني- اقتراحات تربوية لابد منها.

الزواج المثالي وارتباطه بالتربية

هذا عنوان الفصل الأول من القسم الأول.. بيّن فيه المؤلف وجه ارتباط التربية بتحمل المسؤولية وإنجاب الذرية.. ولأن الزواج فطرة إنسانية فقد حارب الإسلام الرهبانية كما أن الزواج مصلحة اجتماعية للمحافظة على النوع وسلامة المجتمع من الانحلال الخلقي ومن الأمراض وللمحافظة على الإنسان كما أن في الزواج سكن روحاني ونفساني، كما أن الزواج انتقاء واختيار على أساس الدين وعلى أساس الأصل والشرف.. واستشهد المؤلف بالاحاديث النبوية الشريفة عن أهمية الاغتراب في الزواج وتفضيل ذوات الأبكار وتفضيل الزواج بالمرأة الولود.

وفي الفصل الثاني عرض شيق وتحليل دقيق لموضوع الشعور النفسي نحو الأولاد وكيف أن الأبوين مفطوران على محبة الولد وأن الرحمة بالأولاد منحة من الله للعباد.. كما أن كراهية البنات جاهلية بغيضة. أما فضيلة من يتجلد لموت الولد فهي منزلة رفيعة من اليقين وأن من يصبر على ذلك يقطف الثمرات في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون. وأعطى أمثلة حقيقية على تغليب مصلحة الإسلام على حب الولد.

أما الفصل الثالث فيتناول أربعة مباحث، هي أحكام عامة تتعلق بالمولود، وهي ما يفعله المربي عند الولادة- وتسمية المولود وأحكامها- وعقيقة الولد وأحكامها- وختان المولود وأحكامه- كما بين استحباب البشارة والتهنئة عند الولادة واستحباب التأذين والإقامة عند الولادة.

واستحباب تحنيك المولود وحلق الرأس.. كل ذلك مع أمثلة لما كان يفعله الرسول ﷺ في مثل هذه المناسبات. أما أحكام تسمية المولود فشرح متى يُسمى وما يستحب له من الأسماء وما يكره، ووجوب أن ينسب الولد لأبيه لا لأمه ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ (الأحزاب: ٥)، ثم تناول العقيقة ومفهومها ودليل مشروعيتها ووقتها وعقيقة الذكر وعقيقة الأنثى.. وأورد الأحاديث التي تدل على مشروعية الختان وهل هو واجب أم سنة؟ وهل على الأنثى ختان.. وشرح خمس فوائد للختان.

أما الفصل الرابع- وهو من أهم فصول الكتاب- ويتناول أسباب الانحراف عند الأولاد ومعالجته «إن الإسلام بتشريعه ومبادئه القويمة الخالدة قد وضع الأسس الكفيلة والمناهج الصحيحة لصيانة الجيل من الانحراف وحماية المجتمع من التشرد والضياع، وذلك بوضع الحلول للفقر وللنزاع والشقاق بين الآباء والأمهات، وحالات الطلاق، والفراغ، والبعد عن الخلطة الفاسدة ورفاق السوء، وسوء معاملة الأبوين للولد، ومشاهدة أفلام الجريمة والجنس، وانتشار البطالة في المجتمع - وأخيرا اليُتم».

مسؤوليات المربين

وهي هو عنوان الفصل الثاني من الكتاب، وقد احتلت موضوعاته من صفحة ١٤٧ حتى نهاية الكتاب في صفحة ٦١٠. صنفها المؤلف إلى سبع مسؤوليات: هي مسؤولية التربية الإيمانية والتربية الخلقيةوالتربيةالجسميةوالتربيةالعقلية والتربية النفسية والتربية الاجتماعية وأخيرا التربية الجنسية. استعان المؤلف بالآيات الكريمة المستفيضة.. ومجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة التي تبين مسؤولية المربين بتبصير أولادهم بأصول الدين وأركان الإسلام ومبادئ الشريعة والحلال والحرام، وهذا يرتد على التربية الخلقية «إن الفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية هي ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ والتنشئة الدينية الصحيحة»... «فهم مسؤولون عن تخليق الأولاد منذ الصغر على الصدق والأمانة والاستقامة والإحسان إلى الجار والمحبة للآخرين» كما أن عليهم معالجة بعض المظاهر السلوكية في مرحلة المراهقة، كظاهرة الكذب وظاهرة السرقة وظاهرة السباب

والشتائم وظاهرة الميوعة والانحلال.. وتحذيرهم من التشبه والتقليد الأعمى والنهي عن الاستغراق في التنعم والنهي عن الاستماع إلى الموسيقى والغناء الخليع والنهي عن التخنث والتشبه بالنساء... والنهي عن السفور والتبرج والاختلاط والنظر إلى المحرمات.

أما مسؤولية التربية الجسمية فتكمن في وجوب النفقة على الأهل والولد واتباع القواعد الصحية في المأكل والمشرب والنوم والتحرز من الأمراض السارية المعدية ومعالجة المرض بالتداوي لا بالخرافات وتطبيق مبدأ لا ضرر ولا ضرار وتعويد الولد على ممارسة الرياضة وألعاب الفروسية ومعالجة الظواهر الجسمية المتفشية في المراهقين كظاهرة التدخين وظاهرة العادة السرية وظاهرة المسكرات والمخدرات.. وظاهرة الزنى واللواط.. ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥).

الواجب التعليمي

يرى المؤلف أن مسؤولية التربية العقلية لا تقل أهمية عما سبقها «فالتربية الإيمانية تأسيس والتربية الجسمية إعداد وتكوين والتربية الخلقية تخليق وتعويد، أما التربية العقلية فإنها توعية وتثقيف وتعليم» لذا فالواجب التعليمي والتوعية الصحية والعقلية هي أركان التربية العقلية لا فرق في ذلك بين بنت وصبي مع البعد عن الاختلاط في أماكن التعليم.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: ٧-٨)، إن هذه حقيقة ناصعة يقررها القرآن الكريم، ويكون دور المربين بصقل هذه النفس وتوجيهها وتحريرها من كل العوامل التي تنقص من كرامتها واعتبارها.. ومواجهة الخوف والخجل والحسد والشعور بالنقص والغضب.

كما أفرد المؤلف الفصل السادس للتربية الاجتماعية وأهميتها في غرس القيم الاجتماعية: التقوى - الأخوة - الرحمة- الإيثار - العفو - والجرأة، ومراعاة حقوق الآخرين، كحقوق الأبوين وحقوق الأرحام وحق الجار وحق المعلم وحق الرفيق وحق الكبير، والالتزام بالآداب الاجتماعية العامة: أدب السلام - أدب الاستئذان - أدب المجلس - أدب الحديث - أدب المزاح - أدب عيادة المريض - والتذكير بمواقف السلف الصالح.

ولا تقل التربية الجنسية في أهميتها عن جوانب التربية الأخرى - خصوصا في هذا الزمن - وقد كثرت مواطن الإثارة والإفساد كدور السينما والمسرح وأزياء النساء الفاضحة والمجلات ومفسدة الصحبة والاختلاط بين الجنسين.

وفي الفصل السابع شرح المؤلف مراحل نمو الولد من سن (٧-١٠)، (١٠-١٤) ومن سن (١٤-١٦) سنة ثم مرحلة ما بعد البلوغ...

وشرح آداب النظر إلى المحارم.. وإلى المخطوبة وإلى الزوجة وإلى المرأة الأجنبية وأدب نظر الرجل إلى الرجل.. وأدب نظر المرأة إلى المرأة.. كما أباح النظر في حالات ضرورية كالنظر بقصد الخطبة وبقصد التعليم وبقصد المداواة وبقصد المحاكمة والشهادة.

ويطالب المؤلف بتجنب الولد الإثارات الجنسية وإبعاده عن مواطنها كدور السينما والمسرح والمواخير السرية والعلنية والصحبة السيئة والاختلاط

بين الجنسين وحدد وسائل إيجابية للإصلاح والتوعية والتحذير من خطر الزنى كالخطر الصحي والخطر النفسي والخلقي والاجتماعي والاقتصادي والديني... كما كتب عن نظرة الإسلام إلى الجنس.. ولماذا شرع الله الزواج: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)، وتحريم العزوف عن الزواج.. والثواب في تصريف الشهوة في الحلال ومراحل الخلوة بالزوجة عند الزواج.. وهو أمر يجب أن يطلع عليه كل شاب مقبل على الزواج ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ (النور: ٣٣) بغض النظر عن المحرمات وتقوية الوازع الديني، كما أجاز المؤلف مصارحة المربي أو الأب في القضايا التي تتعلق بالجنس واستشهد بكثير من الآيات التي تتحدث عن الاتصال والجنس وعن خلق الإنسان وعن الفاحشة منها (سورة البقرة: ١٨٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣٧، والمؤمنون: ٥، ٧، ١٣ والأحقاف: ١٥، والإسراء: ٣٢، والنور: ٣) فما أحوج أهل الفكر والتربية والإصلاح أن يأخذوا بمنهج الإسلام في التربية الجنسية وأن يسيروا على هدى القرآن في الانضباط الغريزي.

وسائل التربية المؤثرة

أفرد المؤلف الفصل الأول من كتابه الثاني عن تربية الأولاد في الإسلام والذي يقع في ٥٠٠ صفحة لوسائل التربية المؤثرة وأهمها التربية بالقدوة، والرسول الكريم ﷺ هو القدوة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥-٤٦) والرسول ﷺ قدوة في العبادة والكرم – والزهد – والتواضع – والحلم – والشجاعة والقوة الجسدية والثبات على المبدأ.

كما أعطى التربية بالعبادة ودورها في تنشئة الجيل ومنهج الإسلام في إصلاح الكبار عن طريق الربط بالعقيدة والتحريم للشر وفي إصلاح الصغار عن طريق التلقين والتعويد، والتربية بالموعظة بالآيات القرآنية وأحاديث الرسول ﷺ والتي تشمل عقوبة الحدود وعقوبة التعزيرات.

وقد تناول الكاتب الطرق التي أقرها الإسلام في المعالجة عن طريق الإرشاد إلى الخطأ بالتوجيه والإرشاد إلى الخطأ بالملاطفة والإشارة ثم بالتوبيخ والضرب.

واعتبر المؤلف الربط الروحي هو أهم القواعد الأساسية في تربية الولد وذلك بربط الولد بالعبادة والقرآن الكريم وبيوت الله وبذكر الله وبالنوافل وبمراقبة الله تعالى واشترط في المربي صفات أساسية هي الإخلاص، والتقوى، والعلم، والحلم، والاستشعار بالمسؤولية للوقوف في وجه مخططات التآمر التي كانت تقودها الشيوعية والصليبية واليهودية والماسونية ضد الإسلام.

الصحبة الصالحة

شدّد المؤلف على ربط الولد منذ نعومة أظفاره بالصحبة المؤمنة الصالحة ليكتسب منها ما ينمي شخصيته من روحانية مشرقة وعلم نافع، وأدب سام وأخلاق قويمة، هذه الصحبة التي تبدأ في البيت حيث إخوته وأخواته وأقاربه وصحبة الحي، وصحبة المسجد، وصحبة المدرسة، واستعان بتوجيهات القرآن الكريم وتحذيراته من قرناء السوء والفساد.. قال تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (ق: ٢٧) وقال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧).

وفي الفصل الثاني– من الجزء الثاني– تناول المؤلف قاعدة التحذير بإسهاب وبين كيف أن القرآن الكريم والسنة المطهرة يهتمان بالتحذير من الشر، والتحذير من الإلحاد وكيف أن الإلحاد أعظم خطرا من الردة.. وحكم الإسلام على المرتد الملحد.. والتحذير من اللهو المحرم وأعطى أمثلة عليها كاللعب بالنرد والاستماع إلى الغناء والموسيقى الماجنة ورؤية الميسر وأعطى أمثلة على ألوان القمار المحرم كشراء أوراق اليانصيب، والمراهنة، ثم ألوان من اللهو الحلال التي شرعها الله وحثت عليها السنة النبوية كمسابقة الجري (العدو) والمصارعة، واللعب بالسهام واللعب بالحراب والفروسية والصيد.

الحلال بيّن والحرام بيّن

أما التحذير من الحرام فأفرد له المؤلف فصلا كاملا. وأعطى الأولوية للتحذير من حق الله تعالى– الذي هو وحده صاحب الحق في أن يحل ويحرم.

وبدأ في الحرام في الأطعمة والأشربة (الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر وسباع البهائم وما ذبح على غير الطريقة الشرعية...) وانتقل إلى الحرام في الملبس والزينة والمظهر، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف: ٣١)، وهذا يدل على عناية الإسلام بالمظهر والنظافة وتحريم الذهب والحرير على الرجال وتحريم التشبه بالمرأة وتحريم تغيير خلق الله – وهو ما يحصل في يومنا هذا من تحويل الذكر إلى أنثى وتحويل الأنثى إلى ذكر...، وتحريم حلق اللحية وتحريم الصور والتماثيل وما يستثنى ويرخص منها.

كما طالب بتعلم الأولاد البيع الحلال وأنواعه والبيع الحرام وعدد من البيوع المحرمة: بيع الأشياء المحرمة (الخمر ولحم الخنزير والمعازف بأنواعها وأوراق اليانصيب..) وبين الحكمة في هذا التحريم، وبين أنواع البيوع المحرمة وحكمة تحريمها مثل بيع الغرر والبيع بالغبن والبيع بالاحتكار والبيع بالغش وبيع المسروق وبيع المغصوب والتكسب عن طريق الربا والميسر ثم انتقل إلى عادات حرمها الإسلام كالانتصار للعصبية والتفاخر بالنسب والنياحة على الموتى وانتساب الولد إلى غير أبيه، وأكل مهر البنت وحرمانها من الميراث، وطالب بتشويق الولد إلى أشرف الكسب. وقد أنهى المؤلف كتابه بتقديم اقتراحات تربوية لابد منها، مثل: دراسة مراعاة استعدادات الولد الفطرية حيث أمر الرسول ﷺ بإنزال الناس منازلهم وترك المجال للولد في اللعب والترويح.

(كتاب جدير أن يقتنيه كل مسلم وولي أمر ومعلم مدرسة)

أطفال الكولسترول.. ليسوا في مأمن منه

هدير جلال - القاهرة : دار الإعلام العربية

الوراثة والأطعمة الجاهزة وعدم ممارسة الرياضة ونمط الحياة العصرية أهم الأسباب

د.هبة عبداللطيف: مخاطر ارتفاعه لديهم ممتدة إلى المراحل العمرية اللاحقة!

ارتفاع نسبة الكولسترول، مرض دائمًا ما يشكو منه الكبار لخطورته على الجسم، لكن مع نمط الحياة الحديث امتدت هذه الخطورة لتصل إلى الأطفال، وقد أكدت العديد من الدراسات والتقارير الصحية أن الأطفال عُرضة للإصابة بارتفاع الكولسترول.. وهو الأمر الذي يدق ناقوس الخطر وخاصةً في ظل الاعتقاد الخاطئ لدى الأغلبية العظمى من الآباء بأن الأطفال في مأمن من هذا المرض، ولذلك تنبه «الوعي الإسلامي» الآباء، وتكشف أسباب الإصابة وأعراضها والمخاطر الناتجة عنها.. وبالطبع كيفية المواجهة، كل ذلك عبر السطور التالية..

لمعرفة الأسباب التي تؤدي إلى الإصابة بارتفاع نسبة الكولسترول لدى الأطفال، توجهنا بالسؤال إلى د.هبة عبداللطيف زين، أخصائية طب الأطفال، التي وضحت أن الدهون والكولسترول أنواع عدة؛ دهون ثلاثية، ودهون منخفضة الكثافة LDL ودهون عالية الكثافة HDL، وتعد الدهون منخفضة الكثافة خطيرة جدًا وهي من أهم أسباب ارتفاع الكولسترول، بينما الدهون عالية الكثافة لها دور مهم في الأيض «عملية الهضم» وحماية الجسم من تصلب الشرايين.

وتحدّد د.هبة أسبابه ارتفاع الكولسترول، في رئيسية وثانوية؛ حيث تتمثل الأسباب الثانوية في زيادة تناول الدهون المشبعة، موضحةً أن هناك علاقة «وطيدة» بين تناول الدهون المشبعة وارتفاع نسبة الكولسترول والتي ينتج عنها الوفاة بأمراض شرايين القلب التاجية، كذلك تصلب الأطراف السفلية والشرايين المغذية للمخ، حيث إن هذه الأمراض تتأثر بعوامل بيئية وجينية، كذلك بأسلوب الحياة؛ أي نَوعية الأكلَ نفسه، وكذلك ممارسة الشخص للرياضة، ومن الأسباب الرئيسية أيضًا العوامل الوراثية، فهناك مجموعة من الأمراض الوراثية تتحكم بها مجموعة من الجينات قد تؤدي إلى وراثة الطفل لمرض ارتفاع الكولسترول من أحد والديه.

أما الأسباب الثانوية لزيادة الدهون والكولسترول في الدم فتتمثل في نقص هرمون الغدة الدرقية والبدانة والسكري والفشل الكلوي وارتفاع هرمون الغدة الكظرية، كذلك تناول أدوية معينة.

أعراضه

وتقسم د.هبة أنواع الإصابة بارتفاع الكولسترول لدى الأطفال إلى نوعين؛ أحدهما شديد الخطورة تظهر أعراضه منذ الطفولة المبكرة في صورة تجمعات دهنية صفراء تحت الجلد خصوصًا في مناطق الأوتار والمفاصل وأعراض الذبحة القلبية، والتي إذا لم يُعالَج الطفل منها قد تؤدي إلى وفاته دون أن يبلغ سن الثلاثين، كذلك قد تحتاج بعض الحالات إلى تقنية البلازما لإزالة الدهون منخفضة الكثافة أو حتى إلى زرع كبد جديد.

أما النوع الأقل خطورة، فتظهر أعراضه في صورة زيادة في الوزن «بدانة» وارتفاع في ضغط الدم والإصابة بمتلازمة الأيض، كذلك الأمراض القلبية.

وتنصح د.هبة كل الآباء بضرورة علاج ارتفاع الكولسترول لدى الأطفال، وخاصةً بسبب مخاطره العديدة عليهم، كذلك لأن بعض الآثار السلبية لارتفاع الكولسترول قد تظهر على الأطفال في مراحل عمرية لاحقة، فلقد أكدت العديد من الدراسات على أن نحو ٤٠٪ من الأطفال الذين يعانون ارتفاع نسبة الكولسترول يتعرّضون للإصابة بأمراض القلب في مرحلة الشباب.

الكولسترول والسمنة

وعن العلاقة بين السمنة ونسبة الكولسترول، تؤكد أستاذ تغذية الأطفال بالمعهد القومي المصري للتغذية، د.لبنى الحديدي، أن هناك علاقة وطيدة بين السمنة وارتفاع نسبة الكولسترول، مشيرةً إلى ما أظهرته نتائج الدراسات الأخيرة من أن تزايد حالات ارتفاع الكولسترول السيئ تتناسب طرديًا مع

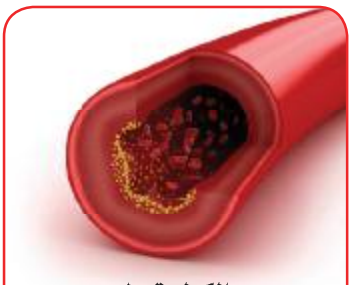

الكولسترول

مادة دهنية شمعية أساسية في تكوين أغشية الخلايا في جميع أنسجة الكائنات الحية، يلعب دورًا أساسيًا في الاستقلاب الحيوي (التمثيل الغذائي)، وله نوعان، أحدهما طيب مفيد، والآخر ضار للصحة إذا زادت نسبته في دم الإنسان عن ٢٠٠ملليجرام/ديسيلتر.. النوع المفيد وهو بروتين دهني مرتفع الكثافة يجب أن تكون نسبته في الدم أعلى من ٤٠ مليجرام/ديسيلتر. والنوع الضار إذا زادت نسبته في الدم عن ٢٠٠ مليجرام/ديسيلتر، وهذا يسمى بروتينًا دهنيًا منخفض الكثافة. ويصنع جسم الإنسان أغلب كميات الكولسترول الخفيف التي يحتاجها مما يتعاطاه من غذاء، كذلك يحصل على كميات أخرى موجودة جاهزة في بعض أنواع الغذاء، مثل صفار البيض والجمبري والصدفيات. ويقع إنتاجه بشكل رئيسي في الكبد والأمعاء وينقل في بلازما الدم بواسطة جسيمات البروتينات الدهنية.. والمستوى الطبيعي للكولسترول (الكلي) بالدم يجب ألا يتجاوز الـ٢٠٠ مليجرام/ديسيلتر. لكن التحليل الكلي لا يقدم نتائج دقيقة عن حالة الجسم وعن حماية القلب؛ لذلك لابد من تحليل الكولسترول إلى أجزائه (LDL-HDL).

د.نبيل الزهار: العناد والاكتئاب والخمول والتوتر.. أبرز الانعكاسات النفسية

تزايد نسب السمنة والوزن الزائد عند الأطفال؛ أي أنه كلما زادت السمنة ارتفعت نسبة الكولسترول.

وتوضح أن الأسلوب الأمثل لمعالجة ارتفاع الكولسترول لدى الأطفال يتمثل في عدد من الخطوات التي يلزم القيام بها معًا؛ الأولى هي اتباع نظام غذائي معين يعتمد على تحسين نوعية الطعام التي يتم تناولها، حيث يجب تقليل تناول الدهون بكمية كبيرة وتقليل النشويات والسكريات، كذلك الأطعمة السريعة كالأطعمة الجاهزة والمشروبات الغازية، وفي الوقت نفسه يجب زيادة الاعتماد على تناول الخضروات الطازجة والفاكهة.

بينما تتمثل الخطوة الثانية في ممارسة الرياضة، ويجب الحرص على الاستمرار في ممارستها وخاصةً أنها تساعد على إذابة الدهون الخطيرة وعلى إنقاص الوزن.

وعن دور العقاقير الدوائية في علاج ارتفاع الكولسترول لدى الأطفال، شدّدت د.لبنى على ضرورة الحرص على عدم إعطائها للأطفال قبل سن البلوغ لمخاطرها على صحتهم، ما لم يتم ذلك تحت إشراف طبي كامل في الحالات الحادة فقط أي في حالات الخطر الشديد.

بدائل غذائية

واتفقت د.عفاف عزت، أستاذ التغذية والكيمياء الحيوية بالمركز القومي للبحوث، مع الرأي السابق، مؤكدةً وجود علاقة بين السمنة وارتفاع نسبة الكولسترول، داعية إلى والإبتعاد عن القشدة والزبد والمكسرات، الابتعاد عن الأطعمة التي تعتمد على تقنيات الطهي والتي تحتوي على كميات كبيرة من الدهون، وفي المقابل يجب زيادة الاعتماد على المصادر الطبيعية للدهون مثل الزيادي والجبن، كذلك استبدال السمن والزبد بزيت الزيتون أو الذرة.

انعكاسات نفسية

وبسبب ارتباط ارتفاع الكولسترول بسمنة الأطفال في أغلب الحالات، يؤثر ذلك في حالتهم النفسية وخاصةً في ظل وجود حالة من التمييز بين الأطفال البدناء والأطفال الطبيعيين، وأيضًا حالة المعايرة بين الأطفال أنفسهم، وبسؤال أستاذ علم النفس التربوي وعضو الجمعية الدولية لدراسة التوتر والقلق، أكد د.نبيل الزهار، على الحالة النفسية للطفل البدين، بأن هناك تأثيرات سلبية للبدانة على نفسية الطفل؛ حيث يعاني ضغوطًا عديدةً تتمثل في رغبة أسرته في إنقاصه وزنه واتباع نظام معين للغذاء أو لممارسة الرياضة؛ لذلك نجد أن هؤلاء الأطفال يتميزون بالعناد والاكتئاب، والخمول، والتوتر الشديد.

وأضاف بأن البدانة تؤثر في ثقة الطفل بنفسه وعلى مفهومه لذاته؛ لذلك تجعل الطفل شديد الانطواء والانعزال ويرفض الاندماج، خوفًا من نظرة نُظرائه في السن إليه.. لذلك من الضروري قيام الأسرة بمساعدة الطفل ودعمه وشرح أسباب البدانة وأنها لا تعتمد عليه فقط بل قد تكون بسبب عوامل وراثية أو أسباب مرضية.

حمية الكولسترول

يسمح الأطباء لمن يعاني الكولسترول بتناول الأسماك، الزيوت النباتية، وعلى الأخص زيت الزيتون وزيت عباد الشمس، وزيت الذرة، وزيت الكتان..وكذا المعكرونة، البطاطس، الأرز، وجميع أنواع الخضار والفواكه عدا الأفوكادو، بالإضافة إلى الحليب خالي الدسم، الشاي، القهوة، الصودا..

بينما يمنعون وينصحون بالإقلال من أكل المواد التالية، لاحتوائها على كميات كبيرة من الكولسترول الضار ومنها: اللحم، الطيور، الوجبات السريعة، السمن، الزبد، البيض، الجبن الدسم، الجمبري والصدفيات والكابوريا.. ويجب ألا تتجاوز الدهون المشبعة المستهلكة نسبة ٧٪ من السعرات الحرارية اليومية، وألا تتجاوز نسبة الكولسترول اليومية ٢٠٠مغ.

صدق الأبناء يبدأ بصدق آبائهم

نعيم السلاموني - كاتب مصري

في الوقت الذي يحاول فيه أولياء الأمور غرس صفة الصدق داخل أبنائهم باعتبارها أسمى قيمة يمكن أن يمتلكها إنسان في هذه الحياة إلا إن الحقيقة الواضحة التي لا ينتبه إليها الكثيرون هي أن الأطفال يتعلمون الصدق إذا هم رأوا الكبار صادقين.

ومن الأسباب التي تؤدي إلى كذب الأطفال:

١- الأبناء يتعلمون قول الصدق من الكبار الموجودين بالمنزل كالوالدين أو الإخوة الكبار المحيطين بهم فإذا كانوا يراعون الصدق في أقوالهم وأعمالهم ووعودهم نشأ الطفل صادقا وكثيرا ما يكذب الطفل تقليدا لوالديه ولمن حوله.

٢- قد يلجأ الطفل إلى الكذب نتيجة سلوك الآباء، فالأم تعاقب الطفل لأي سبب خصوصا أثناء المذاكرة وتوجه إليه أشد العقاب فيخاف الطفل فيكذب.

٣- قد يلجأ بعض الآباء إلى الزج بأبنائهم في مواقف يضطرون فيها إلى الكذب، وهذا أمر لا يتفق مع أصول التربية السليمة كأن يطلب من الابن أن يرد كذبا على السائل عن أبيه تليفونيا بأنه غير موجود.

٤- قد يكون الكذب عند الطفل وسيلة مبررة لديه للحصول على مطالبه دون أن يدرك خطورته وسوءه.

٥- بعض الأطفال يلجأون إلى الكذب نتيجة الشعور بالنقص مثل الطفل الذي يدعي أن والده يعمل في مهنة بعيدة كل البعد عن حقيقة مهنته.

٦- البيئة التي ينشأ فيها الطفل من أسباب الكذب عند الأطفال، فإذا نشأ الطفل في بيت تتصف بالخداع وعدم الصدق فإنه يتعلم الاتجاهات والأساليب نفسها في مواجهة مواقف الحياة.

كيف تشجع الأسرة الأبناء على الصدق؟

١- المنزل هو أساس التنشئة الاجتماعية السليمة للسلوك فإذا نشأ الطفل في بيئة شعارها الصدق قولا وفعلا فإنه ينشأ صادقا وأمينا.

٢- توفير جو المحبة والشعور بالأمن وتوحيد المعاملة بين الأبناء والابتعاد عن القسوة.

٣- تعويد الطفل على الحب والتسامح وإبعاده عن الكراهية والانتقام.

٤- يجب أن تكون النصائح والمواعظ من الآباء وعلى الأب أن يكون قدوة للأطفال.

٥- يجب إثابة الطفل على صدقه وإقراره بالخطأ وذلك أنفع من عقوبته.

٦- التحدث معه عن الصدق وغيره من الأخلاق الطيبة بهدوء وإقناع.

٧- تتجنب الظروف التي تشجع على الكذب وتضطره للدفاع عن نفسه وإذا اعترف الطفل بكذب ينبغي ألا نعاقبه.

٨- إشباع حاجات الطفل بالقدر الذي يتناسب مع إمكانات الأسرة.

٩- الابتعاد عن أسلوب العقاب القاسي والتوبيخ الجارح لأن هذا العقاب كثيرا ما يؤدي إلى ترسيخ العنف عند الأطفال.

١٠- على الأسرة مساعدة الأبناء على قول الحقيقة وامتداح الأطفال على صدقهم وأن يؤخذ الطفل بالرفق واللين.

خلاصة القول

إن الإسلام يوصي أن نغرس الصدق في نفوس أطفالنا حتى يصبح الصدق لديهم أمرا مألوفا في أقوالهم وأفعالهم وللأسرة دور عظيم في نشأة أطفالها نشأة سوية وذلك لا يتأتى إلا في ظل أبوين مؤمنين صادقين فإذا كان الأبوان صادقين في القول وفي السلوك ومع الأطفال ومع الكبار وفي العمل وحتى أثناء الضحك نشأ الأطفال هكذا صادقين مخلصين في كل أمورهم وعكس ذلك إذا كان الوالدان غشاشين ارتضع الأطفال الكذب والغش.

وما أصدق قول الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

فلنصدق دائما في كل أمورنا مع أطفالنا ولنباعد بين ألسنتنا والكذب حتى لا يبادر أبناؤنا بمحاكاتنا في تلك الرذيلة، فكيف تنتهي الطفل عن التدخين والأب يدخن أو تأمره بأن يحافظ على الصلاة والوالد لا يصلي وتعاقبه على الكذب ويرى الأب يكذب.

إن الصدق عظيم الأثر في الأسرة وفي نهضة المجتمع، فأمانة العمل وصدق العامل يفرضان إتقان العمل.. إن كنز الحسنات في الصدق لا يحصى ولا يعد.

يقول تعالى ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ..﴾، (الأحزاب: ٢٤)

﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ (محمد: ٢١).

حيثما توجد الأسرة توجد التربية

جميل الأحمد
كاتب صحافي

لاشك أن التربية أهمُّ عمل يمكن أن يقوم به الإنسان، وهي أسمى الوظائف على الإطلاق، فهي الوظيفة العليا لهذا المخلوق، لأن فيها صناعة الإنسان؛ إذ يُصنع الإنسان في محاضن التربية، فجهد المربي إنما يتجه إلى الإنسان مباشرةً، أما بقية أعمال البشر فإنما تتجه إلى المادة، فالحداد.. والنجار.. والمخترع..-على جلالة أعمالهم - يعالجون المادة ويخدمونها مباشرة، ومن هذه الناحية كانت تربية البشر من أشرف العلوم.

وعندما يقوم المربون والمعلمون بتوجيه الإنسان، فإنهم يصنعون منه مواطنًا صالحًا فاعلاً، ولا يخفى ما في هذا الأمر من خدمة للمجتمع والأمة.

فالتربية نهايةً تصب في التنمية العامة للمجتمع، لذا يمكن اعتبارها مسؤوليةً، وقد أكد النبي ﷺ على معنى المسؤولية في التربية فقال: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته..».

أولادنا أشطار قلوبنا، وفلذات أكبادنا، ورياحين دنيانا، وثمرات حياتنا، بهم تحيا المنازل وتعمر الدور، وتغمر جوانبها الغبطة والسرور، وهم أينما كانوا قرة عين للآباء، كل جهد في سبيلهم محبب، وكل عناء في تحصيل أرزاقهم يطيب ويعّذب، نُسهر لينامواً في رضىً واستبشار، ونجوع ليشبعوا ما تعاقب الليل والنهار، ونحوطهم من مزالق الحياة بالمهج والأرواح لأن حياتهم امتداد لحياتنا، ولأنهم حماة أمجادنا، وحَملة أسمائنا من بعدنا والأولاد وإن كانوا فتنة كما ورد في الأثر «الولد مبخلة مجبنة مجهلة محزنة»، فإن رعايتهم لُلون من أزكى ألوان الطاعة، فلقد سأل موسى ربه: أيُّ الأعمال أحب إليك؟ قال: «ألطاف الصبيان فإنهم فطرتي، وإذا ماتوا أدخلتهم جنتي» ونحن بخير ما تخلقنا بأخلاق الله، فقد وسع فضلهُ البر والفاجر، والمؤمن والكافر، والطائع والغادر، فنشرنا ألوية التعاطف فوق رؤوس ذرارينا، مؤدين حق الإنسانية التي وثّق الله بنا عراها.

إن الأبناء ودائع ينبغي أن تُرعى، وأمانات

لا يُشتغل بملاذه وشهواته عنها، إلا من فسدت فطرته، وخف دينه، واستوجب الجحود في خريف الحياة، حين يتطاول إلى بر الأبناء وهيهات، وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد الذي يقول: «رحم الله والدًا أعان ولده على بره» (١) (إن الأبوة والأمومة هما أعظم تبعة تقع على كاهل الإنسان)(٢) وأبعد الناس عن شرف الأبوة هؤلاء الذين يتصل ترددهم بين أعمالهم ومقاهيهم، فلا يُلِمُّون ببيتهم إلا حين تصرخ بهم بطونهم، أو يُلِحُّ عليهم نوم ثقيل، دون أن يشرفوا على تصرفات الأبناء فيشدوا أزر العامل، ويشحذوا همة الخامل.

وأبعد الناس عن شرف الأمومة، هذه التي تضيق بالبيت ذرعاً، وهو مهبط رحمة الله ورضاه فتسرف في زيارات لا تتعلق بها فائدة، ولا تدعوا إليها ضرورة، وأين هؤلاء من الأجر الذي جعله الرسول ﷺ للعاكف في بيته، على تربية أولاده، وإعدادهم للغد الطيب بقدر أجر العاكف في المسجد؟

والرسول ﷺ في هذا الجانب من حياته، كما هو في شتى جوانبه، عظيم حقاً.

(لقد كانت فاطمة تدخل عليه، فيقوم لها، ويأخذ بيدها، ويقبلها، ويجلسها في محله)(٣)، (وكان إذا أراد سفرًا، جعلها آخر العهد به، ثم صلى ركعتين، ومضى فإذا قدم من سفر، جعلها أول العهد به، بعد أن يبدأ بالمسجد فيصلي ركعتين)(٤)، وكان يحمل بنت زينب، وهو يصلي الفريضة، فإذا سجد وضعها، وإذا قام رفعها.(٥)

وحدثت الصديقة بنت الصديق، «أنه أهديت لرسول الله ﷺ هدية، فيها قلادة من جزع، فقال لأهدينّها إلى أحب أهلي إلي، فقالت النساء:ذهبت بها ابنة أبي قحافة، ودهشوا حين دعا الرسول أمامة فعلق القلادة في عنقها» والرسول ﷺ بذلك يعلي من قدر الأنثى التي ظلت مقهورة مظلومة عبر الأجيال، تختلف الأنظار في مجرد إنسانيتها، حتى جاء الإسلام فأكد عزتها وانحنى باللائمة على الذين كانوا يوئدون البنات خوف العار، وقرنها في التكاليف الإلهية بأخيها الرجل!

قال شداد بن الهاد: «سجد رسول الله ﷺ سجدةً أطالها، فقال الناس عند انقضاء الصلاة يا رسول الله، إنك سجدت بين صلاتك سجدة أطلتها، حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه أتاك وحي فقال -عليه السلام- كل ذلك لم يكن، ولكن ابني هذا - الحسن والحسين - ارتجلني، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»(٦).

أين مقررات علوم النفس والتربية، مما ترك سلفنا، من صور التوجيه الصحيح، في مثل قولهم «لاعب ولدك سبعاً وأدبه سبعاً وصاحبه سبعاً ثم أترك حبله على غاربة» إن الشر لن يخلص إلى ناشئتنا إن نحن وهبناهم من ذات أنفسنا هذا الاهتمام، والعود غضّ طريٌ والنفوس قابلة للتشكيل!

وخذوا مجيد الخلائق من تراث الرسول، فقلدوا بها أعناق بنيكم، وزينوا بها نفوسهم، فهي أجدى عليهم من المال المكنوز، الذي يبدده الحمقى في يوم أو بعض يوم، ثم تبقي عليهم حسرات الجهالة، وسوء التربية ما بقوا، وقد قال الرسول صلوات الله عليه «من حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه وأدبه وكنيته، وأن يعفه إذا بلغ، وأن يعلمه كتاب الله والسباحة والرمي» وقد قرأ النبي قول الله تعالى ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾(الأنفال: ٦٠) ثم قال «إلا إن القوة الرمي، إلا إن القوة الرمي، إلا إن القوة الرمي» وسابق النبي عائشة، وصارع ركانة- مصارع قريش- وأمر عمر أن لا يمنع أهل الحبشة وهم يلعبون بحرابهم عند النبي، ورأى نفرًا من (أسلم) ينتضلون فقال: ارموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا، ارموا، وأنا مع بني فلان، فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال لهم الرسول: ما لكم لا ترمون؟ قالوا كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال: ارموا وأنا معكم جميعاً».

ألا ترى الدستور النبوي الحافل بأسباب العزة؟! وماذا وراء الإسم الكريم والكنية الطيبة، والأدب الصحيح، ومبادرة الزواج عند اكتمال الشباب، ونضج الغريزة، وإمكان النهوض بتكاليف الأسرة الجديدة؟!

ولم يهمل الرسول الرياضة الروحية في هذه المرحلة التي يواجه فيها المراهق انفعالات شتى، ولكنه جعلها على قدم واحدةً مع الرياضة البدنية التي ضرَّب بنفسه فيها المثل، وجعل السباحة والرمي، رمزًا لما وراءهما من الرياضات الرفيعة، التي لا تهذب- وحدها- الأرواح، ولا تكبح الجماح، ولا تثمر ما ترجو من صلاح، حتى يتندى عليها قطر كريم من كتاب الله وسنة رسوله، وأمثلة القدوة الطيبة في سلفنا الكريم، و«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» وقد مدحت ابنة الشيخ الكبير موسى عليه السلام بقوة البدن وقوة الروح فقالت ما حكى الله عنها ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾(القصص: ٢٦) حب الأبناء حق الإنسانية، ودين الأجداد عند الأحفاد، وهو سمة الأنبياء، وحلية المتقين يقول النبي ﷺ «من كن له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن- أي شقاءهن- وضرائهن- ما يسببنه من هموم ومتاعب- وسرائهن، ادخله الله الجنة برحمته إياهن، فقال رجل: واثنتان يا رسول الله؟ قال واثنتان قال الرجل يا رسول الله وواحدة؟ قال وواحدة»(٧).

وقالت عائشة «دخلت علي إمرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئًا، غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته فقال: (من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن، كن له سترًا من النار»(٨)

الهوامش:

١- الجامع الصغير ج ٢ ص ٢.
٢- كرسي موريسون: العلم يدعو للإيمان ص١٤٤ترجمة الفلكي.
٣- البخاري في الأدب المفرد.
٤- المصدر نفسه.
٥- البخاري ج ٨ ص ٧
٦- المجازات النبوية ص ٢٨٨.
٧- كشف الغمة ج٢ ص ٨٩.
٨- المنذري ج٣ ص ٦٨ - ٦٩.

ظاهرة العنف عند الأطفال

د. عبدالله رمضاني - أكاديمي مغربي

الأصل في الأطفال الفطرة والبراءة، ولكن استعداد الإنسان لقبول الطباع السيئة قد يجعل من السلوك العدواني في أسوأ حالاته قنبلة موقوتة إذا حان أوان انفجارها تضررت الأسر الآمنة.

وسلوك العنف هو هجوم ليس له مبرر وفيه ضرر للنفس أو الناس أو الممتلكات والبيئة والطبيعة وقد يكون العنف لفظيًا أو عمليًا.

ومما يؤسف له، أننا أصبحنا نلحظ أن هذا السلوك الغريب قد استشرى بين صفوف الأطفال في مختلف سنوات أعمارهم سواء داخل البيت أو خارجه.. ولعل هذا ما جعلنا نتوقف عند هذه الظاهرة السلبية وغير الصحية محاولين تلمس أسبابها ودوافعها، وفي الوقت نفسه، باذلين جهدنا لإيجاد بعض الوسائل القمينة لعلاج هذه الظاهرة الخطيرة.

مفهوم العنف

العنف لغة ضد الرفق ويراد به الشدة

والخرق. قال ابن منظور في لسان العرب حول تعريف العنف: الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق. يقال عنف به وعليه يعنف عنفا وعنافة وأعنفه وعنّفه تعنيفا، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره..

وأما العنف اصطلاحًا: فقد نجده يختلف باختلاف التخصصات، فلدى علماء النفس والاجتماع يختلف تعريف العنف عنه لدى علماء السياسة والقانون وعلم الإجرام والانثربولوجي، لذا فهو مقرون بالوضعية والظروف المحيطة به.

ويُعرف مصطلح العنف من الناحية النفسية بأنه: السلوك المشوب بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه، وهو عادة سلوك بعيد عن التحضر والتمدن، تستثمر فيه الدوافع والطاقات العدوانية استثمارًا صريحًا بدنيًا كالضرب والقتل والتكسير والتدمير للممتلكات واستخدام القوة لإكراه الخصم وقهره.

ومن الناحية القانونية يُعرّف مصطلح العنف بأنه: سلوك يصدره الفرد بهدف إلحاق الأذى أو الضرر بفرد آخر يحاول أن يتجنب هذا الإيذاء سواءً كان بدنيًا أو لفظيًا تم بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ماديًا أو معنويًا.

وتشير الموسوعة العلمية (Universals) أن مفهوم العنف يعني كل فعل يمارس من طرف جماعة أو فرد ضد أفراد آخرين عن طريق التعنيف قولًا أو فعلًا، وهو فعل عنيف يجسد القوة المادية من خلال ممارسة القوة الجسدية بالضرب والقتل، أو يجسم القوة المعنوية من خلال تعمد الإهانة المعنوية لشخص ما بالسباب أو التجريح أو الإهانة.

بينما يؤكد قاموس راندوم هاوس (Hause dictionary Random) أن مفهوم العنف يتضمن ثلاث مفاهيم فرعية هي: الشدة والإيذاء والقوة المادية.

وعليه، يمكن تعريف العنف بأنه: كل تصرف يؤدي إلى إلحاق الأذى بالآخرين، وسواء كان هذا العنف جسديًا أو نفسيًا، ولا فرق في ذلك بين أن يكون فعل العنف والإيذاء على المستوى الفردي أو المستوى الجماعي، وهو سلوك إيذائي مدمر، قوامه ومرتكزه إنكار الآخر ورفضه وعدم احترامه.

دوافع العنف

تؤكد الدراسات النفسية والاجتماعية الحديثة أن هناك أمورًا تنمي وتدفع بهذا الطفل للقيام بهذه التصرفات الغريبة وغير الطبيعية التي تجمع تحت عنوان العنف عند الأطفال. ولعل من أبرز هذه الدوافع ما يلي:

١- البيت:

يأتي البيت في مقدمة الأسباب التي أدت إلى بروز هذه الظاهرة في المجتمع، فالطفل الذي ينشأ في جو أسري يسوده الصراع والفوضى، وعدم الأمان، وافتقاد الحب، وعدم الاستقرار والتفاهم، ومعاملة الطفل على أساس أنه راشد معزول عن المشاعر والأحاسيس، فهو أبدًا لا يعرف أي شيء، ويخضع دائما لخطاب عمودي، واقع تحت سلطة أبوية قاهرة غير متفهمة ومستوعبة لحاجياته النفسية والاجتماعية، رأيه مرفوض ابتداء، أفكاره لا تسمع، اقتراحاته منبوذة سلفا، موقفه تبعي فقط، يُمنع دائمًا من التعبير عن غضبه، محبط ومكبوت، واحتياجاته لم تشبع حبًا ورعاية وفهمًا، وفي بعض الأحيان يشعر بعدم المساواة في المعاملة بين إخوته وتقسيم الاهتمام والحب بينهم.. لم يعد الطفل في ظل هذا الجو الأسري البغيض إليه إلا خشبة مسندة.. ترى كيف سيصبح الطفل فيما بعد؟ كل ذلك سيختمر في نفسه ووجدانه، وسيتحول بعد ذلك إلى كائن عدواني، يجد لنفسه العزاء في ذلك، ويفرغ فيه كل مكبوتاته النفسية والاجتماعية.

٢- المؤسسات التربوية والتعليمية:

يلتحق الطفل بالمدرسة ومعه حصيلة من المفردات الجديدة التي استقاها من البيت، ثم يدخل فضاءً جديدًا لم يعهده من قبل.. داخل هذا الفضاء الجديد تراه يعامل معاملة لا تستجيب وتكوينه الذهني والبيولوجي والنفسي الفتي، فالأسلوب التربوي الذي يمارسه المدرس أو المربي يتسم بالغلظة والقسوة، وأحيانًا يلجأ إلى استعمال ألفاظ هجينة ومفردات تجريحية تنال من ذاتية الطفل، وقد يتعدى الأمر إلى الضرب لأبسط وأتفه الأشياء.. لم يكن الطفل يتوقع أن هذا الأسلوب التربوي العنيف سيصاحبه حتى هذا الفضاء، إذ لدينا من المدرسين والمربين الذين مازالوا يعتقدون أن العنف وفرض الهيمنة والسلطة هو الكفيل الوحيد

بتقويم الاعوجاج السلوكي والفكري لدى الطفل، ففي نظرهم أن الطفل في مراحله الأولى يجب أخذه بشدة وقوة حتى لا يتهاون فينكسر عوده، وتثبط عزيمته، ويتحول إلى عضو سلبي في المجتمع.

في خضم هذا الجو التربوي القاتم تتلقح بذرة العنف في نفسية الطفل، وتبدأ في التفتح والنمو، وتصبح له قابلية كبيرة إلى تحويل هذا السلوك غير التربوي إلى ممارسة عدوانية تعكسها تصرفات وأنماط سلوكه، وعلى إعادة إنتاج السلوك نفسه في حياته العامة، فيصبح العنف بالنسبة له حينئذ هو المرادف الطبيعي للشخصية الفاعلة والوازنة في المجتمع، فممارسة العنف تعني بشكل أوتوماتيكي إثبات الذات وتقرير وجودها، وهذا في تقدير علماء التربية وعلم النفس استنتاج خطير يتوصل إليه الطفل، وهو إن تمكن منه يصير في ضوئه كائنًا عدوانيًا في أبشع صورة.

٣- الإعلام:

ونقتصر هنا على القنوات الفضائية ودورها في تكريس هذه الظاهرة لدى الأطفال.

تشكل القنوات الفضائية وسيلة خطيرة للتثقيف والإعلام والترفيه، ولا تحتل هذه المنزلة بالنسبة للكبار فحسب، بل إنها تحتلها في المقام الأول بالنسبة للأطفال أيضًا، فإن مشاهدتها عبر جهاز التلفاز لدى الطفل نوع من السلوك يستغرق فيه لإرضاء حاجاته النفسية، ويجد فيها ما يعينه على الهرب من الصراع النفسي والشعور بالفشل الذي يحس به في عالم الواقع، أو ربما يجد في برامجه بعض العون أو فكرة صائبة لحل مشاكله.

إن ما تعرضه القنوات الفضائية في وقتنا الحاضر من برامج ومواد إعلامية مختلفة، أفلام ومسلسلات حتى بعض الإنتاجات الإعلامية التي تكون معدة للأطفال شكل خاص لا تخلو كلها من فيروس العنف، وقد يكون لذلك تأثير سلبي في حياة أطفالنا، إذ من المحتمل أن يختاروا من البرامج والتمثيليات وأفلام المغامرات وغيرها كثيرًا من قصص الجريمة، وبالتالي قد يتعلم الأطفال الجريمة والعنف من القصص المثيرة، ويكون لهم استعداد أكثر من غيرهم للقيام بأعمال العنف الجسمانية، كالضرب والركل، وأن يعبروا عن مشاعرهم بصراحة، ويفضلون تقمص الشخصيات الناجحة التي يرونها في الخيال، ويميلون إلى تقليدها سواء كانت شريرة أو تعمل في جانب الخير.

إن بعض الأطفال الصغار، وقليل من الكبار، يخلطون بين عالم الواقع وعالم الخيال، ويقلدون الأعمال العدائية التي يرونها على الشاشة في تصرفاتهم العادية في الحياة، وكثيرة هي الحالات التي أدت بالأطفال لإيذاء أنفسهم، بل تطور الأمر في بعض الحالات إلى فقدان الحياة، كما حدث بإحدى المدن المغربية من جريمة قتل قام بها ثلاثة أطفال قاصرين، وقد روع هذا الحادث الخطير أهالي المدينة وسائر المدن.. إذ أقدم ثلاثة أطفال صغار على تشخيص تمثيلية، يقوم أحدهم بدور القاضي، والثاني بدور المدعي العام، والأخير تقمص دور المتهم، وتداولت المحكمة الافتراضية قضية المتهم، فحكمت عليه بالإعدام شنقا، وبالتالي ما كان عليهم إلا أن ينفذوا الحكم، وكان الحادث المفجع، فرأوا الطفل المتهم معلقا على غصن شجرة، ظن الطفلان أنه يقوم بتمويه الموقف فحسب، لكن لما حركوه وجدوه ميتًا حقًا، ففروا ذعرًا لما رأوا. وكما حدث أيضا في مصر حيث قام أحد الأطفال بتقليد شخصية «سوبرمان» ثم قفز من الطابق التاسع ليفقد حياته.

انظر كيف تحولت اللعبة إلى جريمة قتل لدى الأطفال! من أين لهم هذا السلوك العدواني لو لم يروا مثله على إحدى القنوات الفضائية؟!

والغريب في الأمر أن القنوات المخصصة للأطفال لم تسلم من هذا الداء العضال، إذ الطفل لم يعد يرى إلا أجسادًا صرعى، وحمامات من الدماء، هنا وهناك، وترسخ في أذهان الأطفال مفهوم «القوة للأقوى»، وإذا نظرنا نظرة متفحصة إلى الرسوم المتحركة المقدمة لأطفالنا، مثلا، نستطيع اكتشاف تقصيرنا الكبير في استخدام هذا الفن الخطير؛ فمعظم أفلام الكرتون والصور المتحركة المقدمة لأطفالنا أفلام أميركية أو غربية الصنع والهوية، وصممت لأطفال غير أطفالنا، وبعقلية غير عقليتهم، وتشجع عادات وأخلاقًا تتنافى مع أخلاقنا.

إن الطفل، كما يرى علماء النفس، يستشعر بحكم تكوينه الجسماني والعقلي أنه ضعيف وصغير، ولديه قدرة محدودة على التحكم بالبيئة الخارجية؛ لذا فهو يستمتع، ويشبع رغبته، ويطلق لخياله العنان في الحصول على هذه القوة من خلال التوحد اللاشعوري بما يشاهده من النماذج الشخصية التي تعكس مظاهر القوة البدنية والعقلية للبطل الذي لابد أن ينتصر على الآخرين.

فأي نشء نريد أن نربي ونكوّن ونبني أمام هذا المشهد الرهيب؟

٤- المجتمع:

يعتبر المجتمع نموذجا مكبرا للبيت، فإذا كانت الأسرة تهمل تربية أبنائها وأطفالها، ولا تعترف بحق طفولتهم، وتقسو عليهم، وتغلظ في معاملتهم، فإذا كان الأمر كذلك، هل سيكون المجتمع أرحم عليهم من بيوتهم وآبائهم وأمهاتهم، إن المجتمع سيعمل على تكريس الوضع، وسيرسخ ظواهره السلبية، وربما قد يزيد الطين بلة، فيأتي بألوان أخرى جديدة من العدوانية.

وفي هذا السياق، يلاحظ أن شوارعنا العربية والإسلامية قد تسربت إليها أنماط سلوكية غريبة وغير مألوفة، فعششت فيها وأفرخت، وأصبحنا نرى أطفالنا يقتفون، بوعي أو بغير وعي، أثرها إذ أصبحت في نظرهم تمثل عنصرًا أساسيًا في تكوين شخصيتهم، وإثبات ذواتهم، فالكبار يقدمون لهم دروسًا في الشتم والسب والمطاحنة والخصومة والصراع والضرب والتحقير والسخرية والهمز والنبذ، وكل أنواع الملاسنة البذيئة والممارسة الدنيئة.

في ظل هذا الجو المكفهر، ترى كيف سينجو الطفل من براثن هذه النزعة العدائية والعدوانية؟

إن هذه النزعة المرضية تتخلق شيئا فشيئا عند الطفل، بعد ذلك تصير لديه عادة، ثم يبدأ يرى كل من حوله يكنّ له العداء والضغينة، ويتوعده شرًا وأذى، لذا يصبح لزامًا عليه أن يردّ عليهم بجنس العمل أو أكثر، وأن يكشر عن أنيابه استعدادا للانقضاض عليهم قبل أن يفتكوا به افتراضا منه.

لقد تحولت براءة نفس الطفل إلى لظى مستعرة تأتي على الأخضر واليابس، وهذا ما يحزّ في صدورنا أن نرى أطفالنا فلذات أكبادنا على هذه الشاكلة، وعلى هذه الحالة، إنها حالة مأساوية مزرية تنذر بالخطر الهالك.

بعض الحلول المقترحة

لعلاج هذه الظاهرة السلبية لابد لنا من محاصرتها أولا، ثم يسهم الجميع، بنية صادقة وكلّ حسب موقعه، في وضع مخططات وبرامج تربوية وتعليمية واجتماعية وإعلامية وسياسية تستهدف هذه الظاهرة، كما يجب أن تتوافر إرادة سياسية تدعم وتقوي عضد هذه المخططات والبرامج الإصلاحية حتى تعطي ثمارها، وتؤتي أكلها.

فإذا أعددنا لهؤلاء الأطفال منبتًا طيبًا، وبيتًا طاهرًا وفاضلًا ومتفهمًا وواعيًا، ومتحليًا بالأخلاق الحميدة والقدوة الحسنة، وأعددنا لهم مؤسسات تعليمية وتربوية رائدة تشتمل على أطر ذات كفاءة علمية وخلقية، وجعلنا شوارعنا تعمها الفضيلة، ويسودها السلام، وأسهمنا في بناء مجتمع يقوم على مكارم الأخلاق، تسود بين أفراده روح التعاون والتضامن، وتربطهم جميعا أواصر الحنفية السمحة، وننتقي لهم قنوات فضائية هادفة وبناءة تسهم في إرساء دعائم الأخلاق، وتهذب طباعهم، وتصقل أرواحهم، وتحبب لهم كل أسباب الخير، وتجعلهم يمقتون كل دواعي الشر، وتغرس في قلوبهم ما يقوي حبهم للآخرين، وما يمنعهم من التطاول والاعتداء على حقوق أمثالهم أو غيرهم.. إذا هيأنا لهم هذا كله- أي ثقافة مناقضة ثقافة العنف- فإننا سنفلح في تحصين أطفالنا وحمايتهم من كل الظواهر السلبية السافلة، ويكونون خير خلف لخير سلف.

إن القضاء على هذه الظاهرة، ظاهرة العنف، رهينة بتسخير كل الوسائل المتاحة، وإشراك كل الفاعلين التربويين والاجتماعيين وكل مؤسسات المجتمع المدني أفرادًا وجماعات، مع وجود إرادة سياسية غيورة وحريصة على براءة الأطفال باعتبارهم رجال الغد وأمل المستقبل، لأن سلامة أطفالنا عقليًا ونفسيًا وجسديًا وسلوكيًا تعني سلامة وصحة مجتمعنا وأمتنا، ولن نجني الثمار إذا لم نحافظ على النبتة ونرعاها في مراحلها الأولى، ولن يصلح آخر هذا الأمر إلا إذا صلح أوله.

الاكتئاب التفاعلي.. داء المجتمعات العربية

بشرى شاكر
إعلامية مغربية

الاكتئاب حالة نفسية دارجة ومعروفة في عصرنا هذا على الخصوص، غالبًا ما تكون نتيجة عدة عوامل اجتماعية محيطة وقد تبدأ بالشعور بالإحباط أو الفشل أو الحزن لأمر ما، وأحيانا لا نستطيع التعرف على بدايتها إذ إنها تبدو في شكل أعراض قد تصيب أيًّا كان مثل صداع الرأس، آلام الظهر، آلام الأمعاء، وحينما لا يكون هناك أي سبب عضوي لمثل هذه الأعراض فيكون ذلك عبارة عن ناقوس خطر يهدد الجهاز النفسي للإنسان، وقد تكون إشارات التعرض للاكتئاب والذي إذا لم يعالج ولم تتغير ظروف حدوثه قد يتحول لمشكلة كبرى- أي إلى اكتئاب مرضي.

الاكتئاب مرض بدأ يجتاح مجتمعاتنا ومن المتوقع حسب دراسة علمية أجراها المرصد الصحي بفرنسا في المعهد الوطني للوقاية والتربية الصحية Inpes أن يصبح هذا المرض رقم اثنين في الأمراض الأكثر تعجيزًا سنة ٢٠٢٠.

لعل عوامل الحياة العصرية أو ما نسميه الآن بعصر السرعة والتكنولوجيا، كلها

تؤثر في الإنسان فتجعله مهددًا ومعرضًا للوقوع في حالات اكتئاب، وليس هناك من لم يمر بحالة اكتئاب ولو بسيطة ولأكثر من مرة في عصرنا الراهن.
إن الجهاز النفسي يملك وسائل دفاعية يدافع بها عن نفسه ولكن حينما تجتمع عوامل محيطة أكبر مما يمكن استيعابها وتشتد الأزمات والمؤثرات الخارجية فإن هذه الوسائل الدفاعية تفشل في التفاعل معها، وبالتالي يتأرجح الإنسان بين إحباط قد يتجاوزه وبين دخوله في حالة اكتئاب تفاعلي، وهنا أيضا يختلف الأمر من شخص إلى آخر..
هذا الاكتئاب التفاعلي قد يكون نتيجة ضغوط نفسية واجتماعية وعاطفية أو مادية، وغالبًا ما يكون نتيجة ضغط نفسي قد يبدو لنا صغيرًا وغير مؤذ، ولكنه يكون سبب دخول الشخص في اكتئاب تفاعلي، لكون هذا الضغط أصبح مستمرًا وامتد لوقت طويل ولم يخرج منه هذا الشخص بنتيجة، ويمكن أن يكون هناك ضغط قوي ولكنه عارض ويسبب حالة إحباط واكتئاب مرحلية تنتهي بانتهاء الظرف المحيط...
عمومًا فإن الاكتئاب التفاعلي يكون عبارة عن ردة فعل نفسي لحدث معين، وقد يكون أول مراحل الاكتئاب المرضي إذا لم يعالج، وأهم أسبابه الفشل في الزواج والانفصال والمشاكل الأسرية، والمشاكل في العمل من فقدان وظيفة أو ضغوط كثيرة، أو وفاة شخص مقرب...
وإن كان هناك أسباب قد تبدو مشتركة بين كل المجتمعات إلا أن الإحصائيات تقول إن الاكتئاب التفاعلي أكبر بكثير في المجتمعات العربية، ويعزى ذلك لأسباب عدة، أولها البطالة والشعور بعدم القدرة على تحقيق الذات، فقدان وظيفة أو عدم الاكتفاء ماديًا ومعنويًا بما تدره من ربح والإحساس بالتقليل من شأن الشخص ودوره، وأيضا ارتفاع نسبة الطلاق والانفصال في مجتمعاتنا العربية بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة، ناهيك عن المشاكل الأسرية والخلافات التي للأسف لا ترقى لتعاليم ديننا الحنيف في شيء.
كما يقول بعض أخصائيو الطب النفسي أن المجتمعات العربية تكون أكثر عرضة للاكتئاب عمومًا لكونها بنظرهم مصابة بنوع من الرهاب الاجتماعي، بحيث إن هذا الاضطراب يكون سببه التربية والتنشئة غير السليمة، إذ يربى الطفل على الصمت والخوف وعدم المشاركة في قرار أو حوار، بل إن هناك من يستعمل الدين كوسيلة للترهيب عوض الترغيب، فيكبر الطفل وهو يعاني من هذا النوع من الرهاب، وينتج عن ذلك أن العديد من الأشخاص لا يتأقلمون مع المجتمع بسهولة، والرهاب الاجتماعي هو مرض عصابي مثله مثل الخوف والوسواس القهري، وكلها أمراض تؤدي إلى الاكتئاب بجميع أنواعه.
ويقول بعض المحللين أيضا إن الحالة الاقتصادية والاجتماعية الهشة لغالبية المجتمعات العربية هي سبب رئيسي في الشعور بحالات الاكتئاب التفاعلية خاصة مع زيادة نسبة التوتر والقلق من المستقبل ومن الحياة ككل لدى الأشخاص.. فلدى النساء، تشكل مشكلة العنوسة ونظرة المجتمع للمرأة العربية غير المتزوجة سببًا رئيسيًا في شعورها بالإحباط والاكتئاب، إذ إن ذلك يكون نتيجة رد فعل لما يسقطه عليها المجتمع كمعاملة سواء بشكل مباشر أو بالتلميح... هذا الأمر يختلف في البلدان الأوروبية، فالعنوسة قد تعتبر أمرًا غير محبذ ولكنها لا تصل حد المعاناة أو تتعرض المرأة للسؤال عن سببها أو يتصرف معها حسب وضعيتها الاجتماعية، بل إنها تعوض عن وحدتها بالعمل والدراسة، وتعد بالنسبة لها مرحلة مثل غيرها، وهو ما يجعل المرأة التي لم تتزوج في البلدان العربية وتعدت متوسط سن الزواج تكون أكثر عرضة للاكتئاب التفاعلي من النساء في أوروبا مثلا.
كما أن جل المواطنين في الدول العربية، يركزون أكثر على كسب قوتهم ورزق عائلاتهم، فإما لا يبالون بالترفيه وممارسة الرياضة وإما لا يستطيعون لذلك سبيلا بسبب قصر ذات اليد، بينما في الدول الأخرى لا تعد الرياضة وسيلة ترفيهية فقط، وإنما تكون حافزا للسيطرة على المشاعر السلبية وعلى معدل التوتر والتخلص من مخلفات الأرق والإعياء في العمل، فيصبح الإنسان أكثر إقبالاً على الحياة وأكثر نشاطًا لأداء وظيفته المهنية والاجتماعية عمومًا، بينما المواطن العربي في جل بلداننا والذي يكتفي بالعمل فقط، لا يجد متنفسًا لحالته النفسية، فيصبح بمنزلة قارورة تملأ ويحكم إقفالها، فتغدو مهددة بالانفجار في أي وقت.
من بين الأسباب أيضا التي جعلت المواطن العربي الآن أكثر عرضة لهذا النوع من الاكتئاب، تفاعله مع ما يجري حاليًا من أحداث وثورات في العالم العربي، بحيث بات الوطن العربي مسرحًا مهولاً للقتل والمجازر والتظاهرات وهي الأشياء التي لا تؤثر فقط على من يعيشها بشكل مباشر وإنما أيضًا على من يتلقاها من خلال القنوات التلفزيونية وبشكل مستمر، بحيث يدخل فيما نسميه اضطرابات الصدمات، وهو الأمر الذي يؤدي أيضا لزيادة الخوف من المستقبل وارتفاع الوساوس نتيجة عدم الشعور بالأمان وبالتالي إلى ظهور عوارض الاكتئاب.
وختاما، نبرز بعض أعراض الاكتئاب التفاعلي والتي على الشخص إن أحس بها بدون سبب فسيولوجي أن ينتبه إلى أنه قد يكون اكتئابًا تفاعليًا لشيء يحيط به وعليه أن يتدارك الأمر ومن معه لمساعدته على تجاوز سبب ما يحصل معه.
هذه الأعراض، هي الأرق وعدم القدرة على النوم، أو بالعكس صعوبة الاستيقاظ من النوم والإحساس بالرغبة في عدم مغادرة الفراش، سرعة رد الفعل والعصبية، الإحساس بالتعب والوهن وصداع الرأس وفقدان التركيز وأيضا الإحساس بآلام في المفاصل وخاصة الظهر، وانتفاخ الأمعاء والإمساك المزمن حتى مع نظام غذائي جيد وكذلك الشعور بالحزن والإحباط.

أسد بن الفرات

فاتح جزيرة صقلية

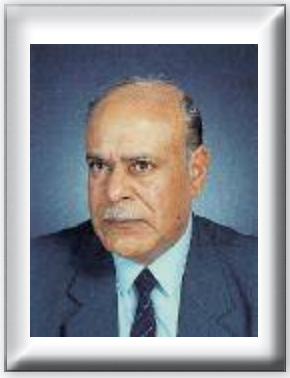

د. رفيق حسن الحليمي
كاتب وأكاديمي فلسطيني

تعد جزيرة صقلية كبرى جزر البحر الأبيض المتوسط، وأكثرها سكانًا، مساحتها ٢٥٨١٥كم، تبعد عن شمال إفريقيا (تونس) ١٦٥كم، عاصمتها بالرمو، وهي تابعة لإيطاليا منذ الحرب العالمية الثانية، وتتمتع بالحكم الذاتي، تنازعتها منذ القدم قوى خارجية لأهمية موقعها الاستراتيجي، وقد خضعت تاريخيًا للفنيقيين ثم القرطاجيين فالإغريق ثم الرومان، وغزاها البرابرة، ثم انتقلت إلى البيزنطيين، ثم خضعت لحكم المسلمين حوالي ٢٦٤ سنة إلى أن سقطت في أيدي النورمان سنة ١٠٩٠م على يد روجر الأول.

تعد الحديقة الكبرى لإيطاليا منذ القدم، فقد كان يخرج منها- كل عام مرتين- أسطولان محملان بمئات القناطير من القمح والفواكه والخضراوات والجلود المدبوغة باللون الأرجواني، والحرير اللازوردي والمواد الصوفية (١)، كانت الجزيرة تضم خليطًا من الأجناس أهم عناصره الإغريق والطليان وإلى جانبهم جماعات لهم، إلى جانب جاليات من المنفيين المذنبين والمجرمين والعساكر المتمردين، وامتلأت بقطعان العبيد والأسرى، وصغار الملاك الذين عجزوا عن الفلاحة، لما بهظتهم الضرائب، فهربوا من إيطاليا إليها، ودفعوا حريتهم ثمنًا لذلك (٢).

الفتح الإسلامي للجزيرة

فكر المسلمون في فتح الجزيرة وضمها إلى دار الخلافة كما هي الحال لكثير من المناطق التي كانت خاضعة للإمبراطورية الرومانية، فقد قام المسلمون بغزوات عدة لها «غير أنه لم يثبت لهم قدم فيها، ولم تكن تلك الغزوات من أجل الغنيمة دائمًا» (٣)، إذ كان يحركهم دافع أسمى وهو الجهاد في سبيل الله، ولتأمين المسار البحري من جهة الشمال، حيث مركز الإمبراطورية الرومانية في روما التي تضمر العداء للفاتحين، والتي بدأت تستشعر منذ طلائع الفتوحات الخطر الداهم الذي استحوذ على مناطق متعددة من نفوذها (سورية- مصر - شمال إفريقيا- بلاد الأندلس).

فيروى أنه في عام ١٢٢هـ نزل حبيب بن أبي عبيدة، حفيد عقبة بن نافع فاتح إفريقيا أرض صقلية، ومعه ابنه عبدالرحمن، وفي نيته أن يمضي قدمًا في الفتح حتى يستولي علي الجزيرة كلها ، غير أن ثورة في إفريقيا شغلته عن غايته واضطرته إلى العودة لإخماد تلك الثورة، وقد كان من آثار تلك الغزاة أنها نبهت الروم إلى ناقوس الخطر الذي بدأ يقرع قريبًا من أسماعهم، فجعلتهم يتخذون من صقلية قاعدة حربية لحماية الإمبراطورية عند حدودها الجنوبية فعمروا فيه الحصون والمعاقل، وصاروا يخرجون مراكب تطوف بالجزيرة، وهي أمور زادت من صعوبة فتح الجزيرة، وربما صادفوا تجارًا من المسلمين فأخذوهم أسارى (٤).

قيل إن رجلًا من سكان الجزيرة اسمه «فيمي» لجأ إلى بني الأغلب في القيروان يستنجدهم لرد اعتباره وشرفه، فكان ذلك سببًا في غزو الجزيرة، غير أني لا أطمئن كثيرًا لصحة هذا الرأي، لأنه يختزل جهاد المسلمين في مجرد نجدة رجل ظلمه قومه بسبب الاعتداء عليه أو على زوجته، وهو خبر يرويه هو نفسه، ولا دليل معه عليه، فشهادته مجروحة، فضلا عن أن المسلمين كانوا حريصين على تأمين حدود دار الخلافة الفتية، من كل جانب يستشعرون منه الخطر، ولم تكن آنذاك قد وهنت عزائمهم ولم تدب في صفوفهم النزاعات كما هي الحال في أواخر عهدهم في بلاد الأندلس، حيث المؤامرات والنزاعات وملوك الطوائف.

ومما يذكر أنه كان بين صقلية وإفريقيا هدنة لم تنقض مدتها، لذلك جمع زيادة الله الأغلبي والي تونس وجوه القيروان وفقهاءها وكان فيهم «أسد» لاستشارتهم في الأمر، وبعد نقاش اختلف فيه الفقهاء، انتهي الأمر كما أفتى أسد بن الفرات، وأقلع الأسطول من مدينة سوسة يوم السبت النصف من ربيع الأول عام ٢١٢هـ في نحو مائة مركبة (٥).

أسد بن الفرات

(١٤٥هـ- ٧٦٠م - ٢١٣هـ- ٨٢٨م)، عربي صليبة، رحل في صغره مع والده إلى إفريقيا، ثم عاد فقرأ على مالك بن أنس بالمدينة، وذهب إلى العراق حيث التقى بتلاميذ أبي حنيفة النعمان، ثم رحل إلى مصر وعاد الى القيروان سنة

١٨٢هـ- ٧٩٧م، شهر عالمًا في الفقه فأسند إليه زيادة الله الأغلبي قضاء مدينة القيروان، قاد حملة الأغالبة على صقلية، ومات في أثناء حصار سرقسطة ضحية لمرض الطاعون (٦).

استمر جيشه في الجهاد، حتى تمكن بعد معاناة شديدة وحروب دامية، كان يقودها بطريقة صقلية من السيطرة على مدينة بالرمو، ومن ثم إخضاع الجزيرة كلها في عام ٨٢٧م، قيل: لم يتمكن المسلمون من السيطرة الكاملة عليها، فقد بقي القسم الشرقي القريب من جهة القسطنطينية التي كانت تمده بالرجال والعتاد في قبضة البيزنطيين، وفي عام ١٠٩٠م جاءت جيوش من الشمال بقيادة روجر الأول وأنهت الحكم الإسلامي للجزيرة.

حكم المسلمون الجزيرة ردحًا من الزمن (٢٦٤ سنة) وهي ليست بالزمن الطويل كما هي الحال في بلاد الأندلس، وعلى الرغم من قصر هذه المدة فقد ترك المسلمون بصماتهم الواضحة في الحياة، بقيت آثارها شاهدة على ذلك حتى أيامنا هذه.

دروس وعبر من غزوة الجزيرة

- حرص قادة المسلمين على فريضة الجهاد في سبيل الله، لنشر رسالة التوحيد، وإصرارهم على تأمين حدود دولتهم من كل عدوان محتمل.

- لم يكن غزو الجزيرة مغامرة غير مدروسة، فقبل اتخاذ القرار بالغزو كان هناك مشاورات وحسابات تؤكد حرصهم على المجاهدين واتخاذ الحيطة والحذر، فقد سأل الفقيه المالكي «سحنون» المجتمعين للتشاور: كم بين صقلية وبين بلاد الروم؟ قالوا: يروح الإنسان- بحرًا- مرتين وثلاثة في النهار ويرجع، قال: ومن ناحية إفريقيا؟ قالوا: يوم وليلة، قال: لو كنت طائرًا ما طرت إليها (٧)، وفي قوله تحذير من المغامرة من غزو الجزيرة لأنه وجد المسافة بين الجزيرة وبلاد الروم قريبة جدًا، بحيث تسمح بإرسال المدد من رجال وعتاد بسرعة غير متوافرة لدى جيش المسلمين، لكن هذا الرأي قوبل برأي آخر تبناه أسد بن الفرات، وهو ضرورة غزو الجزيرة لتأمين المسار البحري، ولمنع الاعتداءات على السفن التجارية للمسلمين، وتحرير أسرى المسلمين.

- لم يقدم الفقهاء، الذين استشيروا ومنهم أسد بن الفرات على الإفتاء بالغزو إلا بعد أن تحللوا من الهدنة التي كانت بينهم وبين صقلية، والتي لم تكن مدتها قد انقضت، وذلك بذريعة وجود أسرى لدى حكام صقلية، ولم يتم الإفراج عنهم مع تصاعد الاعتداءات على السفن التجارية، وقد كان أسد بن الفرات نفسه صاحب هذه الفتوى، ولذلك أسندت إليه قيادة الحملة.

- لم يثن التقدم في السن أسد بن الفرات عن الجهاد في سبيل الله، فقد أسندت إليه الحملة وهو في الثامنة والستين من عمره تقريبًا، فلا نامت أعين الجبناء، وكان يدرك صعوبة الطريق، ووعورة المسلك، ومخاطر ركوب البحر وقوة الأعداء، فقد كان فتح صقلية «عنادًا مستمدًا من القوة النفسية التي خرج بها أسد بن الفرات فاتحًا أكثر من كونه سعيًا وراء غنيمة أو كسب» (٨).

- لم يكن حكم المسلمين لجزيرة صقلية وغيرها من البلاد التي خضعت للفتوحات مجرد نزهة أو رحلة صيد وجني غنائم، بل كانت عمارة للأرض، وللنفس البشرية، ونشرًا لعقيدة التوحيد، ففي صقلية شجع المسلمون خلال حكمهم على الزراعة، والتجارة والفنون والعلوم والآداب، وظهر في صقلية شعراء عرب مثل ابن حمديس الصقلي وغيره (٩) وبدأ المجتمع الإسلامي الواعد في صقلية يستقطب كثيرًا من المهاجرين الطامحين، وصارت المعاهد الإسلامية كعبة يقصدها كثيرون من علماء أوروبا، كان ذلك كله عندما تحدث العالم القديم في الأندلس وفي صقلية وشمال إفريقيا اللغة العربية، وسعوا إلى تعلمها سعيهم في طلب العمل والمعرفة، وقد استمرت الحضارة الإسلامية مزدهرة، تلقي بظلالها الوارفة على الحياة العامة في صقلية حتى خلال الحكم النورمندي الذي جاء في أعقاب الفتح الإسلامي (١٠).

الهوامش

١- د. إحسان عباس، العرب في صقلية: دراسة في الأدب والتاريخ ص ٢٨- دار المعارف المصرية.
٢- المرجع السابق ص ٢٩.
٣- نفسه ص ٣١.
٤- نفسه ص ٣٢.
٥- نفسه ص ٣٣.
٦- نفسه ص ٣٤، الميسرة ١٤٧.
٧- العرب في صقلية ص٣٣.
٨- نفسه ص ٣٥.
٩- نجيب العقيقي: المستشرقون ج١ ص٣٦٦، ص ١٠٤، العرب في صقلية ص ١٧٥ وما بعدها.
١٠- الموسوعة ص ١١٢٦.

من أقدم المقاصد الثقافية التي تميز القاهرة

الأزبكية.. بِرْكَة محاطة بالقصور والحدائق

تحقيق : هالة عبدالحافظ - إشراق أحمد

خلدت الأزبكية، اسم منشئها الأمير التركي أزبك الذي كان قائدًا للجيش في عهد السلطان قايتباي (٨٧٢هـ-٩٠١هـ) ولهذا ارتبط اسم أزبك بالمنطقة فصارت تعرف بالأزبكية وقد أنشأ الأمير أزبك عددًا من المنشآت الدينية والمدنية، التي تطل على البركة وكان من ضمنها قصره الفخم، ومسجده الذي عرف باسمه.

وكان أيضًا من بين القصور العديدة التي أنشئت في حي الأزبكية قصر الشيخ عبدالله الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر وكان بقصره كثير من التحف النفيسة والكتب المجلدة الفاخرة.

«الوعي الإسلامي» زارت السور وجاءتكم بهذه التفاصيل.

عندما ننصت لصوت التاريخ يحكي لنا عن هذه المنطقة نعرف أنه في سنة ٨٨١هـ (حوالى ١٤٦٠م) قيض الله للبركة أميرًا هماما وقائدًا شجاعًا، ومحاربًا مغوارًا هو الأمير أزبك الخازندار، قد أمضى شطرًا كبيرًا من حياته في الكفاح والنضال، وجمع ثروة طائلة، فأراد أن يركن إلى الراحة، ويخلد إلى الهدوء والسكينة، ويتمتع باللهو والسرور.

ففكر أول ما فكر في أن يبني له قصرًا ضخمًا يجمع كل وسائل الترف والنعيم التي عُرفت في عصره، وقد وقع اختياره على بركة بطن البقرة التي قُدِّر لها أن تحمل اسمه فيما بعد، وكانت هذه البركة قد أصبحت أثرًا بعد عين، فقام أزبك بحفرها وتعميقها وبنى حولها، كما شيد مسجدًا وصفه المؤرخون بأنه بلغ النهاية في الجمال والفخامة، وأقبل الأعيان والأمراء من كل صوب على البناء في هذه البقعة الجميلة حتى نشأت في مدة وجيزة مدينةٌ قائمة بذاتها.

وقد سكنها بعض فقهاء المسلمين كشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني، وقاضي القضاة أبي الجيعان، والدشطوطي، وجلال الدين البكري وغيرهم ممن لا يحصيهم العد.

وكان الشعراء حينما يصفون بركة الأزبكية وحدائقها يقفون طويلًا أمام المناظر الطبيعية المختلفة، ولما دخل الفرنسيون مدينة القاهرة، وقع اختيارهم على الأزبكية لتكون مقرًا لهم ومقامًا.

وفي سنة ١٨٣٥م أمر محمد علي بردم البركة، ثم غرس مكانها حديقة واسعة وفي عصر الخديوي إسماعيل، حدثت تغييرات مهمة في خريطة الأزبكية، فقد أزيلت الحدائق وحولت إلى شوارع وميادين، وأقيمت في أمكنة منها المباني الفخمة، وظلت الحديقة التي غرست مكان البركة كما هي.

سور الأزبكية

وعلى السور الجنوبي منها أنشئ ما عرف بسور الأزبكية حيث السياحة الداخلية والخارجية واستعراض الكتب.

إذا مررت يومًا بجوار محطة مترو أنفاق العتبة بمنطقة وسط البلد، سيلفت انتباهك أناس من مختلف الأعمار، صغارًا وكبارًا، فتيات وشبابًا، نساءً ورجالا.. وقد انتشروا في ثلاثة ممرات متتالية ويجمعهم هدف واحد وهو البحث عن كتاب أو مجلة في ما يقرب من ١٣٢ مكتبة صغيرة تضمها هذه الممرات المعروفة باسم «سور الأزبكية».. والتي تعتبر المقصد الرئيسي لكل طالب علم أو قاصد ثقافة أو راغب في المعرفة.

إذا كانت منطقة «وسط البلد» في العاصمة المصرية القاهرة ذات دور محوري بالنسبة إلى المثقفين بما تمثله من زخم إعلامي وثقافي ومعرفي، وبما تحفل به من مئات الأمكنة الفريدة التي ينساب من بين جدرانها عبق التاريخ ووهج الإبداع، وزخم التجارب الإنسانية، أماكن تتنفس إبداعًا متجددًا ممزوجًا

(سنن الترميذي) وقف لله بالجامع الجديد بالأزبكية - أصل هذا المخطوط محفوظ في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم (٧٠٩)

برائحة عصور مختلفة، فإن «سور الأزبكية» الذي يتفرع من هذه المنطقة يعتبر بمثابة القلب في الجسد بالنسبة إلى كل مثقف أو راغب في السير على دروب المعرفة.

مقصد ثقافي

ويعتبر سور الأزبكية من أقدم المقاصد الثقافية غير الرسمية التي تتميز فيها القاهرة، يتوافد عليه أناس من مختلف الثقافات والأعمار، ما بين أدباء وسياسيين ومعلمين وطلاب وهواة، كل يمهد طريقه نحو الثقافة بأشكالها المختلفة، فيجد كل منهم ضالته في هذا المكان الجامع لمختلف الأذواق والثقافات، حيث تحتوي مكتباته العديدة على كل ما يبحث عنه القاصد من كتب دينية وسياسية وتاريخية وعلمية وأدبية ومنوعة.

يعود إنشاء هذا السوق إلى عام ١٩٣٣ حينما أستأجر المعلم أحمد الحكيم كشكًا من البلدية بإيجار شهري قدره ٢٤٠ قرشا ونشر بضاعته من الكتب على جزء من سور الأزبكية، وهكذا ولدت مكتبات سور الأزبكية.

لكن ليس هذا هو السبب الوحيد للذهاب إلى سور الأزبكية، فقد حرص أصحاب المكتبات منذ سنوات بعيدة على أن يوفروا الكتب القديمة والنادرة بشكل خاص، والتي أعيا البحث عنها الطالبين في المكتبات الكبرى والرسمية، فلا يجدونها إلا لدى مكتبات السور، وحتى في حال وجودها في المكتبات الكبرى فإن أسعارها في سور الأزبكية تكون أقل كثيرًا من أسعار المكتبات ودور النشر المعروفة، كل ذلك جعله مقصدًا دائمًا للزائرين ومن يبحثون عمّا يروي ظمأهم للمعرفة والثقافة، لذلك وعلى مدى سنوات طويلة ظل السور مقصدًا للعائلات الساعية إلى بث روح الثقافة في نفوس أبنائها، وكذلك أصبح مركزًا لتشكيل ثقافة جيل آثرى عالم الثقافة العربية بشكل عام أمثال نجيب محفوظ وعباس العقاد وتوفيق الحكيم وغيرهم.

كتب قديمة ونادرة

تحت لافتة كُتب عليها «٨٩ سور الأزبكية»، ووسط زخم من الكتب القديمة جلس سمير أبوالعلا أو «عم سمير»، الذي أكد أنه ورث هذه المهنة منذ أكثر من ثلاثين عامًا، والرجل يعود بذاكرته إلى أربعينيات القرن الماضي أيام «رغد العيش» -على حد وصفه-، عندما كانت الكتب معلقة على سور حديقة الأزبكية أمام مبنى الأوبرا القديم، وتُباع على أنغام حفلات كوكب الشرق أم كلثوم، والموسيقار محمد عبدالوهاب.. وتراوده تلك الذكريات الجميلة بما فيها من وفود الزبائن من مختلف الجنسيات، والطبقات، والفئات، والأعمار، مشيدًا بمستوى العلاقات والتعاملات الراقية التي كانت تجمع البائعين بالزبائن طوال العام، والتي كانت أقرب إلى علاقة الصداقة منها إلى علاقة بائع ومشترٍ كما أصبح الحال في هذه الأيام.

وتوقّف «عم سمير» بالزمن قليلا لوصف الواقع الذي عايشه مع سور الأزبكية قائلا: «انتقلنا أكثر من مرة، الأولى إلى كوبري الأزهر في منطقة الدرَّاسة، والأخيرة إلى مترو العتبة، وكنا في الأصل نستخدم سور حديقة الأزبكية في عرض كتبنا، لكن مع أعمال التطوير والتغيير التي شهدتها المنطقة اضطررنا إلى التنقل، حتى عدنا أخيرا إلى منطقة مترو العتبة».

وتكسو نبرة صوت «عم سمير» حالة من الحسرة على الخسائر التي حلت به وبزملائه؛ نتيجة الانتقال المتكرر للسور قائلًا: عانينا من الانتقال المتكرر، خاصة

رخص أسعار كتبه جعله مقصدا لمختلف الفئات والثقافات والأعمار

حينما انتقلنا إلى كوبري الأزهر، وعانينا كثيرًا من الخسائر؛ نظرًا إلى ابتعاد المكان، لكن بعد عودتنا إلى منطقة وسط البلد بدأنا نستعيد نشاطنا الثقافي مرة أخرى، وعاد إلينا زبائن الأيام الماضية التي لا تعوّض أبدًا؛ لتعود العلاقات الجميلة التي كوّنها السور في أيام ازدهاره.

وعن سوق القراءة، قال بصوت لا يخلو من الأمل: على الرغم من أن الكتاب فقد قيمته نتيجة غلاء المعيشة، فإن السور فيه إبداعات وإصدارات عديدة وقديمة، وعلينا أن نضع دعائم أساسية للثقافة لدى الجيل الجديد، فالشباب ليس كلهم عازفون عن القراءة بل النسبة التي نتمناها غير موجودة ونأمل أن تتغير خاصة بعد ثورات الربيع العربي.

وعلى الرغم من تراجع الإقبال على سوق الكتب فإن لـ«عم سمير» وجهة نظر خاصة، حيث رأى أن هذا شيء طبيعي إلى حد كبير في ظل السيطرة الإلكترونية، التي تستغل طاقة الشباب بأشكال عديدة، بالإضافة إلى التعليم وقواعده التي تقوم بدورها في توجيه الأطفال إلى الوسائط الأخرى غير القراءة، بجانب التربية ذاتها، فلابد أن نربي أبناءنا على القراءة.

ولا تغيب مكتبات سور الأزبكية كل عام عن معرض الكتاب الدولي بالقاهرة، وعنه قال: «سور الأزبكية في معرض الكتاب هذا العام ظهر وسط جميع دور النشر في كل المخيمات الثقافية بارزًا، وواقفًا على قدميه، حتى إن أول ما تطأ قدم الزائرين أرض المعارض، تتوجه إلى مخيم سور الأزبكية، وأول ما يبحثون عنه كتابًا يكون بين أسواره».

وعن حال السور بعد التغيرات التي شهدتها مصر، قال عم سمير: «لاحظت هذا العام إقبالًا كبيرًا على الكتب السياسية والتاريخية والقانونية والأدبية، وكانت العناوين التي تحمل أي شيء عن الثورة هي التي تلفت أنظار الجميع، وكانت الأكثر إقبالًا عليها، إلى جانب كتب عن الأدب السياسي، والأدب الساخر، والكتب التعليمية، والروايات العالمية، بالإضافة إلى الكتب الدينية والثقافية والسياسية لـ عائض القرني، محمد عمارة، محمد قطب، محمد حسنين هيكل، وغيرها من الكتب، فاليوم الرغبة في المعرفة جامحة، الجميع يريد معرفة كل ما يدور حولهم من أمور سياسية وقانونية وفي مختلف المجالات».

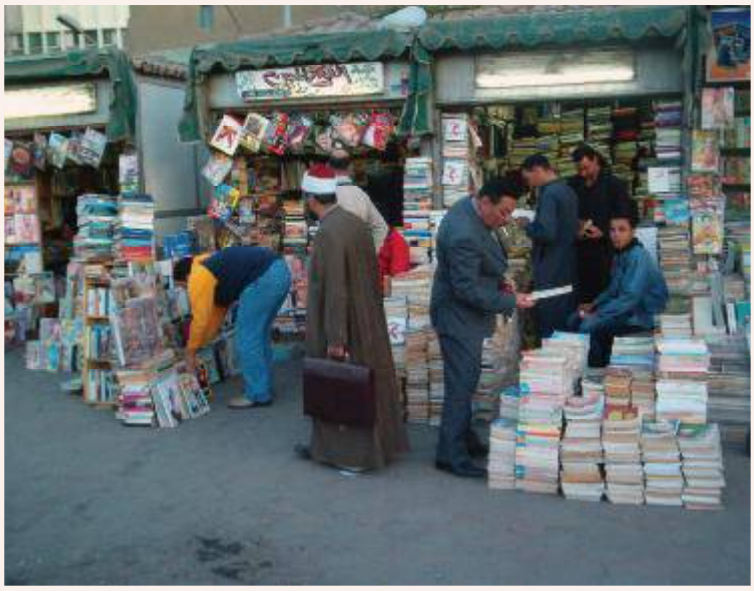

المراجع

١ - في ربوع الأزبكية محمد سيد كيلاني.
٢- موسوعة القاهرة ١٠٠٠ عام مكتبة الإنجلو.
٣- تاريخ الجبرتي.
٤- حي الأزبكية مقالة الأهرام الصادر ١٩٦٩/١/٣١م، بقلم د.حسين عبدالعليم عليوة.

بحثًا عن أم القيم.. البركة

المنشاوي الورداني- مترجم في التلفزيون المصري

هل ذهب الصالحون.. وذهبت معهم البركة؟ هل انطفأت أنوار البركة الحقيقية أمام أنوار المدنية؟ في الأيام الخوالي.. كانت مرتبات ودخول الناس قليلة، ولكنها كانت مترعة ببركة عظيمة لا تبددها الأمراض والأرزاء. واليوم يتقاضى المستوظفون مرتبات كبيرة ولا تكاد تسد رمق طمعهم وإصرارهم على طلب المزيد في مطالب فئوية، ولا يعرفون حتى الآن سر عدم كفاية ما يتقاضون، ولا يعلمون حقيقة أنها قد تكون منزوعة البركة. وفي حياتنا قد تجد أسرةً قليلة الدخل والجهد ولديها سيارة متواضعة ولكنهم يعيشون حياةً سعيدةً تتمتع بالبركة، وعلى النقيض ترى أسرةً تحيا في القصر المشيد ولديها أرتال من المركبات الفارهة والمتع الفاخرة وتتحسر على تلك البركة والسعادة التي يحياها من يعيش في الكوخ المهين. إنها البركة التي كان الصالحون يستجلبونها بالإيمان والتقوى، والبعد عن المحرمات والإخلاص في العمل وإغاثة الملهوف والالتزام بقيم الإسلام فعليًا واليقين فيما عند الله من رزق حلال. تلك القيمة نعتبرها أم القيم.. لأنها باختصار قيمة باطنة وهي ثمرة الالتزام بالقيم الظاهرة: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ (لقمان/٢٠) لذلك يخطئ الكثيرون من الناس عندما يظنون الخير في كثرة العرض ووفرة النماء، فقد تنقلب هذه النعمة إلى نقمة بالأرزاء والأمراض إذا لم تتوفر فيها البركة، والبركة عطاء إلهي وسر رباني لا يأتي إلا للباحثين عنه بما يوجب نزول هذه البركة ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض...﴾(الأعراف ٩٦) لذلك كانوا يبحثون عن البركة تمامًا للخير وحفظًا للنعمة.

لعل أول من بحث عن البركة في السيرة النبوية السيدة حليمة السعدية عندما وجدت من بركات النبي ﷺ وهو طفل رضيع مدة عامين أو يزيد حيث تدفق اللبن في ضرعها وتدفق الخير في زرعها وزرع من حولها، كما لاحظت السيدة خديجة بركة هذا النبي وهو شاب فتي عندما ازداد النماء والخير في مالها وتجارتها فحرصت على الزواج بخير البرية.

ولقد كان النبي يعلم أهل بيته ضرورة البحث عن هذه البركة فكان يقول لفاطمة: «قُومِي فَاشْهَدِي رِزْقَ رَبِّك، عَزَّ وَجَلَّ، وَلا تَكُونِي مِنَ الْغَافِلِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، يَقْسِمُ أَرْزَاقَ النَّاسِ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ» (البيهقي).

كما علم النبي الأكرم ابنته فاطمة طريقة استجلاب هذه البركة بالإخلاص في الذكر.. ففي الصحيحين عن علي أن فاطمة شكت ما تلقى في يدها من الرحى، فأتت النبي ﷺ تسأله خادمًا، فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته، قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت أقوم فقال: مكانك فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال: ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟

إذا أويتما إلى فراشكما -أو أخذتما مضجعكما- فكبرا أربعًا وثلاثين، وسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم».

ويذكر أن الطعام انتهى من بيت علي وفاطمة، فقالت في الصباح: اذهب، فالتمس لنا طعامًا، لعل الله يرزقك، فأخذ علي فروًا ليتقي البرد، ثم تسلل إلى أرض اليهود، فإذا يهودي ينزح الماء من البئر على الجمل، فقال اليهودي: يا غلام، فقال علي: نعم قال: انزع غربًا بتمرة، فنزع علي غربًا، فأعطاه اليهودي تمرة، وكلما نزع غربًا أعطاه تمرة حتى ملأ يده وما إن ملأ يده حتى ذهب، فلقيه الرسول ﷺ فسأله: أين كنت؟.. فأخبره.

فقال: أين التمر؟ فأراه فدعا رسول الله ﷺ بالبركة وأكل منه تمرة، والبركة فيما بقي من أكله ﷺ تعادل الدنيا، فذهب إلى فاطمة فأخذا يأكلان.

ولقد كانت بركات النبي ﷺ موضع المشاهدة بين الصحابة ليتعلموا مواضع نزولها وطرق استجلابها: ذكر الإمام أحمد: عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله في غزوة غزاها، فأرمل فيها المسلمون واحتاجوا إلى الطعام، فاستأذنوا رسول الله» في نحر الإبل فأذن لهم، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: فجاء فقال: يا رسول الله إبلهم تحملهم وتبلغهم عدوهم ينحرونها؟ ادع يا رسول الله بغبرات الزاد، فادع الله عز وجل فيها بالبركة.

قال: أجل فدعا بغبرات الزاد، فجاء الناس بما بقي معهم فجمعه، ثم دعا الله عز وجل فيه بالبركة، ودعاهم بأوعيتهم فملأها وفضل فضل كثير.

فقال رسول الله عند ذلك: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أني عبدالله ورسوله، ومن لقي الله عز وجل بهما غير شاك دخل الجنة».

وذكر ابن إسحاق في قصة حفر الخندق: أنه قد حدث أن ابنةً لبشير بن سعد - أخت النعمان بن بشير- قالت: دعتني أمي عمرة بنت رواحة، فأعطتني جفنةً من تمر في ثوبي ثم قالت: أي بنية اذهبي إلى أبيك وخالك عبدالله بغدائهما قالت: فأخذتها فانطلقت بها فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي فقال: تعالي يا بنية ما هذا معك؟ قالت: قلت: يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد، وخالي عبدالله بن رواحة يتغديانه فقال: هاتيه قالت: فصببته في كفي رسول الله ﷺ فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دعا بالتمر فنبذ فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: اصرخ في أهل الخندق أن هلم إلى الغداء فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب.

جرائم البوذيين في حق مسلمي بورما ضد الإنسانية!

التحرير

كأنهم ليسوا بشرًا.. فضلًا عن كونهم بشرًا مسلمين! نرى المذابح التي يساقون إليها ونرى أجسادهم المتفحمة ونرى إلقاء الجثث من مكان لآخر ونسمع عن اغتصاب فتياتهم وتمزيق أوصال أطفالهم وتحقير كبارهم وعلمائهم ثم نمضي لحال سبيلنا وكأن شيئًا لا يحدث وكأنهم ليسوا بشرا!! إنهم مسلمو ميانمار (بورما) المنسيين، أولئك الذين تتجاهلهم حتى منظمات حقوق الإنسان الرهيفة الحس!

طوفان من المشاهد المرعبة والأخبار التي تقشعر لها الأبدان والصور التي تستكملها المخيلة تأسيسا على ما تتناقله بعض وسائل الإعلام.. طوفان يغرق آدميتك لأنهم آدميون مثلك.. يسحب عنك أخوتك لأنهم إخوانك في الدين.. يشكك في صدقك مع نفسك لأنهم هم الصادقون مع أنفسهم لم يتزلزلوا ولم يفرطوا في معتقدهم رغم بشاعة ما يمارس ضدهم، أما أنت فلم تكلف نفسك حتى عناء قراءة شيء عنهم!! ضع نفسك مكان أحدهم للحظات فهل تحتمل؟ هل تحتمل أن يغتصب أحدهم ابنتك أو يحرق ابنك أو يذبح أباك؟ هل تقبل كل مشاهد العنف على عائلتك أو بني وطنك؟ انظر إلى هذه الصور الحقيقية التي بثتها أجهزة الإعلام قبل أن ترد: هذه صورة حديثة لجماعات ترتدي الزي الأحمر وتضع على أنوفها كمامات.. تقف في مسلخ مفتوح.. ليس لدجاج أو لخراف وإنما لبشر مثلي ومثلك عرايا مذبوحين من الوريد للوريد وهذه صورة لموظف مسكين (يجب أن ترق قلوبنا له) يتحمل وحده عبء إلقاء الجثث من مكان مغلق إلى مكان آخر.. جثة أخيك المسلم تطير في الهواء والمصور المحترف التقط أكثر من لقطة متتابعة كي تصلنا

صورة الجثة الطائرة كأنها لعبة أو على الأقل جوال من التبن! ويحافظ القتلة على تنوع أساليب القتل حتى لا نمل فيحرقوا هذه المرة المسلمين أحياء ونرى صورة مساحة كبيرة من اللحم المشوي والعظام المتفحمة والأرض تبتلع الفضيحة طالما نعمي أبصارنا بأنفسنا كي لا نرى.

ماغ المتطرفة

وفق تقرير للعربية نت قبل أسابيع بلغت الحصيلة الأولية لحرب الإبادة التي تشنها مجموعة «ماغ» البوذية المتطرفة على المسلمين في بورما ٢٥٠ قتيلاً وأكثر من ٥٠٠ جريح وقرابة ٣٠٠ مخطوف، لكن يتواضع هذا الرقم أمام الأرقام التي نعرفها حاليا.

المدهش أن مليشيات الماغ البوذية المتطرفة بعد أن دمرت أكثر من ٢٠ قرية و١٦٠٠ منزل كتبت على كل قرية عبارة «خالية من المسلمين» وكأنهم وباء.. لقد استضعفوهم ونحن السبب، ولا يظن أحدنا أنه بمنأى من افتراس المتوحشين طال الزمان أم قصر.

مليشيات الماغ دمرت أكثر من ٢٠ قرية و١٦٠٠ منزل وكتبت عليها «خالية من المسلمين»

وقد ذكر التقرير أن بعضا ممن فر من المذابح إلى بنجلاديش القريبة أعيد مردودا إلى مصيره بعد أن ضاقت السلطات البنغالية بحوالي ٣٠٠ ألف مسلم مضطهد فر إليها. فمتى نقبلهم نحن في بلادنا كلاجئين.. أين منظمة العمل الإسلامي؟ أين بقية المنظمات الحقوقية؟ أين الإنسان؟ هل تعرف أخي المسلم أن اللاجئين البورميين الذين وصلوا إلى بنجلاديش يعيشون في حالة مزرية؟ إنهم يحتشدون في منطقة «تكيناف» داخل مخيمات مبنية من العشب والأوراق وسط بيئة ملوثة ومستنقعات تحمل كثيرًا من الأمراض مثل الملاريا والكوليرا فماذا نحن فاعلون؟

شاهد من أهلها

واستمع إلى الشيخ سليم الله حسين عبدالرحمن رئيس منظمة تضامن الروهنجيا وهو يؤكد أنه في عام ١٩٩٢ شردت بورما حوالي ٣٠٠ ألف مسلم إلى بنجلاديش للمرة الثانية ثم اتبعت سياسة الاستئصال عن طريق برامج تحديد النسل فتم منع الفتاة المسلمة من الزواج قبل سن الـ٢٥ عاما والرجل قبل سن الـ٣٠.

ودعنا نتساءل أخي الكريم مع من تساءلوا: أين دور دول المجتمع الدولي ومنظمات حقوق الإنسان والهيئات العالمية مما يحدث في بورما؟! ولكن وكي لا نبخس الناس جهودهم فقد انطلقت عدة مراكز وجمعيات وأفراد إسلامية للتنديد بالتطهير العرقي الذي يحدث في بورما، من أعمال القتل والاضطهاد التي تستهدف المسلمين هناك.

إن ما يحدث من مجازر إبادة تحت غطاء ديني بعد إعلان الكهنة البوذيين الحرب المقدسة ضد المسلمين في إقليم أراكان في دولة بورما، ليستدعي المؤسسات الإغاثية والأمم المتحدة الإسراع لنصرة مسلمي بورما، وتقديم كل أشكال الدعم لهم، ووقف سياسة التهجير وتدمير المنازل والممتلكات والمساجد التي تقوم بها الجماعات البوذية المتطرفة (الماغ)، وهو ما يتنافى مع كل الأديان السماوية والقيم الإنسانية وحقوق الإنسان، التي أقرتها سائر المبادئ والاتفاقيات الدولية.

إعداد : محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

معنى «الفتوى»

الفتوى هي الجواب عما أشكل من الأحكام، أو خَفِي عن بعض النَّاس.

وفرّق بعض العلماء بين «الفتوى» و«علمها»؛ فجعل «فقهَها»: العلم بالأحكام بالكلية، و«علمها»: العلم بتلك الأحكام، وتنزيلها على النّوازل والأحداث.

فائدة: وقد ورد لفظ الفتوى في كتاب الله تعالى في سبعة مواضع هي:

الأول: قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ (النساء: ١٢٧).

الثاني: قال الله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ (النساء: ١٧٦).

الثالث: قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف:٤٣).

الرابع: قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٢٢).

الخامس: قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (النمل: ٣٢، ٣٣).

السادس: قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ (الصافات: ١١).

السابع: قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ (الصافات: ١٤٩).

حكم الفتوى

فصّل الإمام الشّاطبي رحمه الله القولَ في حكمها فقال:«سؤال المتعلم للعالم... يلزم الجواب إذا كان عالمًا بما سئل عنه، متعيّنًا عليه في نازلة واقعة، أو في أمر فيه نص شرعي بالنسبة إلى المتعلم، لا مطلقًا، ويكون السائل ممّن يحتمل عقله الجواب، ولا يؤدي

فتاوى الوعي

قيام ليلة عيد الفطر

الفتوى رقم (١٧١٥٤)

عرض على «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» بالسعودية السؤال التالي:

قيام ليلة عيد الفطر-صلاة التراويح- بالمسجد ما حكم ذلك، وهل هي من رمضان أم من شوال؟

فأجابت بما يلي:

تخصيص ليلة العيد بقيام دون سائر الليالي يعتبر بدعة؛ لأنه لم يكن من سنة النبي: وقد قال:«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»، سواء قامها منفردًا أو مع جماعة، وأما من كان له قيام معتاد في سائر الليالي، فلا بأس أن يفعله في ليلة العيد، لكن لا يكون جماعة، وليلة عيد الفطر ليست من رمضان إذا ثبت دخول شهر شوال.

تأخير صلاة العيدين عن يوم العيد

الفتوى رقم (١٩٤٤)

عرض على «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» بالسعودية السؤال التالي:

هل يجوز تأخير صلاة العيد عن يوم ليلة رؤية هلال شوال إلى اليوم الثاني ليتمكن جميع العمال من المسلمين العاملين في المصانع والمكاتب من الحصول على إجازة يوم العيد من المسؤولين؟ وبما أن يوم العيد غير معروف لديهم سابقًا؛ فلذلك يصعب عليهم إخبار المسؤولين عن يوم بعينه للإجازة.

فأجابت بما يلي:

صلاة العيدين فرض كفاية؛ إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وذهب بعض أهل العلم إلى أنها فرض عين كالجمعة، وبما أن المركز الإسلامي يقوم بإقامة صلاة العيد بناءً على رؤية الهلال؛ فإن هذه الصلاة تسقط فرض الكفاية عمن لم يحضرها، ولا يجوز تأخيرها إلى اليوم الثاني أو الثالث من شوال من أجل أن يحضرها جميع المسلمين في لندن؛ لأنّ هذا التأخير خلاف ما أجمع عليه الصحابة ومن بعدهم، فإنّا لا نعلم أحدًا من أهل العلم قال بذلك، نعم يجوز تأخيرها إلى اليوم الثاني إذا لم يعلموا بالعيد إلا بعد زوال الشمس.

صلاة العيد في الشارع أمام المسجد

الموضوع (١١٢٣)

عرض على «لجنة الفتوى بالأزهر» السؤال التّالي:

يوجد بحي الشيخ مبارك بمصر القديمة بالقاهرة مسجد يتسع لجميع المصلين من أهل الحي، كما يوجد مسجدان آخران، وقد طلب بعض المصلين من الجمعية أن تقام صلاة العيد في الشارع أمام المسجد إحياءً للسنة النبوية الشريفة، وطلب السائل بيان الحكم الشرعي في هذا الموضوع.

السؤال إلى تعمّق ولا تكلّف، وهو مما يبنى عليه عملٌ شرعي، وأشباه ذلك، وقد لا يلزم الجواب في مواضع، كما إذا لم يتعيّن عليه، أو المسألة اجتهاديّة لا نص فيها للشارع، وقد لا يجوز، كما إذا لم يحتمل عقله الجوابَ، أو كان فيه تعمّق، أو أكثر من السؤالات التي هي من جنس الأغاليط، وفيه نوع اعتراض» «الموافقات»:(٣٧٢/٥).

تاريخ الفتوى

أول من تولى أمر الفتوى هو الله سبحانه وتعالى، حيث قال في كتابه: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ (النساء:١٢٧)، قال القرطبي في تفسيره: «نزلت بسبب سؤال قوم من الصحابة عن أمر النّساء وأحكامهن في الميراث وغير ذلك؛ فأمر الله نبيه عليه السلام أن يقول لهم: الله يفتيكم فيهن؛ أي يبين لكم حكم ما سألتم عنه». تفسير القرطبي: (٥ / ٤٠٢).

ثم قام بهذا المنصب الجليل خاتم أنبيائه محمد بن عبد الله: قال ابن القيم رحمه الله: «وأول من قام بهذا المنصب الشريف سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين عبد الله ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده».

ثم قال رحمه الله: «وقد أمر الله عباده بالرد إليها أي: فتاويه عليه الصلاة والسلام حيث يقول: فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا» إعلام الموقعين: (١١/١).

«ثم قام بالفتوى بعده بَرَكُ الإسلام، وعصابة الإيمان، وعسكر القرآنَ، وجند الرحمن؛ أولئك أصحابُه؛ ألينُ الأمة قلوبًا، وأعمقُها علمًا، وأقلها تكلّفًا، وأحسنُها بيانًا، وأصدقُها إيمانًا، وأعمُّها نصيحةً، وأقربُها إلى الله وسيلة» إعلام الموقعين: (١١/١).

ثمّ قام بها علماء الأمّة بعد الصّحابة من التابعين وتابعيهم بإحسان من الأئمة المجتهدين، والفقهاء الصادقين، يعلمون الناس أمر دينهم، ويبيّنون لهم الحلال والحرام، عملاً بقول رسول الله: «يحمل هذا العلمَ من كلّ خَلَف عدولُهُ؛ ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المبطلين، وتأويلَ الجاهلين» (رواه البيهقي).

فأجابت بما يلي:

جَرَت سُنّة رسول اللّه صلوات اللّه وسلامة عليه على صلاة العيدين في المصلى، وقد كان يترك المسجد في هاتين الصلاتين؛ كما روى أنه صلى العيدين في المسجد في يوم مطير، وقد جرى الخلفاء الراشدون على هذه السنة.

وقد صح هذا في مذهب الإمام أبي حنيفة، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل، ويرى الإمام مالك أنّ صلاة العيد مندوبة خارج المسجد، ويكره أداؤها في المسجد بغير عذر.

أمّا الإمام الشافعي فيرى أن صلاة العيد في المسجد أفضل؛ إلا لعذر، كما إذا ضاق بالمصلين، وعندئذ يُسنّ الخروج للفضاء لصلاة العيد.

ومن هذا يعلم أنّ صلاة العيد في الصحراء سنة الرسولﷺ، وأنّه لم يصلها في المسجد إلا لعذر المطر.

وقد جرى على هذه السنة الخلفاء الراشدون، وصحّت هذه السنّة لدى الأئمة أبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل، ولم تصحّ عند الإمام الشافعي، ورأى أن الأفضل صلاة العيد في المسجد إلا لعذر الزحام في الصلاة.

هذا؛ وقد كانت صلاة الرسول -العيدين في الجبانة- والمراد بها المصلى العام في الصحراء، وكان من سنته أن يخرج إلى المصلى الذي على باب المدينة الشرقي، وكانت إذ ذاك لا حائط فيها ولا بناء، وكانت الحربة سترته يضعها أمامه.

ومن هنا؛ فإنّ صلاة العيد في الشارع أمام المسجد كما جاء بالسؤال لا تعتبر إحياء للسنة، بل السنة أن تكون الصلاة في الصحراء.

هذا؛ وينبغي للمسلمين ألا يختلفوا في أمر لهم فيه سعة، سيما وهو متعلق بالأفضلية، لا بصحة الصلاة، أو عدم صحتها، وعليهم جميعًا أن يتباعدوا عن أسباب الخلاف والنزاع ليتقبل اللّه العمل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(آل عمران:١٠٣).

صيام ستة من شوال - العجز عن فدية الصوم

(١٢٥/٢٤٢/١)

عرض على «لجنة الفتوى» بدولة الكويت الاستفتاءان التاليان، ونصُّهما:

أولاً: هل صيام الستة أيام من شوال لازم كل سنة أم يجوز أن أصوم سنة وأفطر أخرى؟

فأجابت اللجنة:

إنّ صيام ستة أيام من شوال سنة لا يجب الالتزام بها كل عام، والمواظبة عليها أولى.

ثانيًا: والدتي امرأة كبيرة في السّنّ وقد أجريت لها عملية في القلب، ولا تستطيع الصيام، وليس لديها مال حتّى تطعم؛ لأنها أرملة، فما هو الواجب عليها؟

فأجابت اللجنة:

أنه إذا توفر لديها المال فعليها الإطعام، فإن لم يوجد فلا يكلف اللّه نفسًا إلاّ وسعها، ولا شيء عليها إن شاء اللّه تعالى.

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
aelbarbary@live.com

أبَتَاه

ذَهَبَ الْوَفَا وَتَقَطَّعَتْ أَحْشَائِيَا
وَالنَّارُ تَحْرِقُ فِي صَمِيمِ فُؤَادِيَا
النُّورُ أُطْفِئَ؟!إِنَّـهُ لَمْ يَنْطَفِئْ
سَيَعِيشُ بَيْنَ الْكُلِّ يَا إِخْوَانِيَا
أَعْمَالُهُ بَقِيَتْ لَنَا شَمْسَ الدُّنَا
يَا رَبِّ فَارْحَمهُ وَخَفِّفْ مَا بِيَا
يَا رَبِّ أَنْتَ (الْحَيُّ) تَبْقَى ذُخْرَنَا
وَالْكُلُّ حَتْمًا سَوْفَ يُصْبِحُ فَانِيَا
أَبَتَاهُ جَاوَرْتَ الْإِلَهَ مُنَعَّماً فَاهْنَأْ
بِحُسْنِ جِوَارِ رَبِّكَ رَاعِيَا
لَبَّيْتَ دَعْوَةَ رَبِّنَا مُتَشَوِّقاً
لَبَّيْكَ رَبِّي لَيْسَ غَيْرُكَ دَاعِيَا
أَبَتَاهُ هَلْ تُمْسِي مَعَ (الْمَوْلَى) لَقَدْ
غَفَرَ الْإِلَهُ لَكَ الذُّنُوبَ مُعَافِيَا؟!
أَنْتَ الْعَطُوفُ عَلَيَّ يَا أَبَتَاهُ، هَلْ
ذَهَبَ الْحَنَانُ وَأُطْفِئَتْ أَنْوَارِيَا؟!
فَلَكَمْ حَرِصْتَ عَلَيَّ يَا أَبَتَاهُ فِي
صِغَرِي وَفِي كِبَرِي وَكُلِّ حَيَاتِيَا
رَبَّيْتَنِي، عَلَّمْتَنِي، نَبَّهْتَنِي
لَقَّنْتَنِي فِي رَحْمَةٍ قُرْآنِيَا
هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَشْهَدُ يَا أَبِي
كَيْ يَغْفِرَ (الْمَوْلَى) ذُنُوبَكَ حَانِيَا
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ يَوْمًا يَا أَبِي
سَتَصِيرُ فِي الْأَجْدَاثِ تُصْبِحُ ثَاوِيَا
لَكِنْ قَضَاءُ اللَّهِ حَلَّ فَلَيْتَنِي
قُدِّمْتُ مِنْ فَوْرِي وَحَانَ فَنَائِيَا
أَفْدِيكَ يَا أَبَتَاهُ أَفْدِي شَمْسَنَا
تَأْتِي، وَيَأْتِي بِالْأَمَانِ نَهَارِيَا
لَكِنَّ رَبِّي قَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ
اخْتَارَ شَمْسِي هَلْ أَرُدُّ قَضَائِيَا؟!
رُحْمَاكَ رَبِّي لَا اعْتِرَاضَ عَلَى الْقَضَا
لَكِنْ دُمُوعُ الْقَلْبِ أَذْكَتْ نَارِيَا

محسن عبد ربه

٣٠ وسيلة لاستغلال الإجازة بنجاح

أيها الأخ الفاضل أيتها الأخت الفاضلة:
الصيف... باقة فرص فلا تجعله حزمة غصص؟
الصيف... استراحة هادفة فلا تجعله استباحة قاذفة؟
الصيف... فرصة لمزيد رقي وتكوين وتقدم.. ليس عطلة لنسيان وفقدان كل تعلم؟
الصيف... فرصة للتقرب من الله أكثر وأكثر وليس عطلةً لترك الحبل على الغارب أكثر فأكثر؟
الصيف... وقت والوقت هو الحياة فاغتنمه قبل الوفاة؟
وإليكم أحبتي بعض الوسائل لاستغلال إجازة الصيف بنجاح:

١- تلاوة كتاب الله تعالى من خلال ورد يومي.
٢- قراءة بتدبر في تفسير لكتاب الله تعالى.
٣- حفظ كتاب الله تعالى أو ما تيسر منه.
٤- قراءة سيرة النبي المختار ﷺ.
٥- حفظ المأثورات والمتون المفيدة.
٦- الصيام والقيام إيمانا واحتسابا.
٧- طلب العلم ومجالسة العلماء.
٨- ذكر الله تعالى على الدوام.
٩- الدعوة إلى الله وتقديم الكلمة الطيبة في المناسبات.
١٠- إفطار الصائم إما بالبيت أو تزويد المسجد بالتمر واللبن.
١١- قراءة كتب مفيدة وهادفة.
١٢- تلخيص بعض الكتب المهمة.
١٣- خدمة المسجد ونظافته وتزيينه.
١٤- صلة الرحم وزيارة الأهل والأحباب.
١٥- زيارة أهل الخير والعلماء والدعاة.
١٦- حضور الدورات والمحاضرات العلمية.
١٧- سماع الدروس الهادفة من خلال أشرطة الكاسيت والسيديهات.
١٨- مراسلة المواقع الإلكترونية والمساهمة بمقالات مفيدة.
١٩- تعلم لغة واتقانها: الانجليزية والفرنسية.
٢٠- زيارة المعارض والفعاليات المفيدة.
٢١- تطوير خبرة، وممارسة هواية، وتعلم مهارة جديدة: الإعلاميات والخط.
٢٢- الدعوة عبر الانترنت بكلمة أو صورة أو...
٢٣- المساهمة في حماية البيئة بالانخراط في نوادٍ للبيئة.
٢٤- ممارسة الرياضة كل يوم: المشي والجري....
٢٥- الانخراط في نادي رياضي: الكاراتيه والجودو...
٢٦- الدلالة على الخير: وتوزيع المطويات والأشرطة الدينية أو...
٢٧- زيارة مسؤول للتواصل أو للدفاع عن حقوق مستضعفين أو...
٢٨- مشروع الرسائل النصية القصيرة sms دعوةً إلى الله.
٢٩- جدد حياتك وخطط لها من خلال تغيير السلبي بالإيجابي.
٣٠- الزراعة فوق الأسطح، حفاظا على البيئة.

أبو عبدالله رشيد وجري - المغرب

المحرر:

جزاكم الله خيرًا أخي الكريم ونفعنا بما قدمت لنا، وليساهم الجميع بنهضة أمتنا الإسلامية بغرس هذه البذرة في نفوس أبنائنا منذ لحظة قراءة هذه السطور.

روح رمضان

مرَّ رمضان بعد أن جاء بالبشر والإحسان والسرور والاطمئنان ودخول البهجة على الانسان وعمَّ نوره كلِ مكان مهما كانت المآسي والأحزان ففيه صُفد الشيطان وماله من خلٍ وأعوان.

ولكن وللأسف فإن شياطين الإنس في كل مكان وهم بادون للعيان حتى تظاهر البعض وادعى أنه العطشان فالظلم واضح والإجرام فاضح مع الطغيان والقتل والرعب قد عمَّ كثير الأوطان والعدل قد أُسدلت عليه ستائر النسيان والمسلمون في الأغلب الأعظم في لهو وعصيان وظن البعض أن المطلوب فقط تمر وإفطار مع شراب الرمان وبعض السمبوسة وبضع صدقات تُلقى في امتهان في الوقت الذي نجد مصادر هذه الصدقات من حرام وظلم يشيب له الولدان فأين روح رمضان الآن والتي لو تحققت لوصلنا للروح والريحان؟!

دكتور عصام الحسين حميد

ضاعت الأندلس يوم أن ضيعنا أنفسنا!

كان الناس قبل الإسلام أممًا وشعوبًا متفرقة، لكل أمة عاداتها وتقاليدها المختلفة، أما عقائدها فهي متباينة ومتناقضة، ومن أعظم الأدلة على تناقضها أنهم يعبدون ألهةً مختلفةً، فمنهم من كان يعبد الكواكب والنجوم ومنهم من كان يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم من كان يعبد النيران، حتى أرسل الله تعالى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فدعى الناس إلى الإسلام والاجتماع على المحبة والسلام وعباده إله واحد هو الله رب الأنام، الذي تفرد بالخلق والملك وحسن التدبير والبيان، فاجتمع الناس على نبي الإسلام، وتوحدت القلوب والأبدان، فتوحدت البلدان، ثم أرسل رسول الله الدعاة إلى مشارق الأرض ومغاربها، ففتح قلوب العباد بنور الإسلام، وأرسل الجيوش لفتح الأمصار، وهكذا استمر الخلفاء الراشدون بنشر الإسلام وفتح القلوب والبلدان، حتى عبروا بلاد فارس مشرقًا وفتحوا الأندلس مغربًا، وعلى الأندلس تسكب العبرات، فقد أقاموا فيها مجدًا زاهرًا، وبنيانًا عامرًا، حتى شاع ذكرها في الآفاق مدويًا، فاشتهر أمراءها من بين الأمراء ونبغ فيها الأدباء والشعراء، وسما فيها الوعاظ والخطباء وعلا فيها العلم والعلماء.

عقيل حامد

المحرر:

علينا أن نتفاءل أخي الكريم ونعمل، كل في مجاله، ونتقن عملنا ونربي أبناءنا على الإتقان ساعتها سنستعيد أمجاد الماضي وبدلاً من الأندلس تعود ألف أندلس.

هل تعلم

هل تعلم أن الأمم المتحدة تبنت مشروعًا لهذه العشبة المعجزة من أجل زراعتها وتكثيرها لتغذية الشعوب؟

إن الأمم المتحدة من خلال سفيرها لمشروع «امسام» تنصح بتناول هذه العشبة للتغلب والحماية من الأمراض حتى المستعصية والمستجدة منها مثل مرض انفلونزا الخنازير؟

هل تعلم أن منظمة الصحة العالمية تعتبرها «غذاء سوبر» وأفضل غذاء للمستقبل بسبب قيمتها الغذائية العالية جدًا؟

هل تعلم أن وكالة الفضاء الأمريكية تعمل على مشروع لزراعتها في الفضاء وتعتبرها الغذاء الرئيسي لرواد الفضاء؟

نعم..كل هذا وأكثر هو ما يجعل الاسبيرولينا أفضل غذاء موجود على الأرض، فهو غذاء كامل يضمن توازن وقلوية الجسم ويحتوي على الأحماض الأمينية الأساسية في تركيبة سهلة وصحية، الإسبيرولينا غنية بالمواد الغذائية لدرجة أن جرام واحد من الاسبيرولينا يعادل كيلوجرامًا من الخضروات الطازجة من ناحية القيمة الغذائية ويحوي من الأحماض الأمينية المكونات الأساسية لحليب الأم والذي يساعد على نمو وتغذية دماغ ومخ الجنين والطفل، والاسبيرولينا غذاء فعال للحماية من هشاشة العظام وأمراض الدم كما يسهم بشكل كبير في علاج هذه الاعتلالات.

١- ما هي الاسبيرولينا؟

هي: إحدى الطحالب الخضراء المُزرقّة، والتي تنمو وتعيش في البحيرات المالحة، وقد تم اكتشافها من قبل العالم الفرنسي (كلمنت) عام: ١٩٦٢م، وتتوفر الاسبيرولينا على شكل أقراص، ويتم تناولها بعد الوجبات لتفادي الكثير من المشاكل الصحية التي تحدث بسبب نقص بعض الفيتامينات أو المعادن النادرة.

عيسى راغب

المحرر:

معلومات جيدة نشكرك عليها ونأمل في تلقي مساهمات أخرى.

رسالة إلى النفوس الحائرة

عندما دخلت الجامعة أصبحت أرى تطبيق الأفكار والمرجعيات في المجتمع رأي العين ورأيت الصراع محتدمًا بين الأفكار.
وقد كانت هذه المرحلة أصعب مرحلةٍ في حياتي لأنها كانت مرحلة التكوين الفكري والثقافي.
وخلاصة القول أقول: إنني مررت بمراحل متباينة فتارةً أميل إلى فكرة، وعلى الفور أتركها وأؤيد فكرةً أخرى وأدعو لها وأتحمس إليها وما ألبث أن أتركها لغيرها وهكذا.
وهذا سلوك طبيعي في هذه المرحلة (مرحلة التكوين) وقد اضطررت إلى الدخول في صراعٍ عقائدي واستمعت إلى كل المشككين في الإسلام والعقائد ولكنني حسمتُ الأمر وقد دخلت في حوارات مع مسيحيين ويهودٍ وشيعة ودخلت في حوارات مع أهل السنة بكل توجهاتهم.
والخلاصة من هذا السرد هو أنني استفدت من كل هذه الحوارات-أنه عند الدخول في صراع فكري- لابد أن تحسم هذا الصراع بنفسك وأن تبحث فيه بنفسك ثم تحدد في النهاية أنت مع من؟
وهنا أتذكر محاضرةً لأحد العلماء عندما ألقى سؤالاً على الحاضرين: لماذا أنت مسلم؟ ولم يمهلهم لسماع الإجابة فأجاب: لأنني نشأت مسلمًا وولدت مسلمًا... ثم قال: هذا لا يكفي ولكن عليك أن تبحث بنفسك وتتعلم المزيد عن الإسلام.
فكانت هذه المحاضرة نقطة تحول في حياتي فانطلقت بعدها أبحث هنا وهناك حتى أجيب عن هذا السؤال فاستطعت الإجابة عليه بنفسي واقتنعت بها.
وأعترف أنني وجدت صعوبةً في بعض الأمور وهي:
العقيدة بها مصطلحات صعبة فعدت إلى أصلها و شرحها ووقفت على معانيها فيسر الله علي فهمها.
اللغة العربية بها صعوبة فعدت إلى أهلها واستفدت منهم.
بعض فروع العلم وجدت أنني لابد من مراجعة أهلها حتى جَلت ووضحت أمامي تمامًا.
وأثناء بحثي كنت محايدًا منصفًا مجادلاً من نوعٍ خاص (جدال الباحث عن الحقيقة) لا المجادل لمجرد الجدال.
لذلك على كل من يتحير في أي موضوع أو يشك فيه يجب عليه ألا يميل لأي رأي لمجرد أنه يوافق هواه، ولكن عليه أن يبحث بنفسه ويجهد نفسه حتى يصل إلى بغيته ومراده وأن يبحث بموضوعيةٍ ويجنب الأهواء والميول القلبية حتى يخرج بنتيجة ترضيه وتقنعه.
ولست هنا في معرض لتأييد الأفكار والتوجهات ولكن هذه روشتة علاج سريعة أحببت أن أعرضها للحائرين والتائهين والباحثين عن الحقيقة.

آدم آدم

المحرر:

أحسنت يا أخي الكريم، فالدين يأمرنا بطلب العلم والتعلم في كل وقت ومكان، لكن قد يطمئن البعض لفطرتهم وتشرح صدورهم لما ولدوا عليه ولا يحتاجون في خضم أحداث الحياة أن يتعمقوا مثلك ويبحثوا عن أسبابٍ محددةٍ وإن كان البحث أفضل والاطمئنان بعد السعي ألذ وأقوى.

قيام الليل

قيام الليل عبادة لله، صحة ورياضة للجسد، نافلة من نوافل العبادات الجليلة، بها تكفر السيئات مهما عظمت، وبها تقضى الحاجات مهما تعثرت، وبها يستجاب الدعاء، ويزول المرض والداء، وترفع الدرجات في دار الجزاء، نافلةٌ لا يلازمها إلا الصالحون، فهي دأبهم وشعارهم لما فيها من الخيرات.
قيل للحسن البصري-رحمه الله- التابعي الجليل: ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهًا؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره. ولمّا بيَّن لنا الباري سبحانه وتعالى جملةً من أوصاف عباد الرحمن كان من هذه الأوصاف التي نتلوها

مقترح في الحسبان

أنا من قراء هذه المجلة ومعجبة بأسلوبها في جمع المعلومات ونشر الثقافة ولكن أتمنى أن تضيفوا جانبا خاصًا بالجمال.

أميمة زكاغ

المحرر:

يسعدنا تلقي ملاحظتكم وستكون محل بحث قريبًا مع العلم أننا نفرد للجمال في العمارة وصور منتقاه أخرى أكثر من موضع، ومع ذلك يسعدنا تلقي مساهماتكم دومًا لإثراء المجلة. جزاكم الله خيرًا.

ونسمعها وتُقرأ علينا: أنهم تميزوا عن غيرهم بأنهم يمضون ليلهم في قيام وسجود حبًا في الملك المعبود، يقول الباري سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾(الفرقان: ٦٤).

ولقد عبَّر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عن فوائد العبادات والقربات المختلفة في ترويض الجسم فقال: «ولا ريب أن في الصلاة نفسها فيها من حفظ صحة البدن، وإذابة أخلاطه وفضلاته، ما هو من أنفع شيء له، سوى ما فيها من حفظ صحة الإيمان، وسعادة الدنيا والآخرة، وكذلك قيام الليل من أنفع أسباب حفظ الصحة، ومن أمنع الأمور لكثير من الأمراض المزمنة، ومن أنشط شيء للبدن والروح والقلب.

عصمت عمر (أم الزهراء)

المحرر:

رزقنا الله وإياكم هذه العبادة وهذا الشرف حيث يخلو العبد إلى ربه.. يجتمع بالملك ويناجيه ويشكو له حاله ويرجو منه ثواب الدنيا والآخرة.

رسالة إلى هاكر

يا حاقرًا بالعربية إن شئت ... وهاكرًا بالفرنسية معانيها
تبيت للنفوس تهتك أستارها ... وتترك نفسك للعنكبوت يبنيها
إن كنت للحرمة هاتكها ... فكيف بمن يهتكها وهو حاميها
أتذكرة لا أموعظة لا تظنن ... إصلاحًا قط أو أنك تبنيها
إن النفوس لرب البرية ملكها ... فابحث لنفسك من يداويها
أأخاف عبدا يهتك سترها ... ولا أخاف ربها الذي يزكيها
عمر الفاروق وبخ شاربًا ... للخمر ليلًا فكاد بالنفس يهويها
فقال أحرمةً لله تهتكها ... فقال فأنت لهتكتين آتيها
ما استأذنت بالباب صاحبها ... وتجسست على نفس الله ثانيها
فبكى عمر حتى ابتلت لحيته ... ومعه ابن مسعود بالصحاح يحكيها
فمر الزمان وأتى مسجده ... وعمر على المنبر للناس يهديها
فقال له ادنو ما هتكت سرها ... فقال ولا أنا عدت أحتسيها
إن النفوس لرب البرية ملكها ... ما ظهر منها وما الستر يطويها
تعشو عن ذكر ربها ساعةً ... فيقيض لها قرينًا فيغويها
يزين لها حب الشهوات عن كثب ... وبالغرور يعدها ويمنيها
ثم تؤوب إلى ربها لائمةً ... لما فعلت وتستغفر فيقويها

● هذه القصيدة من وحي العدد ٥٦٤ عن ملف الحرب الإلكترونية
يوسف الحزيمري - تطوان- المغرب

ردود سريعة

● الأخ الكريم يوسف بن عبدالرحمن العفالق من المملكة العربية السعودية: وصلنا رثاؤك لفضيلة الشيخ محمد بن سليمان آل سليمان، القاضي بالمحكمة العامة بالدمام ورئيس الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن بالمنطقة الشرقية سابقًا، أسكنه الله فسيح جناته، وجزاك الله خيرًا على حسن التعبير والامتنان لرجل مثله نحسبه على خير ولا نزكي على الله أحدًا.

● الفاضل عقيل حامد: وصلتنا مساهمتكم عن النصر والتمكين في اجتماع القلوب والأبدان، وكم نحن بحاجة إلى ذلك الاجتماع وتلك الجماعة التي أمرنا الله- بعد الاعتصام به - ألا نتركها.. لندع معًا أن يوحد الله أمر أمتنا، ويجمع أهل سوريا المناضلة في كل مكان على كلمة سواء أمام طغيان من استضعفوهم.. آمين.

● الأخ الفاضل محمد الروبي من بني سويف- مصر: مقالكم عن القيم الإسلامية ونشرها ثري بحديث التاريخ المصري القديم عبر برديات كتاب الموتى الفرعوني، وكذلك بالأحاديث الشريفة، وهو مزج جديد على الساحة.. نشكركم للمساهمة ونرجو مزيدًا من المساهمات المتعمقة والمتوسعة أكثر إن شاء الله في المرات المقبلة.

● الكاتب فوزي تاج الدين: مقالكم عن أن الزمان كله رمضان وصيامه يساوي صلوات العام سبق وتم نشر مقتطفات منه في مواقع أخرى، وهذا التجميع لا ترحب به المجلة، نرجو إفراد المجلة بجهد خالص منكم.

● د.أحمد السعيدي من المغرب: وصلتنا مساهمتكم بشأن تكريم الأستاذ الدكتور جعفر بن الحاج السلمي، أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب جامعة عبدالملك السعدي في تطوان، لكن نشر مثل هذا النوع من المساهمات التي تعتمد على دعوة لتقديم أبحاث متخصصة ليس من سياسة المجلة.. على كل حال نشكر تواصلكم وندعوكم لمزيد من المساهمات عبر مقالات رأي في مجال تخصصكم.

● الأخ الكريم عبدالله علي حسين: نتفق معكم في أن الاقتصاد الإسلامي لم يأخذ حقه في التجربة مثل الاقتصاد الرأسمالي والآخر الاشتراكي.. لو كان لديكم بحث لم ينشر من قبل في هذا المجال يسعدنا استقباله.

● الكاتب د. سعيد كفايتي: وصلتنا قراءتك في كتاب الباحث البلجيكي المسلم الذي يدافع فيه عن المرأة في الإسلام، وهي قراءة مهمة عن كتاب مهم وستنشر القراءة قريبًا إن شاء الله.

القراء الأفاضل: لم يتسع المقام للتعقيب على كل ما وصل المجلة من مساهمات واقتراحات القراء الأعزاء ونأمل في الأعداد المقبلة الإشارة إلى ما تيسر منها إيماناً من إدارة التحرير بأن كل حرف يخطه قارئ «الوعي الإسلامي» له به علينا حق الرد مع الشكر والامتنان دوماً.

من غرر الحكم

بشار بكور

هذه مجموعة من الحكم، بل من درر الحكم وغرر الكلم تخيرتها من شتات تراثنا العربي والإسلامي العريق، وقد جمعت هذه الحكم بين جزالة اللفظ وفخامته، وبين شرف المعنى وسموه، ولو كان هناك كلام يؤتدم به لكانت هذه الحكم مما يؤتدم بها، وكأن الجاحظ- رحمه الله- عنى أمثال هذه الحكم النيرة بقوله: «وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة، وغشّاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفًا بليغًا، وكان صحيح الطبع بعيدًا عن الاستكراه، ومنزّهًا عن الاختلال مصونًا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونضدت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة» (١). وقد سقت هذه الحكمة كيفما اتفق دون ترتيب معين، كحال اللؤلؤ المنثور، راجيًا أن يعم نفعها والعمل بمقتضاها.

- الحسن البصري: «اسْتَوَى النَّاسُ في العافية، فإذا نَزَلَ البَلاءُ تَبَايَنُوا» (١).
- الرافعي: «مائةٌ مِنْ مائة في التوكّل على الله تكون مائةً من مائةً في النجاح، ولكنَّ تسعةً وتسعين من المائة في التوكّل لا تكون إلا خيبةً محقَّقةً» (٢).
- الرافعي: «أشدُّ العداوة لا تكون إلا من أشدّ الحبِّ» (٣).
- الرافعي: «الحياةُ في المدينة كشُرب الماء في كُوبٍ من الخَزَف، والحياةُ في الطبيعة كشرب الماء في كوبٍ من البلّور السَّاطع؛ ذاك يحتوي الماءَ وهذا يحتويه ويُبْدِي جمالَه للعين» (٤).
- الرافعي: «إنْ رضي المحبُّ قال في الحبيب أحسنَ ما يعرف، وما لا يعرف، وإنْ غضبَ قال فيه أسوأ ما يعرف، وما لا يعرف، وما لا يمكن أن يعرف» (٥).
- الرافعي: «ما العَقْل النَّاقصُ إلا كالعين المريضة: لا ترى أثرَ مرَضها إلا في الأشياء التي تراها، والأشياءُ مع ذلك صحيحةٌ لا مَرَضَ فيها» (٦).
- الجاهلُ صغيرٌ وإن كان كبيرًا، والعالم كبيرٌ وإن كان صغيرًا (٧).
- عكرمة: «إنَّ للعلم ثمنًا فأعطوه ثمنه». قيل: وما ثمنُه؟ قال: «أن تضعه عند مَن يحسن حفظَه ولا يضيِّعه».
- ثعلب: «كلُّ شيءٍ يَعِزُّ حين ينزُرُ إلا العِلْمَ فإنه يَعِزُّ حين يَغْزُر» (٨).
- حاول الاضطلاعَ بأمور تفوق إمكاناتك، وخطِّط لما هو أبعدُ من قُدُراتك، ثم ابدأ العملَ.
- ابن عطاء الله السكندري: «رُبَّ عمرٍ اتسعتْ آمادُه وقَلَّتْ أَمْدَادُه، ورُبَّ عمرٍ قليلة آمادُه كثيرة أمدادُه»(٩). أي: رب عمرٍ لشخص اتسع زمنُه حتى طال وقلَّت أمداده، أي فوائده بأن كان الشخص من الغافلين، وربَّ شخص آخرَ قلَّ عمره لكن كان عمله من العظمة والنفع بمكان (١٠). وفي حكمة أخرى للسكندري: «مَنْ بُورِك له في عمره أدركَ في يسير من الزمن مِنْ مِنَنِ الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة، ولا تلحقه الإشارة» (١١).
- إنْ لم تكنْ حليمًا فَتَحَلَّمْ، فإنه قَلَّ مَنْ تشبَّهَ بقوم إلا أوشكَ أن يكون منهم.
- الدُّنيا كالماء المِلْح الذي لا يزداد شاربُه شُرْبًا، إلا ازداد عَطَشًا (١٢).
- الدُّنيا كلُّها همومٌ، فما كان منها في سرور فهو ربحٌ.
- الذِّكْرُ مِغْنَاطِيسُ الوصلِ وحَبْلُ القُرْبِ (١٣).
- الحَزْمُ في الرأي سلامةٌ مِنَ التَّفْرِيط، وداعيةٌ إلى الظَّفَر (١٤).
- ما هَلَكَ مِنْ مالِكَ ما وَعَظَكَ.
- الناكح مُغْتَرِسٌ، فلينظر امرؤٌ منكم حيثُ يَضَعُ غرْسَه (١٥).
- اجْعَلْ سِرَّكَ إلى واحدٍ، ومشورتَكَ إلى ألف (١٦).
- إذا انتهى السِّرُّ من الجَنَانِ إلى اللسان، فالإذاعةُ مُستوليةٌ عليه (١٧).
- إذا أردتَ أن تُسْعِدَ نفسَك فأسْعِدِ الآخرينَ.
- ليست الشجاعةُ في أن تقول كلَّ ما تعتقده، بل الشجاعة في أن تعتقد كلَّ ما تقول.
- مَنْ أتى فَضْلًا فقد أوْجَبَ شُكْرًا.
- مَنْ جعل الحمدَ خاتمًا للنِّعمة جعَله الله مفتاحًا للمَزيد (١٨).
- إذا أبْصَرتِ العَيْنُ الشهوةَ عَمِي القَلْبُ عن الاختيار (١٩).
- العتّابي: «حظُّ الطَّالبينَ من الدَّرْك، بحسب ما اسْتَصْحَبوا من الصَّبْر» (٢٠).

– إنَّ شرَّ الأَخِلَّاء مَن التمس منفعةَ نفسه بضُرِّ أخيه، ومن كان غيرَ ناظرٍ له كَنَظْرَةِ نفسه، أو كان يريد أن يرضيه بغير الحق لأجل اتّباع هواه (٢١).

– إن مُجاورَ رجالِ السوء ومُصاحبَهم كراكبِ البحر: إنْ سَلِمَ من الغرق لم يَسْلَم من المَخاوف (٢٢).

– إنَّ في السُّكُوت ما هو أَبْلَغُ منَ الكَلام، فإنَّ السَّفيهَ إذا أعْرَضْتَ عنه تركْتَهَ في اغْتمام (٢٣).

– إنَّ مشقَّةَ الطَّاعة تَذْهب ويَبْقى ثوابُها، وإنَّ لذَّةَ المعصية تَذْهب ويبقى عِقَابُها.

– ابن عطاء الله السكندري: «أنت حرٌّ مما أنت عنه آيِسٌ وعبد لما له طامعٌ» (٢٤).

– أرسطاطاليس: «لا غنى لمن مَلَكَهُ الطَّمَعُ، واستولتْ عليه الأَمانيُّ» (٢٥).

– لا تلُومَنَّ مَنْ أساءَ بك الظَّنَّ إذا جَعَلْتَ نفسَك هدَفًا للتُّهَمَة (٢٦).

– العَجَلةُ لا يزال صاحبُها يجتني ثمرةَ الندامة، بسبب ضَعْفِ الرَّأي (٢٧).

– مَنْ عميَ عن مَكامنِ الغدر في نفس عَدُوِّه كان قَمينًا (جَديرًا) أن يرتَكِس في مَهَاويها.

– إنَّ العظيم بحق هو مَنْ يُشعر الجميع في حَضْرته بأنهم عظماء.

– أَوْلَى النَّاس بالعفو أقدرُهم على العقوبة.

– العُجْبُ فَضيلةٌ يَراها صَاحبُها في غيره فَيَدَّعيها لنَفْسه (٢٨).

– الجَمال الظَّاهرُ الحُسْن يَقْدرُ المُصَوِّرُ أن يحكيَه بالأَصْباغ، أمّا الجمالُ الذي للأَنْفُس فلا يمكن؛ لأنه للإنسان بالطَّبْع (٢٩).

– العَقْل أَمُورٌ بالمَعْروف، نَهُوٌّ عن المُنْكَر، فمَنْ لم يَنْهَهُ عَقْلُه نهاه أَدَبُه، ومَنْ لَم يَنْهَه أَدَبُه نَهَتْهُ التَّجَاربُ (٣٠).

– ليس الكاملُ من صَدرَ عنه أنواعُ الكراماتِ، وإنما الكاملُ الذي يقعد بين الخَلْق يبيع ويشتري معهم، ويتزوج ويختلط، ولا يَغْفُلُ عن الله لحظةً (٣١).

– السَّرِيُّ السَّقَطيُّ: «صِدْقُ الانقطاع ألَّا يكونَ لَك إلى غيرِ الله عزَّ وجلَّ حاجةٌ» (٣٢).

– كيف يكون عاقلًا مَنْ باع الجنَّةَ بما فيها بشهوةِ ساعة؟ (٣٣).

الهوامش

١- صيد الخاطر، ص ٢٦٩.
٢- كلمة وكليمة، ص ٣٦.
٣- كلمة وكليمة، ص ٥٦.
٤- وحي القلم ١/ ٤٩.
٥- كلمة وكليمة، ص ٣٨.
٦- تحت راية القرآن، ص٢٦٧.
٧- زهر الآداب ١/ ٤٢٩.
٨- أمالي القالي ١/ ١٧٥.
٩- الحكم العطائية، ص ١٧٤.
١٠- الحكم العطائية بشرح الشرنوبي، ص ١٧٤ بتصرف.
١١- الحكم العطائية، ص ١٧٤.
١٢- كليلة ودمنة، ص ٧٨.
١٣- البرهان المؤيد، ص٤٤.
١٤- التذكرة الحمدونية ٣/ ٣١٦.
١٥- البيان والتبيين ٢/ ٦٧.
١٦- البصائر والذخائر ١/ ٦٩.
١٧- نهاية الأرب ٦/ ١٣.
١٨- أخلاق الوزيرين، ص ٣٩٠.
١٩- أخلاق الوزيرين، ص ٣٨٩.
٢٠- زهر الآداب ٢/ ١١٤٥.
٢١- كليلة ودمنة، ص ٢٩٨.
٢٢- كليلة ودمنة، ص ٢٨.
٢٣- البصائر والذخائر ٤/ ٢٣٦. أي إن سكوتك عن الردّ على السفيه يجعله في غمٍّ وانزعاج.
٢٤- الحكم العطائية، ص ٦٣.
٢٥- التذكرة الحمدونية ٣/ ١١٧.
٢٦- زهر الآداب ٢/ ٧٨٠.
٢٧- كليلة ودمنة، ص ٢٩٦.
٢٨- البصائر والذخائر١/ ٢٠٠.
٢٩- البصائر والذخائر ٩/ ٢١٤.
٣٠- البصائر والذخائر٤/ ٢٤١.
٣١- الكنوز الربانية، ص ٢٠-٢١.
٣٢- البصائر والذخائر ٢/ ١٥٧.
٣٣- الفوائد، ص ٤٥.

مَوْلد الأفراد والشعوب.. وجْهان لِخَلقٍ واحد!

السنوسي محمد السنوسي
كاتب صحافي

ما أشبه ولادة الشعوب بولادة الأفراد! فالفرد يبدأ نطفةً، فعلقةً، فمضغةً، فعظامًا، فلحمًا يكسو العظام.. ثم تحين لحظة الانفصال عن رحم الأم.. التي هي ذاتها لحظة الاتصال بالعالم الخارجي.

ثم تبدأ مرحلة الطفولة والنمو والإدراك.. ومن بعدها مرحلة الشباب بفتوتها وحيويتها.. ثم تعقبها الشيخوخة بما تحمل معها من ضعف وخمول وارتداد إلى مِثل سيرة الإنسان الأولى! هي إذن مراحل متتابعة ومتفاوتة.. يُسلِم بعضها إلى بعض.. ويُنبئ بعضَها عن بعض.

وهكذا حال الشعوب والمجتمعات والدول والحضارات، من الصعود والهبوط، فيما يسمى «الدورة العضوية»؛ وتعبير ابن خلدون مهم هنا، إذ يقول: «الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص».

يبدأ الشعب- أي شعب- في «المرحلة الجنينية» يبحث عن عوامل تشكُّله وتخلُّقه وصياغته.. فإذا وجدها وصادفت منه رحمًا نظيفة من أسباب التحلل والاندثار والإجهاض، أخذت تلك العوامل في التفاعل والنمو تدريجيًا حتى تشرف على الاكتمال والفتوة والقوة.. في مرحلة تستمر ما استمر هذا الشعب أو ذاك محافظا على عناصر قوته وشبابه، حَذِرًا من الأخطار والتحديات التي تواجهه..

فإذا تمكنت منه عوامل التحلل والتفكك والترف، قضت عليه- تدريجيًا أيضًا!- حتى يتقهقر في السباق الحضاري، ويجد نفسه في المؤخرة بعد أن حاز قصب السبق لدورات من الزمن..

لا غرو إذن أن يذهب بعض المفكرين إلى أن الشعوب والمجتمعات والحضارات يحكم سيرَها وتطورَها أو تدهورَها سننٌ وقوانينُ ثابتةٌ تشبه إلى حد كبير- قد يصل إلى التطابق الكامل- السننَ والقوانين التي تحكم عالم المادة والأحياء..

لقد بدأ مع الإسلام ميلادُ أمة وحضارة وشعوب لم تكن من قبله شيئًا مذكورًا، ولم يكن لها موطئ قدم على خريطة العالم، سواء السياسية أم الفكرية أم الحضارية. لكن بفضل المنهج الرباني الذي غرسه فيها سيد البشر ﷺ، صار لها في العالمين ذكر وأثر.. بل وآثار!.. في نقلة نوعية لم يعرف التاريخ لها مثيلًا..

ثم تتابع تاريخ هذه الأمة في موجات متعاقبة من الصعود والهبوط، والرقي والانحطاط، والنشاط والخمول.. وكان من فضل الله عليها أن أبقى فيها جذوة الإيمان مشتعلة، تنتظر من ينفخ فيها من رُوحه وعزمه وسعيه؛ فإذا بالأمة تنتفض من رقدتها، وتفيق من سباتها، كأن عهدها بالوجود أمس! وكأنها ما أصابها شيء من زمن الهزيمة!!

وهانحن أولاء نشهد- بعد عصور من التراجع الحضاري والسبات العميق- بشائرَ مولد جديد من دورات الزمن، يُرجَى فيها أن تُبعث شعوبنا من مواتها، وأن تحقق ذاتها وفاعليتها وتستعيد دورها واستقلالها الفكري والحضاري.

فلئن أصابها المرض العضال، فإنها- بفضل الله- لا تموت؛ ولئن دبَّ فيها الوهن وتمكَّن، فإنها قادرة بالنور الذي بين يديها (كتاب الله وسنة نبيها) على أن تجتاز المحن والعقبات.. شريطة أن تطرح اليأس جانبًا، وأن تبدأ في العمل الجاد فورًا بلا تباطؤ، وأن تدرك أنه إذا كان للفرد حياة واحدة، فإن للشعوب حيوات متعددة متجددة.. وتستطيع تلك الشعوب أن تعيد سيرتها الأولى متى أرادت.

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

بنك السعادة

المشروع القيمي لتعزيز العلاقات الاسرية

فلاشات بنك السعادة

سلسلة من أجمل الفلاشات القيمية
تناقش وتعالج أخطر المشاكل الأسرية
بطريقة سلسة وشيقة وإبداعية

DVD

الإشراف العام
صلاح أبا الخيل

تفضلوا بزيارتنا .. للفوز بجوائزنا

youtube.com/nafaesscom
twitter.com/nafaesscom
facebook.com/nafaesscom
www.nafaess.com
إدارة الإعلام الديني - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
الكويت- مجمع الوزارات - بلوك ١٦ الدور الأول تلفون : ٨ / ٢٢٤٨٧٣٢٧ - فاكس: ٢٢٤٨٧٣٢٦

اقرأ في العدد الأول من

الوعي الشبابي

www.shabab.alwaei.com

- الفتية الذين آمنوا بربهم زادهم هدى .
- جرائم الإنترنت على مقاس الشباب .
- أجازة سعيدة بصحة أفضل .
- كيف تضع قدمك على أعتاب النجومية .
- في عطلة الصيف أتفرغ لمهاراتي .

والمزيد من الموضوعات والتحقيقات ..

الوعي الشبابي مجلة شبابية إلكترونية تصدر عن «الوعي الإسلامي»

رئيس التحرير : فيصل يوسف العلي

للتواصل زوروا موقعنا

www.shabab.alwaei.com

البريد الإلكتروني

info@shabab.alwaei.com